الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة العربية وآدابها

موازنة بين الأمثال الشعبية السوفية وأمثال الجريد التونسي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب الشعبي

إعداد الطالب:
إبراهيم شرايطة

تحت إشراف:
د. كمال بن عمر

السنة الجامعية: 1435/1436هـ/ 2014/2015م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة العربية وآدابها

موازنة بين الأمثال الشعبية السوفية وأمثال الجريد التونسي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب الشعبي

إعداد الطالب:
إبراهيم شرايطة

تحت إشراف:
د. كمال بن عمر

السنة الجامعية: 1435/1436هـ/ 2014/2015م

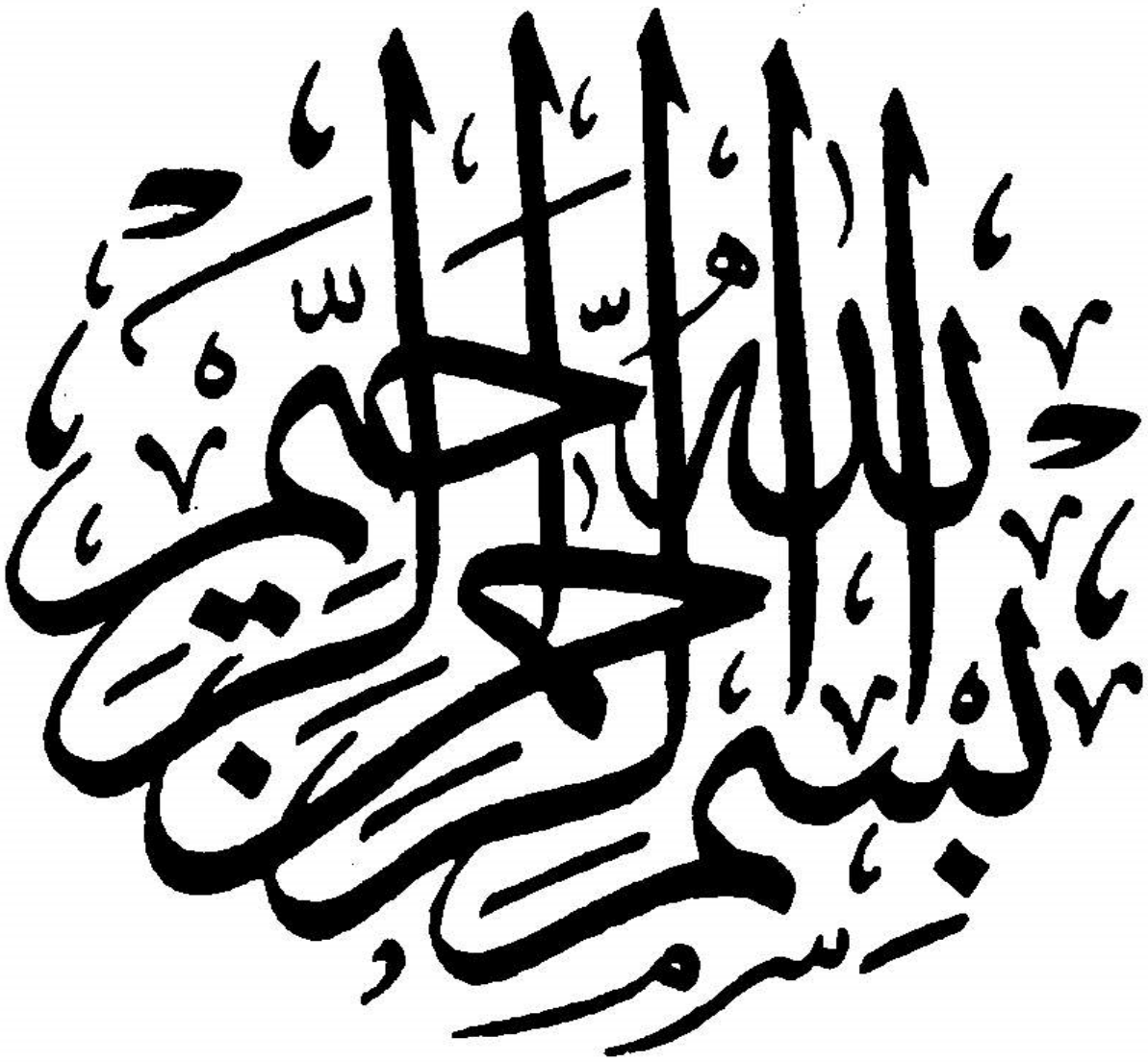
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل ان يخط الحروف ليجمعها في كلمات تتبعثر الأحرف وعبثا ان يحاول تجميعها في سطور

سطورا كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لي في نهاية المطاف إلا قليلا من الذكريات وصور تجمعني بأناس كانوا إلى جانبي فواجب علي شكرهم ووداعهم وأنا أخطوا خطواتي الأولى في غمار الحياة وأخص بالجزيل الشكر والعرفان إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملي وإلى من وقف على المنابر واعطى من حصيلة فكره لينير دربي.

إلى الدكتور "**كمال بن عمر**" الذي لم يبخل علي بمساعداته وتسهيلاته وأفكاره ومعلوماته وربما دون أن يشعر بدوره في ذلك، إلى الأساتذة الأفاضل: "**يوسف العايب، السعيد القرفي، العيد حنكة، بن علي محمد الصالح**".

إلى كافة عمال المكتبة بكلية الآداب و اللغات وهم"**دلال قحف، فاطمة نيد، سهيلة نعورة**"

وإلى كل عمال مكتبة "**حوبة**"

وإلى كل دفعة الأدب الشعبي 2015/2014، وأخص بالذكر "**صحرة دقعة، صباح بيشي، نسيب سعيدة، مسغوني خديجة**"

إلى كل هؤلاء شكرا جزيلا وعفوا لمن سقط اسمه سهوا.

إبراهيم

شـــرايطة

إهداء خاص

الآن تفتح الأشرعة و ترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض بحر واسع مظلم هو بحر الحياة و في هذه الظلمة لا يضئ إلا قنديل الذكريات ذكريات الأخوة تتسابق الكلمات و تتزاحم العبارات ، لتنظم عقد الوفاء و الإهداء الذي لا يستحقه إلا أنت.

أتوجه بجزيل الشكر و الامتنان إلى من ساعدني وساندني بنصائحه ودعائه لي لإتمام هذه المذكرة ، كلمة حب وتقدير ، وتحية وفاء و إخلاص، تحية ملئها كل معاني الأخوة و الصداقة تحية من القلب إلى القلب

من أي أبواب الثناء سأدخل ، وبأي أبيات القصيد سأعبر و في كل لمسة من جودك أكفك للمكرمات أسطر ، كنت كسحابة معطاءة، سقت الأرض فاخضرت .

إلى الأخ و الصديق المقرب لي أهدي هذا العمل * **بالقط عبد الرزاق** *

إبراهيم

شـــرايطة

مقدمة

من أبرز مظاهر التواصل الذي ربط بلاد الجريد التونسية بالزيبان وأحواز سوف، هي تلك الوفود التي قدمت من كل حدب وصوب، سواء للعمل في المناطق المنجمية بقفصة والمتلوي وأم العرائس، أو للتزود من مختلف العلوم الفقهية واللغوية والأدبية. هذا بالإضافة إلى هجرات السكان الجماعية أو الفردية، هروبا من بطش الاستعمار الفرنسي، الذي نتج عنه انتشار الفقر والحرمان والمرض وتفشي الجهل. مما يجعلنا نستقرئ الأحداث للتطلع إلى محاولة التعرف على النتائج الكامنة وراء السياسة الاستعمارية الغاشمة، والمظاهر الإيجابية لهذا التقارب الاجتماعي بين القطرين الشقيقين، من خلال ما ستتكشف عنه هذه الدراسة المتواضعة.

تمثل مواد فنون القول الشعبية مكونا أساسيا من مكونات الإبداع الثقافي لمنطقتي وادي سوف، والجريد التونسي عبر مختلف عصورها التاريخية، بحيث عبرت عن واقع حياتهما الروحية ورؤيتهما للكون والحياة من خلال أنساقها الرمزية واستمرار تداولها وتناقلها عبر الأجيال إلى أن وصلت إلينا في أشكالها الحالية.

فالمثل الشعبي على سبيل المثال يعد واحدا من أبرز الفنون الشفوية التي عرفتها منطقتا وادي سوف والجريد التونسي، وقد أودعت الجماعة الشعبية في تلك الأمثال عصارة أفكارها وتجاربها وزبدة أحاسيسها وتصوراتها وخلاصة مواقفها وسلوكاتها إزاء الإنسان والكون والحياة.

فقد عبرت من خلاله عن قيم اجتماعية، تعليمية، سياسية، أخلاقية، اقتصادية، استمدت مادتها الأساسية من عمق واقع الحياة اليومية، فكان المثل خير زاد لا مادي في مدخرات الأجداد يحتاجه من رغب في أصيل القول من أبناء وأحفاد، كيف لا والمثل الشعبي من أرقى أشكال التعبير الشفوي صيغة وأغناها دلالة وأكثرها تداولا.

وقد خصصت موضوع بحثي في الأمثال الشعبية من خلال ما تتميز به المنطقتان من تراث شعبي هائل، ما يزال ينتظر أيد أمينة لتنفض الغبار عنه، وتوفيه حقه من التنقيب والبحث والدراسة، هذا إلى جانب إدراكنا بضرورة المشاركة في حماية الفنون القولية الشعبية المهددة بالضياع والزوال في زمان كثرت فيه وسائل الترفيه ليكون موضوع بحثي "موازنة بين الأمثال الشعبية السوفية والأمثال الشعبية في الجريد التونسي" وحاولت معالجة الإشكالية الجوهرية للبحث من خلال طرح السؤال الآتي:

- ما هي أهم أوجه الشبه و أوجه الاختلاف بين أمثال المنطقتين؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الجوهرية جملة من التساؤلات الفرعية يمكن طرحها على النحو الآتي:

- ما أبرز الجوانب التي تناولتها الأمثال في كل من واد سوف والجريد التونسي؟
- فيما تتمثل وظائفها ومميزاتها؟
- ما هي العوامل المؤثرة في ذلك تشابها واختلافا؟

وفي دراستي هذه اعتمدت على أكثر من منهج وذلك لطبيعة الموضوع المعالج، وأبرزها المنهج التاريخي الذي قدمت من خلاله نبذة عن الإطار التاريخي لكلتا المنطقتين، والمنهج الوصفي التحليلي من خلال شرح الأمثال وتحديد دلالاتها وأبعادها وتصنيفها إلى مواضيع متعددة حسب دلالتها، والمنهج المقارن من خلال بيان أوجه الشبه والاختلاف في الأمثال الشعبية بين المنطقتين.

وقد اخترت أن يكون بحثي في ميدان الأدب الشعبي لهذه الأسباب الآتية:

- المحافظة على الموروث الشعبي المشترك الذي أسسه أجدادنا و انتقل إلينا عن طريق الأجيال.
- عدم وجود دراسات علمية سابقة ومماثلة للموضوع في إطار موازنة الأمثال بين المنطقتين تمكننا من استيعاب هذا الفن الأصيل أيما استيعاب.
- جمع وتدوين ومحاولة فهم ودراسة هذا الموروث الشعبي والثقافي للمنطقتين.

وبعد اختياري للموضوع اعتمدت على خطة مكونة من**فصل تمهيدي**: حيث تناولت فيه الإطار العام لمنطقتي البحث: الإطار الجغرافي، والإطار التاريخي، الإطار الاجتماعي، الإطار الاقتصادي وأخيرا الإطار الديني والثقافي.

و في **الفصل الأول**: تطرقت فيه إلى تعريف الموروث الشعبي وأنواعه، وتعريف المثل وتحديداته النظرية.

أما في **الفصل الثاني**: وهو الفصل التطبيقي، فقد خصصته إلى موازنة الأمثال الشعبية بين المنطقتين ومعرفة أوجه الشبه والاختلاف بينهما.

ثم ختمت بحثي بأهم النتائج التي توصل إليها، وقد جعلت في الملحق نماذج من الأمثال الشعبية لكلتا المنطقتين.

كما استندت في إنجاز هذا الموضوع على مصادر ومراجع كانت متنوعة في شتى المجالات نذكر أهمها:

- إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف.
- محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال الحكم الشعبية (أكثر من 2600 مثل وحكمة شعبية)
- الضاوي موسى، قصص الأمثال الشعبية التونسية، الجنوب الشرقي التونسي.
- محي الدين خريف، الأمثال الشعبية التونسية.
- ياسين بن رمضان، الموسوعة الجلية للأمثال الشعبية التونسية.

ومن الطبيعي أن يتعرض أي باحث إلى صعوبات وعراقيل منها ما يعود إلى طبيعة البحث، ومنها ما يعود إلى طبيعة الظروف التي تحيط بالباحث، ويمكن أن نلخص هذه الصعوبات فيما يلي:

- قلة المراجع التي تناولت موضوع الدراسة بحد ذاته مع التحليل والشرح، فما توفر منها يتمثل في بعض الكتب المتناثرة هنا وهناك، والتي كان الاعتماد عليها وحدها لا يكفي لتحقيق الغرض المنشود.
- صعوبة خلق الجو أو الظرف المناسب، لنقل الأمثال بظروف طرحها وشروط تداولها، وهو ما يعني أن الأمثال المستخدمة في المذكرة لا تمثل كل الأمثال الموجودة في رصيد ثقافة المنطقتين بل أوردت ما تمكنت من جمعه.

ورغم هذه الصعوبات إلا أنني بفضل أستاذي المحترم الدكتور كمال بن عمر الذي لم يبخل علي بتوجيهاته الحكيمة وأمدني بالكثير من المراجع التي أعانتني كثيرا في عملي وحاولت جاهدا الثبات على هذا الموضوع والإصرار على إخراجه للنور.

وأخيرا وليس آخرا فإن نلت الرضا وحسن الإصغاء، فتلك أمنيتي وإلا فحسبي الصدق في النية والإخلاص في العمل، والله نسأله الهدى والتوفيق والحمد لله رب العالمين أولا وأخيرا.

الفصل التمهيدي

الإطار العام لمنطقتي البحث

- ✓ الإطار الجغرافي
- ✓ الإطار التاريخي
- ✓ الإطار الاجتماعي
- ✓ الإطار الاقتصادي
- ✓ الإطار الديني و الثقافي

مدخل

من الطبيعي أن يكون لكل أمة من الأمم خصائصها التي تميزها عن البقية حتى وإن شاركتها تلك الخصائص أمم أخرى فإن الأصل التمييزي يبقى ملكا لها.

ومن تلك الميزات طبيعة المنطقة تاريخيا. جغرافيا، سياسيا، اجتماعيا، ثقافيا....مما ينعكس في نتاجها الأدبي المتنوع ومن هذا النتاج اخترنا دراسة نوع هام جداً من الأثار الأدبية التي تلتصق بروح الأمة وتتعلق أكثر بشعبها خاصة العامة منهم ويتعلق الأمر بفن الأمثال الشعبية، وإن للأدب الشعبي بوجه عام تأثيرا عظيماً في حياة الأمم وهو الذي يقيد أمجادها ومآثرها ويجسد آلامها وآمالها وهو الصوت المعبر عنها في كل المحافل يحدد الهوية وينافح عن الثوابت وخاصة اذا كانت موافقة للعقيدة ممثلة في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

قبل التوغل في عمق البحث لا بد أولا من التعرف على جوانب عديدة لمنطقتي البحث، وإن كانت باختصار لأنها تظهر جليا في الامثال الشعبية، فالأمثال و غيرها من الأنواع الأدبية تستمد موضوعها و قوتها من البيئة الجغرافية و التاريخية و الاقتصادية و الدينية للمنطقة.

I- منطقة وادي سوف:

أولا: الإطار الجغرافي.

إن تتبع أي ظاهرة في مجتمع معين من الناحية التاريخية أو الأدبية، يقتضي التعرف على المظاهر الجغرافية لمنطقة البحث، لأن هناك ارتباطا وثيقا بين الجغرافيا و الأدب، فالجغرافيا تدرس الفضاءات و الأمكنة و الأدب كذلك تهتم بتصوير ذلك بطريقتها الخاصة، "فكل من الجغرافيا و الأدب على حد سواء تهتم بالكتابات حول الأماكن و الأفضية، وكلاهما عملية تعبيرية، بمعنى أنهما تجعلان الأماكن هادفة في وسيلة اجتماعية...ليس الأدب وحده الذي يتضمن المغزى، و إنما تتضمنه كذلك الكتابات الجغرافية حول الأماكن"[1].

و المتفق عليه أن أفراد هذا المجتمع يتفاعلون مع البيئة التي تترك بصماتها إما بالسلب أو الإيجاب، حيث هناك الكثير من الأمثال مثلا تصور البيئة الجغرافية للمنطقة.

وادي سوف

معاني و دلالات التسمية.

تحمل المنطقة اسما مركب من "وادي" و "سوف" فهي تحمل عدة دلالات بحيث يصعب علينا اتخاذ موقف محايد يرجح الصواب. و قد ظلت محل اجتهاد الباحثين بسبب غياب المصادر التاريخية الموثقة التي تدلنا على الجذور الأولى لهذه التسمية.

معنى "سوف":

تشير بعض الدراسات أن كلمة سوف تعني النهر في لغة الزناتة البربرية[2]. فالأساطير القديمة تطلق هذه الكلمة على نهر كان يجري بالمنطقة من الشمال نحو الجنوب، ويدعى "واد ازوف" (Oued Lzouf) أي النهر الرقراق الذي كان يجري بالمنطقة، و الذي غار في الأرض ولم يبقى إلا مكانه، فتغير اسمه إلى "وادي سوف"[3].

---

[1] مايك كرانغ، الجغرافيا الثقافية، ترجمة د.سعيد منتاق، سلسلة عالم المعرفة من إصدارات المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 2000، ط1، ص67.

[2] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر(هـ)، التاسع عشر(م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر جامعة الجزائر، مرقونة 2001/2000، ص06.

[3] Andre voisin. le souf Mongaphie dune region saharienne. Paris.1985.manuscrit p 03.

و عند إجراء مقارنة بين كلمة "سوف" مع الكلمات البربرية القديمة (lsouf) و (Asouf) و التي تعني في البربرية الحديثة "أسيف" نجدها توافق معنى النهر أو الوادي، و تلتقي أيضا مع اللهجة التارقية في (Le Souf Mellon) و تعني النهر الأبيض[1].

"لما كان البربر هم سكان سوف القدماء فإن أول الكتابات التي وصلت إليها كانت تطلق على اسم المنطقة "أسوف" وهذا ما ذكره المؤرخون الإباضيون و منهم أبو زكريا (ت471 هـ)، و أبو ربيع الوسياني في القرن السادس الهجري. و يعتبر كتاب طبقات المشايخ للدرجيني الإباضي (ت670 هـ) أقدم مصدر ذكر "سوف بدون ألف، فيكون ظهور الكلمة في حدود القرن 13 م أي حوالي سنة 1271 م"[2].

و هناك رأي آخر يذكره العوامر حيث قال "سميت "بمسوفة" وهي فرقة الملثمين من البرابرة.ففي مقدمة ابن خلدون ما يفيد أنهم مروا بهذه الأرض فلعلهم سكنوها زمنا أو فعلوا فيها شيئا فسيمت بهم"[3] وقد أشار أحد باحثي المنطقة أنها توجد أماكن بالقرب من بلاد التوراق تحمل اسم سوف أو أسوف منها: إقليم "أدرار سوف توت" و "وادي اسوف"[4].

ومن جهة أخرى هناك من يرى أنها سميت "سوف" نسبة للتصوف لأنها كانت محلا لكل عابد من أهل التصوف.

و هناك من ينسبها إلى رجل عليم صاحب حكمة، يسمى ذا السوف، و السوف في اللغة العربية تعني العلم أو الحكمة[5].

و هناك من ربطها بالصوف، "لأن أهلها الأولين كانوا يلبسون الصوف من أغنامهم لعدم وجود غيره من المنسوجات عندهم"[6].

وقيل يوجد منطقة بالشام تسمى سوف قدم بعض من أهلها ضمن العرب الذين دخلوا أفريقيا فسموا أرض سوف باسم بلدتهم الأصلية بسوريا[7].

و أما بعض القدماء يرجعون كلمة سوف إلى أصلها العربي، وهي أن طرود حين أتوا إلى سوف قالوا: نسكن تلك السيوف أي الأحقاف* و هي الكثبان الرملية الحادة من الأعلى كحد السيف. وفي اللغة العربية كلمةالمسوفة و جمعها سوف تعني الأرض بين الرمل و الجلد، والسائفة هي الرملة الدقيقة ومن هنا اشتق اسم سوف[1].

[1]Andre voisin. Op.cit.p03.

[2] على غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص 06.

[3] إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، تعليق الجيلاني العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1977، ص39.

[4] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص07.

[5] ينظر إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص38.

[6]المرجع نفسه، ص38.

[7] ينظر: إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص38.

*الأحقاف: وهي الرمال العظيمة قال ابن منظور: و مفردها حقف و هو ما أعوج من الرمل و استطال.

وقد ذكرها الرحالة المغربي عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف العياشي الملقب بعفيف الدين (1037هـ، 1628م – 1090هـ، 1679م) باسم "سوف" مفردة (ثم ارتحلنا من تكرت يوم الأربعاء الثامن عشر من جمادي الثاني، و سرنا قاصدين سوفا في بلاد ذات رمال كثيرة يضرب بها المثل في كثرة الرمل)[2].

معنى الوادي:

و يعني به الماء من باقي الوادي الذي كان يجري من الجبل الواقع نواحي (بودخان و عقلة الطرودي والميتة) في الناحية الشمالية الشرقية على مسافة خمس مراحل **أو أقل من الوادي، وله عدة روافد منها عيون النازية على مسافة 60 كلم شمال شرقي الوادي. ثم يجتمع ذلك الماء بقرب القوايرات و يصير واديا عظيما[3]. والجدير بالذكر أن أشجار النخيل بالمنطقة تتصل جذورها مباشرة بالمياه الجوفية المتحركة و لذلك فهي تنمو بشكل جيد، لأن المياه الراكدة تقتل الأشجار التي تعيش عليها[4].

و ذكره الشيخ محمد العدواني بـ "غديرة النيل" بقوله "قال الراوي: ثم انحدروا إلى سوف و كان فيها يومئذ غديرة النيل..."[5] و المقصود به الوادي.

و كان العرب قديما يعتقدون أن نهر النيل هو سيد الأنهار، وقد روي عن عمر ابن العاص أنه قال: إن نيل مصر سيد الأنهار سخر الله له كل نهر من بين المشرق و المغرب أن يمد له وذلله له، فإذا أراد الله تعالى أن يجر نيل مصر أمر الله تعالى كل نهر أن يمده بمائه"[6].

و قيل سمي بالوادي لأن أهله لا يهدؤون و لا يسكنون بل يتحركون دائما إما بالسفر أو الرحيل فشبهوهم بجريان الماء.

" وقيل سمي بالوادي، طرود حين دخلوه و عاينوا التراب تسوفه الريح متتابعا، فقالوا إن تراب هذا المحل كالوادي في الجريان لا ينقطع"[7].

و في منطقة وادي سوف لا تطلق الكلمة الوادي على وادي الماء فقط، بل أطلقوها على عدة أماكن مثل: وادي زيتن[1]، وادي العلندة[2]. وادي الترك[3]، وادي القبو[4]...

---

[1] ينظر: إبراهيم مياسي " من تاريخ سوف مدينة الألف قبة وقبة" في مجلة الثقافة، الجزائر، سنة 1996، العدد 113، ص192.

[2] عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663، تحقيق و تقديم: د.سعيد الفاضلي و د.سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع، ط1، أبو ظبي 2006، مجلد1، ص122.

**مراحل: مفردها مرحلة، وهي المسافة التي تقطعها القافلة في اليوم و تتزامح بين خمسة و ثلاثين و أربيعين كيلومتر.

[3] ينظر: إبراهيم العوامر الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص48-49.

[4] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص08.

[5] محمد العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1996، ص109.

[6] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1977، مج 5، ص334.

[7] إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص 90-91.

و أول من ذكره بهذا الجمع أي "وادي سوف" هو الرحالة الأغواطي في حدود سنة 1829[5]. وفيما بعد أصبحت وادي سوف تطلق على عاصمة الإقليم و هي مدينة الوادي[6].

موقع وادي سوف.

" تقع سوف في الجنوب الشرقي من القطر الجزائري، بين خطي عرضْ 33 وْ 34 شمالا بين خطي طول6ْ و 8ْ شرقا"[7]. ويحدها من الشمال إقليم الزاب و يمتد حتى جبال الأوراس، النمامشة، و إلى منطقة نقرين[8]، ومن الشرق الحدود الجزائرية التونسية من نفطة و نفزاوة، ومن الجنوب ليبيا (واحات طرابلس وغدامس)، و من الغرب واحات وادي ريغ (جامعة و المغير و تقرت) و ورقلة[9].

" فهي إذن على شكل مثلث بين الأقطار الثلاثة الجزائر–تونس–ليبيا. و سوف محاط بثلاثة شطوط هي: شط وادي ريغ من الغرب، شط وادي مروانة، وشط ملغيغ و شط الغرسة من الشمال، وشط الجريد من الشرق"[10].

و تقد مساحتها الإجمالية بـ 82.800 كلم^2. " و بأبعاد تمتد من الحدود الجزائرية التونسية شرقا إلى واحات وادي ريغ غربا على مسافة تقدر بـ 160 كلم. و من الحمراية شمالا إلى غدامس جنوبا على مسافة 600 كلم تقريبا"[11].

---

[1] وادي زيتن: حي غرب مدينة الوادي على أطراف طريق تقرت.

[2] وادي العلندة: بلدية تقع جنوب غرب الوادي و تبعد عنها حوالي 20كلم.

[3] وادي الترك: قرية تتبع إداريا إلى بلدية أميه ونسه، وتبعد عن مدينة الوادي حوالي 35 كلم.

[4] وادي القبو:يقع غرب بلدية دوار الماء.

[5] د.أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط2ن بيروت 1990، ج2، ص 260.

[6] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص08.

[7] Andre voisin. Op.cit.p03.

[8] ينظر: إبراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة وقبة، ص194.

[9] ينظر: إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص 37.

[10] إبراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة وقبة، ص 194.

[11] Andre voisin. Op.cit.p03.

الخصائص الجغرافية للسطح

إن وقوع وادي سوف في العرق الشرقي الكبير يجعلنا نتصور مظهر سطحها المفروش أغلبه بالرمال أي ما يعادل ثلاثة أرباع المساحة الإجمالية[1]. "أما رملها فناعم كالدقيق المنخل، ملح المذاق، وفيه الحلو و المر والحريف إذا ثارت ثارت الرياح أطارته"[2]. مما أدى إلى ظهور الكثبان الرملية خاصة في الجهة الجنوبية من سوف والتي تسمى عند العامة "السيوف". و هنا ينقل لنا صاحب الصروف ما قاله كتاب تغريبة بني هلال: "أتت الرمل إلى سوف من طرق الصحراء الكبرى من جهة الجنوب و مازالت تتزايد إلى وقتنا هذا"[3].

مع العلم أن ارتفاعات هاته الكثبان تختلف، قد يصل بعضها إلى 127م على بعد 2 كلم جنوب عميش و في أقصى الجنوب بين الوادي[4] و غدامس يصل بعضها إلى 200م[5]، و تدعى هذه الكثبان بـ "الغرود"[6]. بالإضافة بالإضافة إلى ظهور المنخفضات و الأودية، حيث سوف تمثل أكبر انخفاض في الجزائر[7].حيث ارتفاع سطح الأرض بسوف فهو 80 م فوق سطح البحر، بينما تنخفض في وسط شط ملغيغ إلى حوالي 25 م تحت مستوى سطح البحر.[8]

"و المظهر الآخر لوادي سوف هو الحمادات الرملية، وتغطي المنطقة الشمالية لسوف وهي طبقات حجرية متنوعة تحت الرمال، ومن تلك الطبقات "الترشة" و تستعمل لصنع الجبس، و "اللوس" و يستعمل في البناء"[9].

أما بالنسبة للمياه في أرض سوف، فهي كما ذكرنا سابقا- المياه الجوفية المتحركة في باطن الأرض- و التي يعيش بها النخيل، و هو منتوج يشتهر به أهل المنطقة[10].

أما بالنسبة لألوان الرمل فهي تختلف بتأثير عوامل معينة، كالحرارة و البرودة و الرطوبة، فإن غلب عليه الحر اصفر لونه و إن غلب غليه البرد ابيض لونه و اعتدل حاله احمر، و إن غلبت عليه الرطوبة المعفنة من قلة الحر اسود[11].

[1]Andre voisin. Op.cit.p12.

[2] إبراهيم العوامر، في تاريخ الصحراء وسوف، ص41.

[3]المرجع نفسه، ص40.

[4] يعني بالوادي هنا المدينة التي هي قاعدة سوف لا الوادي الجاري.

[5]D.Ahmed Nadjh. Le Souf des oasis. Edition la maison des livres. Alger 1971. P 10.

[6] في التراث الشعري السوفي قصيدة شهيرة بعنوان:"غرود عالية" و التي مطلعها: غرود عالية و الموت فيها جتني لا صبت ناسي و لا عرب زارتني

[7] ينظر: إبراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة و قبة، ص 194.

[8]D.Ahmed Nadjh. Op.cit. p59.

[9] علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص 12.

[10]Andre voisin. Op.cit.p25.

[11] ينظر: إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص41.

الخصائص المناخية

تتميز وادي سوف بمناخ صحراوي قاري، شديد الحرارة صيفا، قد ترتفع درجة الحرارة في النهار إلى ما يقارب الخمسين درجة، و في ذلك الوقت تكون الرمال شبه ملتهبة. وتكون في منتهى البرودة شتاء حيث تنخفض درجة الحرارة ليلا إلى ما تحت الصفر[1]. ويصل المتوسط الحراري في الفصل الحار إلى 34°، و في فصل الشتاء يصل إلى 10°.[2]

أما الرياح فهي تهب بصفة دائمة، و نسب متفاوتة حسب الفصول. و تشهد المنطقة ما يعرف بريح الشهيلي أو القبلي و هو شديد الحرارة و الجفاف، و يهب على المنطقة من الجهة الجنوبية. أما ريح الصبا* أو الشرقي أو البحري وسمي بالبحري لأنها تأتينا من ناحية البحر، و تتميز بالبرودة التي يحملها من خليج قابس مرفوقة بالرطوبة و الهواء المنعش المعتدل، الذي يتلذذ به الإنسان و يكون غالبا في الليل[3]. "ومن منافعه تلقيح الشجر، و ترطيب الأبدان و الأثمار، و إزالة العفونات من الأرض"[4].

إضافة إلى ذلك هناك ريح أخرى هي الظهراوي و هو يهب من الجهة الشمالية ورغم إثارته للأتربة إلا أنه مفضل على الشهيلي. أما الريح الغربي فهو يشترك مع الظهراوي في إثارة الأتربة و لا يبتعد كثيرا عن الشهيلي في شدة حرارته[5].

أما الأمطار فهي نادرة و قليلة بسبب بعد المنطقة عن البحار و الجبال كما يقول العلماء[6]. فمن جهة عنابة يبعد البحر بين واد سوف وعنابة وعنابة 600 كلم أو أكثر، و عن خليج قابس تبعد بحوالي 305 كلم [7]. وينحصر سقوط الأمطار فيما بين نوفمبر و فيفري. عندما تكون غزيرة تتسبب في فيضانات تخلف أضرار مادية على المساكن و غابات النخيل، و يصل المتوسط السنوي للتساقط بالمنطقة إلى 80.3 ملم [8].

أنواع النبات

إن كل ما يتميز به وادي سوف من حرارة وجفاف وكثرة الرمال، إلا أنها تنبت في واحاتها وأرضها والأشجار والنباتات العشبية و الحشائش، فهي ليست كما يتصورها البعض قاحلة تماما. فهناك أنواع كثيرة خاصة للرعي

[1] ينظر: إبراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة، ص 194.

[2] D.Ahmed Nadjh. Op.cit. p23.

*ريح الصبا: بفتح الصاد و هي الريح الآتية من الناحية الشرقية.

[3] Andre voisin. Op.cit.p25.

[4] إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص51.

[5] محمد الصالح بن علي، الألغاز الشعبية بوادي سوف-أكثر من أربعمائة لغز-مدرية الثقافة لولاية الوادي، ط1 سنة 2010، ص14.

[6] ينظر: إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص51.

[7] D.Ahmed Nadjh. Op.cit. p22.

[8] D.Ahmed Nadjh. Op.cit. p30.

مثل: العضيد، الحلفاء، الصفار، العرجف، السمهري، السعد، وذنب الفار، كرش الأرنب، اللبين اللافة و الشيح...[1].

أما النباتات التي هي للرعي و التدواي معا فهي كثيرة منها: البسباس، عنب الذئب و يقال عنب الثعلب الحرمل، الفيجل، الضميران فهذا مثلا نافع لداء الطيحان، الحنظل، و الفقاع.

و النخيل أكثر ما تنتجه أرض سوف وواحاتها، إذ هي الشجرة المباركة التي قال فيها النبي صل الله عليه وسلم:﴿ **العجوة[2]من الجنة و هي شفاء من السم**﴾ و أنواع النخيل في سوف كثيرة كما يقول الدكتور أحمد نجاح هي متباينة بحسب الألوان و الغلط و الرقة و الطول و القصر و اتساع الأعلى أو الأسفل أو ضيقهما والرائحة و غيرها نذكر منها: الغرس، دقلة نور، فزاني، فطيمي، حمراية، العنابية، السرسارة، الرطبة، تنسين تفرزايت[3]. وهناك أنواع أخرى من الأشجار كالعنب، التين، الرمان، البرتقال، الخروب، التفاح، التاي،العليق و القصب...[4].

الحيوانات و الطيور

تعيش في وادي سوف أنواع متعددة من الحيوانات أهمها:الجمل فهو رفيق الإنسان والحامل لأثقالها والصابر معه على جفاف الصحاري، و العديد من الحيوانات البرية الأليفة: كالغزلان الماعز، الضأن، الحميروالبغال والخيل، الأرنب، القنفذ، الجربوع والقط... ومن الزواحف: الشرشمان[5]، الزروزمية، الورن والأفاعي[6]. و الطيور كذلك كثيرة كثيرة منها: الدجاج، اليمام، الحجلة، البوم، الخفاش، و الأنيس ويسمى عندنا بوبشير...[7].

ثانيا: الإطار التاريخي

تشير المصادر التاريخية إلى أن سوف مرت بمرحلتين تاريخيتين هما:

- مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي.
- مرحلة ما بعد الفتح الإسلامي.

[1] ينظر: إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص52.

[2] العجوة: هي التمر التام النضج.

[3] ينظر: إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، ص65.

[4] المرجع نفسه، ص 52-53-61-62-63.

[5] الشرشمان: و هو نوع من الجذون، يقال له سمك الرمل لأنه يغوص في الرمل كما يغوص السمك في الماء، و تسمى في العربية السقنقورة.

[6] ينظر: إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص 68-69.

[7] المرجع نفسه، ص69-70-71

1. مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي

كان تواجد الجنس البشري في سوف يعود إلى قرون غابرة لتوفرها على عناصر المعيشة. حيث يقول الدكتور أحمد نجاح: "وسوف لم تكن مجر مكان عبور، ولكنها كانت مأهولة بسكان من عدة أجناس كانوا يمرون بها من كل الاتجاهات على ظهور الجمال"[1]على الرغم من الطابع الصحراوي للمنطقة. و الدليل على ذلك بعض الاكتشافات منها: العثور على هيكل عظمي لفيل عظيم منقرض من نوع "الماموث" سنة 1957م كان مدفونا شرق حاسي خليفة[2].

و من تلك الأجناس:

البربر:

الذين اتخذوا من المغرب موطن لهم بما فيها التخوم الشمالية للصحراء[3]. بحيث أن برابرة زناتة*دخلوا سوف متأخرين. و لقبيلة زناتة فرق عديدة منها: زوارة، زواغة، دمر، بنو مغرا، هراطيل، و بنو يفرن...[4] وهناك بعض الأماكن موجودة الآن تسمى بهم مثل: تغزوت، زقم، وتكسبت، و أسماء بعض التمور منها: تكر مست، تفازوين، و تفرزايت[5].

و تذكر المصادر التاريخية أن أجناس أخرى سكنت أرض سوف منها:

الفينيقيون (الكنعانيون)

حيث طالت إقامتهم بسوف، وكانت مساكنهم في وادي الجردانية و البليدة القديمة[6]، و كانوا أصحاب أموال و إبل و تجارة.

---

[1] D.Ahmed Nadjh. Op.cit. p48.

[2] ينظر: ابراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة، ص 200.

*زاتة: و تسبب إلى يحي بن صولات بن روساك بن ضري بن رحيك بن مادغش بن برب، وقيل: إلى جانا بن يحي بن ضريس جالوت بن هريك بن جديلات بن جالود بن ريلات بن عصى بن بادين بن رحيك بن مادغش الأبتر بن قيس عيلان بن مضر، فيكون بذلك من العرب المستعربة.

[3] ينظر: إبراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة، ص201.

[4] ينظر: ابراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص104.

[5] ينظر: براهيم مياسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص 202.

[6] الجردانية و البليدة، تقعان شمال شرق مدينة الوادي، لم يبقى منها إلا بعض الآثار.

الرومان

قدموا منذ عهد طويل إلى سوف وسكنوا الجردانية والبليدة وبنو قرى عديدة حيث وجدت آثارها في سندروس[1] و قمار و الرقيبة و غرد الوصيف[2].بالإضافة إلى العثور على القطع النقدية الرومانية، منها قطعة نقدية تحمل صورة للقيصر (أوغست)[3].

الوندال

كانوا ملكهم يسمى جنسريق، قدموا إلى افريقية عن طريق المغرب الأقصى سنة 427م حيث أفسدوا وخربوا ما في طريقهم من مدن وقرى وشجر. واستقروا كثير منهم في أرض سوف بالضبط في سحبان[4] وجهلمة[5].

البيزنطيون (الروم)

حيث في هذه الفترة عرفت الديانة المسيحية انتشارا واسعا. في ذلك يقول ابراهيم العوامر: "ومن الروم ذهب جماعة من الرهبان إلى جهة الجنوب ومنها أرض سوف فنزلوا عند من سبقوهم من الرومان بجهلمة وسحبان و بنو أمكنة سواها للعزلة و الاستيطان"[6]

2. مرحلة ما بعد الفتح الإسلامي

في عام 46 هـ و لي عقبة بن نافع القهري أمر افريقية، حيث فتحت في عهده وادي سوف، "وعين حسانا بن النعمان على رأس الجيش و أمره بالتوغل في المنطقة ما بين بسكرة و ورقلة و في ضمنها وادي سوف، وكان ضمن سرايا المسلمين التي بقيت تلقن تعاليم الإسلام بالمنطقة للبعض من بني عدوان فكونوا النواة الأولى لوجود قبيلة عدوان بأرض سوف"[7].

[1] سندروس: تقع جنوب شرق مدينة الوادي ببلدية العقلة على بعد حوالي 20كلم، و قيل سمية بهذا الاسم نسبة إلى القديسة "سانت روس".

[2] غرد الوصيف: يقع على بعد 40كلم جنوب غرب الوادي.

[3] تزن هذه القطعة 30 غ وهي معروضة بمتحف الوادي و تخلد السنة 18 من تنصيب أوغست على العرش.

[4] سحبان: جنوب غرب الوادي بنحو 20كلم.

[5] لم يبقى اليوم ذكر لاسم جهملة و قيل أنها كانت مكان قمار الآن أو قربه: ينظر الصروف ص 112-113.

[6] ابراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء سوف، ص 114.

[7] ابراهيم العوامر، المرجع السابق، ص 118.

دخول بني هلال و بني سليم إلى سوف

و في حدود سنة 1051م وصل بنو هلال أرض سوف[1]، حيث توالت هجرتهم على شكل دفعات متتالية. و مازالت بعض الأماكن تنسب إليهم إلى اليوم مثل: وادي الهلالي*. أما بنو سليم "كان دخولهم إلى سوف في حدود 1437م"[2]، "فقد تأخروا بطرابلس أي لم يدخلوا افريقية صحبة الحملة الهلالية بل تأخروا حينا من الزمن"[3]. وذكر ابن خلدون أن ضمن هذه الهجرة قبائل أخرى، حيث يقول" وكان فيهم من غير هلال كثير من فزارة وأشجع من بطون غطفان وجشم بن معاوية بن بكر بن زهوان وسلول بن مرة بن صعصعة بن معاوية و المعقل بن بطون اليمنية وعمره بن أسد بن عامر بن صعصعة و عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان و طرود بطون من فهم بن قيس..."[4].

نزول عدوان و طرود بوادي سوف

منذ بداية الفتح الإسلامي لمنطقة سوف، كان يوجد بها البعض من بني عدوان و توالى التحاق الباقي منهم إلى سنة 655هـ/1258م. أما الطرود كان وقت دخولهم وادي سوف سنة 800هـ/1398م،"وانتشرت طرود قطعا من محل الوادي الآن إلى سندروس ووادي العلندة و نواحي الفولية و بورقيبة"[5]. أي "نزلت قبيلة الطرود بالناحية الجنوبية الشرقية لمدينة الوادي، واستقرت قبيلة عدوان بالناحية الشمالية منها"[6].

نسب سكان وادي سوف

إن أغلب القبائل المهاجرة إلى سوف تنتمي إلى طرود و عدوان و هلال و سليم، وينتسبون جميعا إلى قيس عيلان و هو إلياس بن مضر الذي يرتقي نسبه إلى العرب العدنانية.

1- قبائل طرود: تنتسب إلى طرود بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن معد بن عدنان.
2- قبائل عدوان: تنتسب إلى عدوان بن عمرو بن قيس عيلان مصر بن نزار بن نعد بن عدنان. والملاحظ التقاء نسب طرود و عدوان في جدهم (عمرو بن قيس عيلان).
3- قبائل هلال: تنتسب إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

[1]D.Ahmed Nadjh. Op.cit. p95.96.

*وادي الهلالي:اسم المكان جنوب منطقة سندروس ببلدية العقلة.

[2] ابراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص174.

[3]المرجع نفسه، ص129.

[4] ابراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة، ص 211.

[5] ابراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص161.

[6] ابراهيم مياسي، من تاريخ وادي سوف مدينة الألف قبة، ص 214.

4- قبائل سليم: و تنتسب إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. الملاحظ التقاء نسب هلال و سليم في جدهم (منصور).

مع وجود بعض العشائر المنحدرة من أصول بربرية مثل: الجلايصة، و أولاد بو عافية[1].

وادي سوف في العهد العثماني (1830/1518م)

لما خضعت الجزائر للحكم العثماني 1518م، و قسمت الجزائر إلى مقاطعات كانت وادي سوف تابعة لبيالك الشرق و عاصمتها قسنطينة، و كان شيخ العرب هو ممثل الباي في المنطقة، وهو المشرف على عملية جمع الضرائب، و عند التملص من الدفع يخضعون لضغوط خاصة في الفترة ما بين 1700م و 1844م. حيث كانت وادي سوف تتمتع بنوع من الاستقلالية حيث كانت السلطة اسمية فقط على أهل سوف[2].

الاحتلال الفرنسي لوادي سوف

في ديسمبر 1854م وصل العقيد الفرنسي "ديفو،Desvaux." إلى وادي سوف بهدف استطلاع الوضع العام، ثم رجع إلى تقرت ليعلن يوم 26 ديسمبر 1854 على أن "سي علي باي بن فرحات" ممثل فرنسا و قائد على تقرت ووادي ريغ و وادي سوف. ولم يقبل أهل المنطقة هذا الممثل بل قاموا بالعديد من الانتفاضات الشعبية، قادها الشيخ سليمان بن جلاب." ولم تتمكن القوات الفرنسية من احتلال سوف إلا سنة 1881م. و لم تستطع الدخول إلى الوادي إلا سنة 31 ماي 1887م"[3]. لكن حركات المقاومة قد أعدت نفسها بقيادة كل من: سي النعيمي[4] و محمد بوعلايق[5]. كما كان لثورة محمد بن التومي بشوشة (1869-1875م) دور كبير في في مضايقة المستعمر و عرقلة توسعه في الصحراء. و تواصلت الانتفاضة الشعبية على يد الشيخ الهاشمي الشريف[6]، أبرز محطاتها "هدة عميش الأولى" سنة 1918م، ثم "هدة عميش الثانية" بقيادة الشيخ عبد العزيز الشريف[7]نجل الشيخ الهاشمي الشريف من13 إلى 18 أفريل 1938. واستمر نشاط وكفاح أهل المنطقة إلى اندلا ع الثورة المباركة و الدليل هو العدد الهائل من الشهداء الذي بلغ عددهم حوالي 764 شهيد.[8]

---

[1] ينظر: ابراهيم العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص 270-290-323.

[2] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص13-16.

[3] مفكرة نهاية القرن العشرين 1999-2000، إعدادمجموعة من المؤلفين، فكرة و إعداد المطبعة العصرية الوادي،فيفري 1999، ص9 و 10.

[4] سي النعيمي: من اولاد سيدي الشيخ، شارك في المقاومة مع الشريف محمد بن عبد الله و بن شهرة سنة 1853.

[5] محمد بوعلايق: أحد المتمردين على السلطة في تونس.

[6] الشيخ الهاشمي الشريف: ولد بنفطة بالجريد التونسي خلال سنة 1853م، من أم سوفية من عميش،و أبوه هو ابراهيم بن محمد بن عطية الشريف مؤسس الزاوية القادرية بنفطة، حفظ القرآن و تعلم أصول الفقه بتونس، قدم إلى وادي سوف سنة 1886م، و استقر بقرية البياضة، وأنشأ بها الزاوية المعروفة إلى اليوم، توفي الشيخ الهاشمي يوم 23 سبتمبر 1923م.

[7] عبد العزيز شريف: ولد سنة 1829م بالبياضة حفظ القرآن ثم التحق بجامع الزيتونة سنة 1913م، تولى مشيخة الزاوية بجميع ملحقاتها، ليتحول فيما بعد إلى الإصلاح، حيث قدم في المؤتمر السنوي العام لجمعية العلماء سنة 1937م على أنه عضو من أعضاء الجمعية. وكان له دور فعال خاصة أحداث أفريل 1938م "هدة عميش الثانية" و التي نفي على إثرها إلى تونس و بقي هناك إلى أن توفي سنة 1965.

[8] ينظر: السجل الذهبي لشهداء ولاية الوادي 1962/1954م، مديرية المجاهدين لولاية الوادي، سنة 2005م، ص 51-85.

ثالثا: الإطار الاجتماعي

قد يرتبط هذا الجانب بموضوع بحثنا ارتباطا وثيقا، حيث يتعلق كل مجتمع بمختلف شرائحه بتراثه و تاريخه العريق، الذي تتناقله الأجيال عن طريق ما يرويه الأجداد.وبتدرج النظام الاجتماعي في وادي سوف بداية من:

أ- **الأسرة**:هي الخلية الأساسية لبناء المجتمع، ولضمان سلامة هذه الخلية يجب أن ننظر إلى قائدها الأول وهو رب الأسرة و قد يكون الجد، لأن العادة جرت بتجمع الأسرة حتى تصل الأحفاد، حيث جميعا يضلهم سقف واحد، ونعني بذلك أنها تنتمي إلى العائلة الممتدة حيث "تتكون الأسرة الممتدة من ثلاثة أجيال الأبو الأم يمثلون الجيل الأول، وأبنائهم المتزوجون و يمثلون الجيل الثاني، وحفدتهم من الأطفال الأبناء و يمثلون الجيل الثالث"[1]. وتبقى الأسرة متماسكة و متلاحمةمدة طويلة، و تفقد هاته السمة إلا بعد عجز الأب أو وفاته. وهذا ما يمكن الجدة و الجد من رواية الحكايات و الألغاز على الأحفاد. وفي وادي سوف هناك نظام خاص يقوده الأب على مستوى الأسرة و القرارات تتخذ بحسم من طرفه بعد مشورة الأطراف الأخرى و لاسيما كبار الأبناء. حيث يخلفه عند غيابه أو وفاته أكبر أبنائه[2].

ب- **العائلة أو العرش**: فهي مجموعة من الأسر تشترك في اللقب عادة، أو تشترك في الجد وتختلف في اللقب ويقودها شيخ العرش معنويا لكونه أرجحهم عقلا و أرشدهم رأيا، بالإضافة إلى نفاذ كلمته. وفي الغالب تكون العائلة متجاورة في السكن و الأملاك الفلاحية. و صور التضامن و التكافل الاجتماعي بين الأسر: إذا أراد أحد من أهل البلدة بناء منزل، يدعو الجيران و الأهل فيشكلون عوانة (تويزة) و يتعاونون في بنائه. وكذلك بالنسبة لتسميد النخيل و خدمته حيث يتعاونون في الحفر و العزق و الدفن[3]

ج- **مكانة المرأة في المجتمع السوفي**: كانت المرأة تحتل المرتبة الثانوية في الأسرة، ودورها ينحصر في الطحن والعجن و الطبخ، وتنظيم "الحوش" وترتيبه، وتخيط الملابس[4].مع تربية الأولاد و العناية بهم، وتعلمهم حسن التعامل و تحمل المسؤولية حيث يقول المثل السوفي "ربي ضناك على الرخاء و الشدة"، كما كان لها دور مهم في مساعدة الرجل و حمل المشاق معه و التغلب على طبيعة الصحراء القاسية، ومساعدته في الرعي و خدمة الغيطان. كما تشتغل المرأة نفسها بخدمة الصوف لكسوة الأسرة[5] أو للبيع في السوق، وقد كان لها أوقات معينة للخروج من المنزل لزيارة الأهل أو تهنئة قريب أو تعزيته، و هي غالبا ما يكون عند صلاة المغرب أو العشاء أي ليلا عند خلو الطرقات من المارة ، ولا تخرج في النهار إلا للضرورة القصوى[6]. و بالتالي فالمرأة مع كل ما تقوم به من واجبات عاشت نوعا من التهميش و التقليل من مكانتها.

---

[1] أحمد زغب، مبادئ الأنثروبولوجيا (علم الانسان)، مطبعة سخري، ط1، سنة2012، ص87.

[2] ينظر: مفكرة نهاية القرن العشرين ص15 و 16 ماي 1999، و على غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص 131.

[3] ينظر: أحمد بن الطاهرمنصوري، الدر المصروف في تاريخ سوف، دار الهدى، ج1، ص90.

[4] ينظر: أبو القاسم عبد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1998، ج6، 1830-1954، ص 345.

[5] يشكل الصوف جزء أساسي في ألبسة أهل سوف تصنعه المرأة كالبرنوس و العفان.

[6] ينظر: أحمد بن الطاهر المنصوري، الدر المرصوف في تاريخ سوف، ص90.

د- عادات اللباس لدى أهل سوف: يشكل المجتمع السوفي القديم متباينين هما: الوسط الحضري والوسط البدوي، و لكل منهما مميزاته الخاصة، حيث يلاحظ اختلاف في الأزياء بين الوسط الحضري و الوسط البدوي لدى لرجال و النساء على حد سواء. ففي الوسط الحضري يلبس الرجال العمامة البيضاء والسروال العربي و الحذاء الخفيف مع الجلابة أو البرنوس. أما عن النساء فلباسهم قريب جدا من البدلة الشاوية الأوراسية فيما يسمى بـ "الملحفة". وقد يرتدي فوق الملحفة لباس يدعى الحولي[1]. بالإضافة إلى ما يلبسه النساء من حلي للزينة كالخلخال والشنقلات وشركة البلوط والمشرف ومساك الشعر[2]. أما طبيعة الألبسة عند الرجل البدوي فهي بسيطة حيث معظمها تصنع من الصوف كالبرنوس والعفان والقندورة[3]. في حين تلبس النساء كساءا أسود محاطا بسفائف[4]، إلا أن بعض القبائل البدوية تستعمل الملحفة البيضاء.

هـ- بعض عادات و تقاليد أهل المنطقة: "لكل شعب من شعوب الأرض تقاليده و عاداته تميزه عن غيره من الشعوب و كثيرا ما تكون هذه العادات وليدة حكايات شعبية، و أساطير يتناقلها الأحفاد على الأجداد ويتمسكون بها خوفا من ضياعها في متاهات التقدم و الحضارة"[5] و للتعرف على بعضها في سوف فضلنا الاطلاع أولا على بعض القيم التي يتميز بها أهل سوف كالعصبية في التضامن و التماسك الداخلي،ونصرة القريب، و الافتخار بالنسب واحترام الأهل والشرف، والبأس والبسالة و الإقدام و الرجولة، وقيم الضيافة و الأمانة و الصدق و الصبر. كل هذه القيم أدت بهم للتضامن مع بعضهم البعض و علمتهم الطبيعة قيم التكافل الاجتماعي، و أعطتهم نوعا من الاشتراكية[6]كما ذكرنا سابقا نظام "العوانة" أو ما يطلق عليه "التويزة" في مناطق أخرى من القطر الجزائري. بالإضافة إلى الزكاة التي يطلق عليها في المنطقة "العشور" وقد خصصت في الزقم غرفة تسمى "دار العشور" يضع فيها كل من وجبت عليه الزكاة العشرة من تمره ثم يوزعها أمين الدار المكلف بذلك على الفقراء و المساكين[7]. ويظهر التكافل في الأعياد و المناسبات الدينية كعاشوراء كعاشوراء و المولد النبوي الشريف و شهر رمضان و الأفراح كالزواجوالولادة والختان، وفي المآتم، و الأعياد الشعبية كعيد الخريف الذي يحتفل به بذبح جمل أو ناقة و توزع على سكان الحي، والغني يدفع تكاليف الفقير[8]. ومن العادات التي يهتم بها السوفي أيضا الطقوس التي تقام في الزواج، و خير مثال عن ذلك ما يدعى بـ "رقصة النخ" التي تقوم بها بعض الفتيات في العرس بتحريك رؤوسهن ليتحرك الشعر من اليمين إلى

---

[1] Andre- Roger Voisin. Le souf monographie. El walid ed el-oued 2004. P 140.

[2] ينظر: بن سالم بن الطيب بالهادف، سوف تاريخ و ثقافة، (دط)، (دت)، ص 142.

[3] ينظر: بن سالم بن الطيب بالهادف، سوف تاريخ و ثقافة، (دط)، (دت)، ص172، و أحمد نجاح، سوف الواحات، ص96.

[4] السفايف: و لها قيمة جمالية في الحولي، ونجد في أحد الأغاني الشعبية في المنطقة تقول: والحولي سيتان زيداته سفيفة (ينظر: حسان الجيلاني، من التراث الغنائي بوادي سوف دار الشهاب، باتنة – الجزائر، (دت)، ص 194.

[5] أديب أبي ضاهر، عادات الشعوب و تقاليدها، دار الكاتب العربي، دار الشواف للنشر، ط1، 1993، ص113.

[6] ينظر: محمد بن عمارة، العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية –وادي سوف إنموذجا- دراسة في علم الاجتماع البيئة، منشورات مكتبة إقرأ –قسنطينة-، ط1، 2010، ص 45-46.

[7] ينظر: أحمد بن الطاهر منصوري، الدر المرصوف في تاريخ سوف، ص86.

[8] ينظرك أحمد بن عمارة، العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية، ص177-178.

اليسار تارة من الخلف إلى الأمام تارة و تكون مسايرة أنغام المزمار و إيقاع الدفوف مع زغاريد النساء. و الرداسي الذي هو طابع من الطبوع الغنائية الرجالية التي تقام في الأعراس[1]، "وهذا الشاعر الحاج سعد بن حمة الصالح الزغدي من قصائده التي كانت ولا تزال تنشد في حفلات الأعراس هذه القصيدة من إيقاع الرداسي تنشد غالبا رفقة الدف مع رقصة النخ:

تلالحمت صف صف ضيق العيشة شفة نقية ني رحت مدروك خذا الحال في[2].

و التنافس بين الشعراء الشعبيين و التباري بألغا "رباطية العرس". أما ما يتعلق بالولادة فمن عاداتهم إذا كان المولود ذكرا يفرح به الجميع، وينال نصيبه من زغاريد النساء. أما إذا كانت أنثى فيمر الأمر في صمت. وهي عادة قديمة و سيئة و قد حاربها القرآن الكريم حيث قال الله تعالى:﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (58)﴾[3]ومن التقاليد المتعلقة بالمناسبات الدينية كالاحتفال بذكرى عاشوراء و هي ذكر العاشر من شهر محرم، والذي يحتفل الناس في لياليه بإقامة مهرجانات فيها الغناء و قول الشعر، ممتزجة بالألعاب والتمثيل الفكاهي، كما يتم فيها التوسعة على العيال بشراء الأطعمة المختلفة خاصة اللحم[4]وكل ذلك نتيجة للقاءات والتجمعات لأهل المنطقة في فضاءات معينة حيث يعتبر المسجد مؤسسة جامعة، وهيئة داعية للخير والترابط، وإقامة حلقات للمواعظ والقصص و المغازي، ثم يأتي السوق كمكان آخر للتجمعات والتعارف والتبادل التجاري وتوطيد العلاقات بين أهل المدينة والبادية، ومركز لنقل الأخبار وتوصيل الأمانات والرسائل.

و- الطابع المعماري في وادي سوف

لو نظر الإنسان إلى مدينة وادي سوف من مكان مرتفع، لتاه بصره بين الآلاف من القباب و الأدماس لذا أطلق عليها اسم"مدينة الألف قبة"، وقيل أن الكاتبة و الصحافية "إيزبيل أبرهاردت"[5]هي التي أطلقت هذه التسمية و ذلك في حدود سنة 1904م، حيث هذه القباب و الأدماس أصبحت تشكل طابعا معماريا خاصا بسوف و رمزا ثقافيا أملته الظروف الطبيعية و الجذور التاريخية، فلها مزايا تدل على ابداع و إصرار السوفي على التكيف و التغلب على الطبيعة الصحراوية القاسية، وذلك لأن شكل القباب و الأدماس يساعد على تبعثر أشعة الشمس المسلطة عليه و تخفيف حدتها و على منع تراكم الرمال نتيجة العواصف، كما أن تجويف القبة أو الدمسة داخل البيت يوفر مزيد من الهواء و يحسن درجة الحرارة فيها.[6]

[1]Andre- Roger Voisin. Op.cit. p237.

[2] أحمد زغب ، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2006، ج1، ص97.

[3]سورة النحل، الآية رقم 58.

[4] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص 170

[5] إيزبيل أبرهاردت: كاتبة و صحفية تنحدر من أصل روسي و أم ألمانية، ولدت بجنيف 17 فيفري 1877، جاءت إلى وادي سوف بتاريخ 04 أوت 1900، عشقت مدينة الوادي و عاشت فيها، ويقال أنها دخلت افسلام و تعلقت بالعادات و التقاليدالسوفية، توفيت بعين الصفراء يوم: 21 أكتوبر 1904

[6] ينظر: ابراهيم العوامر الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص85.

رابعا: الإطار الاقتصادي

يتمثل النشاط الاقتصادي في سوف في أربعة اتجاهات رئيسية تتلائم مع الطابع الجغرافي للمنطقة، وتلبية حاجيات البشر، وهاته الأنشطة هي: الزراعة و تربية المواشي، و التجارة و الصناعة التقليدية.

1. **الزراعة:** أبرز الأنشطة في المنطقة غراسة النخيل بحيث له دور مهم في تطوير الاقتصاد و الاكتفاء الذاتي وبحكم موقع وادي سوف و مناخها (الحرارة و قلة الرطوبة و ندرة الأمطار) ازدهرت زراعة هذا النوع مع العلم أن للفلاح دوره الفعال حيث يقوم باختيار المكان المناسب القريب من المياه الجوفية، ثم رفع الرملة لتهيئة أرض الحشانة[1]وجعلها على مستوى أرضية الغوط[2]و يحتاج لذلك العبانة والمكرة والزنبيل[3] والعزق و هي تهيئة الأرض التي ستعلف لجعلها ميسرة لسريان العروق و العلف عبر عزق الأرض وخلطها بالسماد المتمثل في بعر الإبل. ثم يأتي بعد ذلك تأبير النخيل و تبدأ بإنتاج الطلع غالبا بداية من أواخر شهر فيفري، فتطل الطلعة على شكل قوس و توضع حبوب اللقاح "الذكار" في الطلعة، لتبدأ مراحل تطور هذا الثمار حيث يظهر "البزير" ثم "البلح الأخضر" ثم "البسر الأصفر" ليحمر و يصبح تمرا ناضجا. وكل هذا يحتاج من الفلاح الصبر و العزم وخاصة مع قسوة المناخ، و عدا هذه الأعمال فإن الأعمال الأخرى تكون عوانة إذ يحتاج الفلاح لأكثر من جهود عائلية، من هذه الأعمال: الزرب[4] إذا كان الغوط جديدا يستدعي صاحبه "عوانة" أي جماعة تساعده في تزريب الدائرة، فيقوم البعض بتحضير الجريد و البعض يقوم بتهيئة أرض الزرب، أو حفر بئر... فليس على صاحب العمل سوى التكفل بفطورهم إن استمر العمل إلى الغذاء. وفي فصل الخريف و بعد الدورة السنوية يحين وقت جني التمور ويسمى في المنطقة "موسم القطع" فإذا كان للفلاح العديد من النخيل ولا تستطيع عائلته القيام بالعملية وحدها فإنه يستعين "بعوانة" يجمعون التمر والأجير الوحيد هو "القطاع" أي الذي يتسلق النخل و يقص الأعذاق. ويعد انتهاء عملية جني يحمل التمر فوق الظهر بواسطة الحيوانات إلى البيوت فيخزن التمر المعد للاستهلاك الذاتي، ويوضع التمر المعد للبيع و التصدير في أكياس خاصة و يميزه عن غيره[5] . وبالتالي فإن الفلاح السوفي متعلق كثيرا بالنخيل ونلاحظ ذلك في أشعارهم، و في في هذا يقول الشاعر العربي بن الطاهر دوقة المعروف بالحشان:

[1] الحشانة: وهي الغرسة الفتية التي تتراوح عمراها ما بين 3 إلى 6 سنوات.

[2] الغوط: هو الأرض المنخفضة و القريبة من المياه الجوفية.

[3]الزنبيل: وهو عبارة عن مزود من سعف النخيل، عرضه حوالي 85 سم و طوله ما بين 1.10 إلى 1.50م يوضع فوق ظهر الحمار و يملأ بالرمل. ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص 64-65.

[4] الزرب: عبارة عن سور من جريد النخيل مرصوف متوازية و يقام في أعلى الغوط فوق الكثبان الرملية لمنع تقدم الرمال إلى الأسفل

[5] ينظر: علي بوصبيع العايش، النخيل ثقافيا و اقتصاديا في حياة أهل سوف، محاضرات الندوة الفكرية الثامنة للجمعية الوطنية الثقافية محمد الأمين العمودي بالوادي ايام 28 و29 و 30 مارس 1995، ص 15-16-18.

غير اخدم على الحشان فـــي الـــدنيا و آخـــرة مضـــمان

تواكي نغنى من بلحق واطمعت وإن شآء الله نلحـــق[1]

ومن جهة أخرى تصنف زراعة التبغ في المرتبة الثانية بعد التمور، اشتهرت بزراعته قمار والرقيبة والمقرن[2] كما اهتم الفلاح ببعض الزراعات و المنتجات الفلاحية ذات الاستهلاك العائلي، أو للبيع في الأسواق المحلية وفي هذه الحالة يحتاج الفلاح إلى البئر و الخطارة والماجن و السواقي و الميزاب[3]، فاليوم مثلا تشهد المنطقة ثورة فلاحية لإنتاج محصولي البطاطا و الزيتون.

2. **تربية المواشي:** لقد كانت في القديم تربية المواشي –إبل و ماعز و ضأن– تتمركز في البوادي معتمدة عن الرعي وماجادت به الأرض من الأعشاب الصحراوية الرعوية المرتبطة بنزول المطر، لذلك كان الحل والترحال بحثا على الماء والكلأ من ميزات البدو[4].وللأنعام فوائد عديدة كالصوف والوبر واللحوم والزبدة أي تلبية الحاجيات الأساسية أو بيعها واعتبارها موردا ماليا، فالإبل مثلا تعد في مقدمة تلبية حاجيات البدو إذ منها ركوبهم و غذائهم وسكنهم وكسائهم، فلا يستغني البدو عن الجمل[5]، وهو شديد التعلق بها، فلا عجب أن يكون هذا الحيوان موضوع أشعارهم كقصيدة الشاعر الشعبي الساسي حمادي و التي تقول:

كسبنـا غدايـــــد إبلهـا و أذواد يتنقمر عليها فحلها

مرتعها زمول الرمل و امدخلها مخاليلهـا فـي عقابهـا تتزاقـة

مهما أصعب الرمال ما إحصلها حني بدو و مراحيلنا سواقة[6]

سواقة[6]

لكن هذه الثروة الحيوانية سجل عليها تناقص ملحوظ من سنة إلى أخرى وذلك يتبين في الإحصائيات التالية: ففي بدايات السيتينات من القرن العشرين كانت الحصيلة كالآتي:6000 رأسا من الإبل، و 25000 رأسا من الماعز و10000رأسا من الضأن، بينما في 1920 كانت الأرقام التالية: 10000 رأسا من الإبل، و50000 رأس من الماعز،و40000 رأسا من الضأن[7].وإلى جانب المواشي يهتم أهل سوف بتربية الدواجن، بالإضافة إلى الاهتمام بالخيل و الحمير للاستفادة منها في الغيطان "رفع الرملة"[8].

[1] أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة وادي سوف، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2010، ج3، ص73.

[2] ينظر: على غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص 65-66.

[3] ينظر: على غنابزية، مجتمع وادي سوف ، ص67.

[4] ينظر: محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال و الحكم الشعبية، ط1، 2012، ص 15-16.

[5] Andre- Roger Voisin. Op.cit. p234.

[6] محمد الصالح بن علي، محمد نافع حمادي، الشاعر الشعبي الساسي حمادي و مختارته من أشعاره، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2006، ص60.

[7] Andre- Roger Voisin. Op.cit. p241.

[8] Andre voisin. Op.cit.p178.

3. **التجارة:** إن الموقع الجغرافي للمنطقة –أي بين تونس وليبيا والعديد من الولايات الوطنية:- بسكرة وخنشلة و تبسة- جعلها نقطة تبادل تجاري إما محلي أو خارجي مع الدول المجاورة، حيث كانت مدينة الوادي هي المركز الاقتصادي الأساسي لكامل الاقليم، ويمثله السوق التي شيدت في قلب المنطقة. وباعتبار المنطقة منطلقا للقوافل في عملية الاستيراد والتصدير بأنواع السلع التجارية المتنوعة: كالتمور والحبوب والزيت والدهان واللحوم والصوف والسكر والشاي والقهوة والزرابي وهي معدة للتصدير والأواني الخزفية وتستورد بكميات كبيرة من الجريد التونسي والتبغ والجلة والحطب، بالإضافة إلى الحشان والخضر والفواكه والحيوانات والتي تباع يوم الجمعة[1].بما أن المنطقة تمثل منطقة عبور فتأتي القوافل من الجريد وقفصة ونفطة بتونس، ومن غدامس بالحدود الليبية،ومن الشرق الجزائري سكيكدة قسنطينة باتنة وبسكرة ومنها تواصل القوافل طريقها نحو بلاد السودان التي تعني قديما أقطار مالي والنيجر وشمال نيجيريا[2] كما كانت لها مبادلات مع بلاد الزاب ووادي ريغ ريغ و النمامشة –مع خنشلة وتبسة بالخصوص- عن طريق المقايضة (2 كلغ من التمر مقابل 1 كلغ من القمح)[3]. إن هذا التبادل والاحتكاك على العموم يساهم بشكل أو بآخر في التبادل الثقافي و خاصة الشعبية التي تعتمد على المشافهة.

4. **الصناعات التقليدية:** تميزت الصناعات التقليدية في سوف بالبساطة التي فرضتها الحاجة، وكانت معظمها إنتاج منزلي من مصنوعات مختلفة الأشكال والأنواع والألوان لتوفير بعض الموارد المالية، ثم تعدت هذه المنتجات حدود سوف بعد أن تطورت هذه الصناعة عبر الزمن، و التي تستمد موادها الأولية من غيطان المنطقة ونباتها وحيواناتها وصخورها. فمن النخلة تصنع الأواني والآلات و مواد البناء، فالسعف[4]يصنع منه الزنبيل و العلاقة[5]و المظلة و المنشة للتخفيف من حرارة الصيف، وكذلك يستغل من النخل عصي الجريد لصناعة الحمارة[6]، والليف لصنع العرى[7] والحبال. التيق لصنع الطبق والمثرد، والكرناف وما يمكن أن يصنع منه، وصوف الغنم و شعر الماعز و وبر الإبل تنسج الملابس (البرنوس، القندورة، القشابية العفان الرعاقية، الحوالى) و منسوجات أخرى منها: الغرارة[8] و الأفرشة و لوازم الخيام. كما يتم استغلال الأحجار الباطنية بعد بعد جمعها وحرقها و سحقها للحصول على "الجبس" الذي يعتبر المادة الأساسية لتشييد المباني[9]. بالإضافة

[1] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص 79-80-81-82-83.

[2] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف ، ص 84.

[3] المرجع نفسه، ص 96.

[4] السعف: هو أوراق النخل الذي يغطي جوانب الجريدة.

[5] لعلاقة: وهي آنية صغيرة يحملها الفلاح عند جني البس في الخريف من فوق النخلة، وحجمها يلائم احتياجات عائلته.

[6] الحمارة: هي وسياة تقليدية لرفع الشكوة، تتكون من ثلاثة عصي مربوطة من الأعلى عندما تفتح للرفع تصبح على شكل هرم.

[7] العرى: جمع عروة، و هي ذراع القفة.

[8] الغرارة: و تصنع من شعر و وبر و صوف، وهي أكياس كبيرة ذات خطوط عريضة سمراء و سوداء و تخصص لحمل الحبوب و التمور فوق ظهور الجمال.

[9] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص 69-70-74-57-76.

لهذا يهتمون بالصناعة الجلدية والمادية الأولية لها هي جلود الحيوانات الأليفة وخاصة الإبل والماعز والضأن و يعالج و تصنع منه السيور و الأكياس[1] و القرب[2] و الركوة[3] و الرقعة[4] و الدلاء.[5]

خامسا: الإطار الديني و الثقافي

في الجانب الأخير من الإطار العام لمنطقة سوف اضطررنا إلى الجمع بين الجانبين الثقافي و الديني، باعتبار التداخل وأن الدين جزء من ثقافة المجتمع عموما" هي ذلك الكل المركب، الذي يتضمن المعرفة والمتعقدات والفن و الأخلاق و القانون و العادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع"[6].

الدين لدى أهل سوف: و بما أن الدين يمثل جزءا من الثقافة حسب مفهومها عند تايلور، وهذا يعرض ما نجده في المجتمع السوفي حيث جل ثقافتهم مستمدة من الدين الإسلامي، لأنهم تأثروا به كثيرا والدليل على ذلك ما ينعكس على أقوالهم و أفعالهم، و يلتمس هذا عند مخالطة فرد أو جماعة من أهل المنطقة، ونلاحظ هذا في أدبهم شعرا كان أو نثر، كما كانوا يضيفون صبغة إسلامية على بعض الأعمال التي يقومون بها لتكتسي طابعا دينيا كأن يعتبر "البرنوس" لباس ديني أي يعتقدون أنه لباس النبي صلى الله عليه وسلم و الصحابة.

أما فيما يخص الشعر نجد الشاعر الساسي حمادي يقول في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

فـــي مولـــده محمـــد طـه رســول الله الممجــد
أبــوه عبــد الله بيــه نســعد مبعوث من الإله رسله لينا
و النور في مكه تجمع تلمد الروم قالوا شاهدت عنينا[7]

أما فيما يخص النثر فيظهر جليا في الأمثال و الحكم الشعبية نذكر على سبيل المثال ما يلي:

- **"الدايم ربي من غيره حد.**
- **أمشي مع ربي صحيح ما تزعزع ما تطيح"**[8]

و هي قيم مكتسبة من المؤسسات العلمية كالمساجد و المدارس، كما أن للأولياء والزوايا دور في الإصلاح و الحث على الصلاة والزكاة والسعي إلى الحج وتعظيم شهر رمضان والأمر بالمعروف واحترام الجار وإكرام الضيف...كما كان للمساجد الدور الأساسي في تحفيظ القرآن الكريم وهذا بسبب تعظيم شأنه و تقديره من

[1] Andre- Roger Voisin. Op.cit. p241.

[2] القرب: جمع قربة و هي المزادة، تصنع من جلد الماعز.

[3] الركوة: هي علبة من جلد الماعز.

[4] الرقعة: و هي من جلد تتخذ فراشا للإنسان أو الرحى.

[5] ينظر: ابراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص 88-89.

[6] دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة د.منير السعداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، مارس 2007، ص 31.

[7] محمد الصالح بن علي، محمد نافع حمادي، الشاعر الشعبي الساسي حمادي حياته و مختارات من أشعاره، ص 122.

[8] محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال و الحكم الشعبية، ص 64-37.

طرف الجميع، حيث كان مؤدب الصبيان يسمى "الطالب" أو "نعم سيدي" وعندما يحفظ الطفل القرآن الكريم على ظهر قلب تقام له وليمة واحتفال ويتجول فوق بغل في أرجاء القرية[1] ويكرم معلمه و أصدقائه في الكتاب بما تيسر من الطعام و يعلم به أهل الحي، وحفظ القرآن يوفر له فرصة الالتحاق بجامع الزيتونة لمواصلة التعليم الثانوي والعالي[2]. أما التعليم العام فعرف مصدرين مختلفين:

التعليم الرسمي الحكومي: "وكان تحت إشراف إدارة الاحتلال، و اعتمد على نشر اللغة و الثقافة الفرنسية"[3] حيث لجأت فرنسا لفتح المدارس بمدينة الوادي و كان أولها سنة 1884 بالوادي و قمار و كونين[4].

التعليم العربي الإسلامي: و كان هدفه الأساسي المحافظة على قيم المجتمع السوفي و عقيدته و بث الروح الوطنية. مع العلم أنه كان يوجد ثلاث حواضر علمية هي الوادي، و قمار، و الزقم. وقد أشرف عليها شيوخ علم جمعوا بين تعليم القرآن و العلوم الأخر كالفقه و النحو و الصرف و الحديث و الحساب و ما إلى ذلك. ومن العلماء البارزين: الشيخ محمد العربي بن محمد الصالح بن موسى (موساوي)، الشيخ أحمد سالم بقمار والشيخ بلقاسم بن محمد بن معمر بالزقم[5]. كما لا ننسى دور الطرق الصوفية. و جهودها من أجل تعليم القرآن الكريم، و المساهمة في حل القضايا السياسية و الاجتماعية و الثقافية، و من أهم هذه الطرق الصوفية:

الطريقة القادرية: أسسها عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محي الدين الجيلاني (471-561هـ، 1078-1166م) و لد في جيلان ثم إنتقل إلى بغداد. كان من كبار الزهاد والمتصوفين، برع في أساليب الوعظ، وتفقه وسمع الحديث[6]، وانتشرت طريقته. أما في منطقة وادي سوف،فإن أول أول زاوية أنشأت كانت على يد الشيخ الهاشمي بن إبراهيم الكيلاني بإيعاز من والده الذي كانت زاويته في مدينة نفطه، فقد أسس الشيخ الهاشمي زاوية البياضة، كما أسس أخوه لمام زاوية الرباح و ذلك أواخر القرن التاسع عشر.

الطريقة التجانية: أسسها أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، أبو العباس (1150-1230هـ، 1737-1815م) ولد في عين ماضي بالجزائر، و توفي في فاس[7].

ظهرت في أواخر القرن الثامن عشر[8]، و انتشرت زواياه في سوف و كانت أولها زواية قمار (1789م) أما أشهر الشيوخ الذين أشرفوا على الزاوية التجانية بقمار: الشيخ محمد الصغير بن الشيخ حاج علي، و الشيخ محمد العروسي التجاني[1]

---

[1] D.Ahmed Nadjh. Op.cit. p270.
[2] D.Ahmed Nadjh. Op.cit. 109.
[3] مفكرة نهاية القرن العشرين، ص5-6 أكتوبر 1999.
[4]. D.Ahmed Nadjh. Op.cit. p109.
[5] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، ص153،152.
[6] ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت 2002، ج4، ص47.
[7] ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، بيروت1980، ص62.
[8] D.Ahmed Nadjh. Op.cit. p 126.

الطريقة العزوزية: و هي طريقة رحمانية، مؤسسها بن عزوز الحسني الإدريسي (1756-1817م) صوفي زاهد من أهل طولقا[2]. وصلت إلى سوف و انتشرت على يد مؤسسها، ومن أبرز شيوخها في دوادي سوف: الشيخ سالم العايب (توفي سنة 1860م)، صاحب زواية سيدي سالم المعروفة و بها مدرسة لتعليم القرآن،وبعد وفاته تولى أمر الزاوية ابنه مصباح بن سيدي سالم[3].

الأدب الشعبي السوفي: نقتصر في هذا الفصل التمهيدي على إضاءات عامة للتعرف على ميدان البحث، ويعد الأدب الشعبي أحد النشاطات الثقافية المتداولة لدى أهل سوف، والأدب الشعبي بصفة عامة "هو الأدب الذي أنتجه فرد بعينه ثم ذاب في ذاتية الجماعة التي يتمنى إليها مصورا همومها وآلامها في قالب شعبي جماعي يتماشى ونظرتها ومستواها الفكري والثقافي واللغوي وموقعها الإيديولوجي إزاء المجتمع"[4]. وهنا نتلمس ثراء الأدب الشعبي في سوف وباقي المناطق عموما حيث معظم الأنواع والألوان الشعبية صورت البيئة السوفية بمختلف جوانبها الجغرافية و التاريخية و الاجتماعية و الدينية... وبالتالي فإن الأدب الشعبي اجتماعي و جماعي في شكله و مضمونه.

ويبرز لنا الأدب الشعبي في وادي سوف من خلال تعدد ألوانه ومنها:

الشعر الشعبي:الذي تعددت أغراضه ومواضيعه لا تبتعد كثيرا عن أغراض الشعر الفصيح منها:المدح، الهجاء الفخر والحماسة، الرثاء، الوصف، الغزل، والشعر الديني وغيرها.ومن أمثلة ذلك: قصائد الشاعر مبارك بالسعداني الحميدي المشهورة في الحكمة حيث يقول:

يا عقل واثقل نوصيك ليا كنت في العرف عايل
بالك من الهيت بديك تتبع قلال الثماير
وش لزك للشبابيك لا تلعب مع من يحايل[5]

و كان أغلب الشعراء لهم قصائد في وصف النخيل و التعبير عن تعلقهم الشديد به، و في هذا يقول الشاعر الشعبي علي عناد:

إذا كان أصلك حر ماكش دوني هات غلتك و نشفها بعيوني
جبار مترادع بدي تعلى إبتسم ظهر الطلع من الحمار
فسخ فدق ليفة جريدة كله ع لرض كهب ميز ثلث أشبار[6]

---

[1] ينظر: علي غنابزية: مجتمع وادي سوف، ص 178-179.

[2] ينظر: عادل نويهيض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص 232.

[3] ينظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف، 182،181.

[4] محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية و التطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)، (دت)، ص14.

[5] أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، ج1، ص24.

[6] محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي علي عناد، من إصدارات دار الثقافة بالوادي، ط1، 2008، ص 87.

الحكاية الشعبية: و القصة الشعبية في سوف تحمل في طياتها بعض المعتقدات و العادات و التقاليد الاجتماعية الراسخة في المجتمع مثل الاعتقاد في كرامات الأولياء والصالحين ووجود الجن والسحر[1]. من الحكايات المتداولة في سوف: قصة طنجيرة المهوبة، وحكاية علي بوكريشة...[2] مع العلم أن "الحكاية الشعبية عريقة أي أنها ليست من ابتكار لحظة معروفة أو موقف معروف، و ثاني خصائصها أنها تنتقل من شخص إلى آخر بحرية ولا يزعم أحد أن الفضل يعود إليه في أصالتها، و يكون الانتقال في الغالب عن طريق الرواية الشفاهية"[3]، ومن الرواة الذين برعوا في الرواية الشعبية وخاصة رواية المغازي في الأسواق والأماكن العامة والمناسبات في سوف: "العيد النوبلي" و "قدور بوحباكة" المعروف بـ "قدور السوفي"[4]

الأمثال الشعبية:"تجمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه وجود الكناية، فهو نهاية في البلاغة"[5]، والأمثال الشعبية السوفية موضوعها إبراز صور الحياة في مختلف جوانبها كصورة الكرم، القناعة، الفقر، الغنى، العمل، التعاون، و القيم الدينية و غيرها...مثل "الدايم رب من غيره حد" و"عروض الناس أمانة" و"ما في الشبعة فخره ولا في الجوع عار"[6] في حين يقول ابن عبد ربه الأمثال العربية بصفة عامة:"الأمثال جوهر الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان،فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها"[7]

اللغز الشعبي: وهو شكل أدبي شعبي قدم الأسطورة والحكاية الخرافية كما أنه يساويهما في الانتشار[8]، ولم يكن اللغز في الأصل مجرد كلمات محيرة تطرح للسؤال عن معناها بين تلك الأصحاب في الأمسيات الجميلة وهذا ما يدفعنا بوصفه عملا أدبيا شعبيا أصيلا شأنه شأن الأنواع الأدبية[9] مثل: "بعيرنا بارك وولداته تتعارك" الحل هو كانون العافية وغيرها من الألغاز الأخرى.

---

[1] ينظر: ثريا التيجاني، دراسة اجتماعية لغويا للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري- وادي سوف نوذجا- دار هومه، الجزائر، ص 124.

[2] المرجع نفسه، ص 136-137.

[3] عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، دار الكاتب العربي بالقاهرة، (دط)، (دت)، ص 11.

[4] ينظر: عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص 36-37.

[5] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق د.حسن نور الدين، دار الكتب العلمية، (طد)، (دت)، ج3، ص4.

[6] محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال و الحكم الشعبية، ص64-98-163

[7] ينظر: عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر طبعة2007، لا يوجد رقمها، ص57.

[8] المرجع نفسه، ص 57.

[9] نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي،دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ط) (د.ت)،ص191.

II- منطقة بلاد الجريد:

أولا: الموقع و الجغرافيا.

تعرف بلاد الجريد بقسطيلية،والتي كانت تشمل منذ العصور الإسلامية الأولى: توزر[1]وضواحيها ونفطة[2] و و ضواحيها، و قنطرار[3]، الحامة، و سدادة وتقيوس[4]، وقد أطلق الرحالة الإدريسي على قسطيلية تسمية توزر ثم ذكرها بقوله: "...و قسطيلية تسمى توزر و لها سور حصين و بها نخل كثير جدا و تمرها كثير تعم بلاد إفريقية و بها الأترج الكبير الحسن الطيب وأكثر الفواكه التي بها في حال معتدلة و بقولها كثيرة موجودة متناهية في الكثرة و الجودة و ماؤها غير طيب ولا مرو وسعر الطعام بها في أكثر الأوقات غال لأنه يجلب إليها وزروع الحنطة و الشعير بها قليل يسير، ويتصل بين جنوب منها و شرق مدينة الحمة و منها إلى تقيوس 20 ميلا، وتعد توزر عاصمة بلاد الجريد السنية"[5]وقد اقترب البكري كثيرا من هذا التحديد لبلاد الجريد وأطلق عليها قسطيلية وجعل آخرها مدينة توزر[6]، كما ذهب اليعقوبي إلى نفس التحديد الجغرافي حيث أطلق لفظة قسطيلية على أربع مدائن في قوله: "قفصة[7] مدينة حصينة عليها سور حجارة....ومن قفصة إلى مدائن قسطيلية، وهي أربع مدائن و في أرض واسعة واسعة لها النخل والزيتون، فالمدينة العظمى يقال لها توزر وبها ينزل العمال و الثانية يقال لها الحامة، و الثالثة تقيوس، و الرابعة نفطة، وحول هذه المدن الأربعة سباخ وأهل هذه المدن عجم من الروم القدم والبربر"[8]، أما

---

[1] ينظر الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله بن ‘دريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي من علماء القرن السادس الهجري): نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1466هـ/2006م، م1/ص277. صالح باجية: الإباضية بالجريد ص9.

[2] نفطة في قسطيلية من بلد الجريد في إقليم إفريقية بينها و بين قيطون بياضة مرحلة و منها إلى توزر مرحلة و نفطية مبنية بالصخر، عامرة آهله، بها جامع و مساجد و حمامات كثيرة و تجارات و نخيل و غلات و مياه جارية كثيرة سلفحة. وذكر البكري أنها مدينة بالصخر عامرة آهلها بها جامع و مساجد و حمامات كثيرة و هي كثيرة المياه السايحة حتى أن شربها بلا وزن و أشار إلى أنها جميع أهلها شيعة و تسمى الكوفه الصغرى و ذلك دلالة على تغلب مذهب الدولة العبيدية على المنطقة. ينظر الحميري: الروض المعطار، ص 578. البكري: المغرب،ص 74. صالح باجية: الإباضية بالجريد، ص 10.

[3] هي عاصمة الجريد الإباضية تسمى قنطرار و قنطرارة أو قنطار و قنطارة و هي بنفطة شرق درجين و تعتبر مركز الدعوة الإباضية كثر بها المشايخ و الطلبة و ازدهرت فيها حركة العلم و بقية مقصد علماء الإباضية إلى أواسط القرن الخامس الهجري و كانت عاصمة لمقاطعة تابعة للرستميين و كانت ذات عمارة واسعة و ثمار متنوعة و عيون جارية في ذلك العهد. ينظر صالح باجية: الإباضية بالجريد، ص12.

[4] تقيوس هي بلاد قطسلسة، وهي أربع مدن متقاربة عليها أسوار يكاد يكلم بعض أهلها بعض لتقاربها و لهم غبابت كثيرة النخل و الزيتون و جميع الفواكه و هي أكثر بلاد قسطيلية زيتونا و أكثر جباية و فيها العيون الكثيرة العذبة و المياه السائحة، نزل بها أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري الخارج على عبيد الله الشيعي و علم صبيانها القرآن على بابها. ينظر الحميري: الروض المعطار، ص 139-142. صالح باجبة: الإباضية بالجريد، ص6.

[5] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 10.

[6] البكري: المغرب، ص 74-75.

[7] قفصة مدينة من البلاد الجريدية بينها و بين تقيوس مرحلة، وهي كبيرة قديمة أزلية، و هي أعظم بلاد إفريقية نظرا، وهي مركز بلاد بها دائرة، و هي آهله عامرة فيها الأشجار و النخل و الزيتون و الفستق و فيها العيون و الأنهار و الآبار و حواليها نحو 200 قصر تعرف بقصور قفصة كان لها سور صخري جليل محكم الصناعة، و كان اسمها مدينة الحنية لوجود بنيان قديم بها، و هي متوسطة بين القيروان وقابس، و في داخلها عيون كثيرة و عذب ماؤها، ومنه تسقى نصف غاباتها و النصف الآخر يسقى من خارج المدينة من عين عظيمة تسمى عين المنستير، و لأهل قفصة في سقي جناتهم هندسة عظيمة و برسام شديد و تدقيق حساب. ينظر العيقوبي: البلدان، ص137-138. الإدريسي: نزهة المشتاق، م1/ص278-279. الحميري: الروض المعطار، ص477-479.

[8] اليعقوبي: البلدان، ص139.

الحميري فقد وسع إقليم الجريد فأدخل أيضا قابس[1] و قفصة في البلاد الجريدية و جعل آخرها بافريقية درجين[2]، وصل به إلى طولقة و بنطيوس[3].

أما ابن خلدون فقد أطلق أيضا لفظة قسطيلية على بلاد الجريد و عدد مدنها الأربع و هب توزر و نفطة و قفصة و نفزاوة، وذكر أنها مستبحرة العمران مستحكمة الحضارة مشتملة على النخل و الأنهار[4].

ثانيا: سكان بلاد الجريد

من الصعب تحديد قبيلة معينة في مكان معين لها استقرار دائم نهائي بالشمال الإفريقي قبل الفتح الإسلامي وحتى في العصور الإسلامية الأولى و ذلك لكثرة تنقل القبائل بحثا عن الماء و الكلأ و الأرض الخصبة و ملائمة المناخ. ومع ذلك فقد أجمع الرحالة القدامى على أن معظم سكان الجريد من قبيلة نفزاوة الراجعة إلى مادغس الأبتر والتي تشمل: ولهاصة، غساسة، زهيلة، سوماتة، ورسيف، زاتمية، وركول، وردغروس، و ردين. و يشير الدرجيني في طبقاته إلى اتصال بعض علماء الجريد بقبيلة مزاتة. و في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي كان العرب بقسطيلية قلة، و البدو من لواته و زوراة و مكناسة موجودين بالواحات[5].

كما سكنها عدد هام من قبيلة نفوسة بقنطرارة، و قد لعبت هذه القبيلة دورا هاما في المجال السياسي والعسكري بالجريد التونسي في العصور الإسلامية الأولى. كما نجد أيضا تواجد قبيلة زناتة ممثلة في بني يفرون و بني درجين و يليلوبني واسين و بني تيجرت و توزعت تلك الفروع على قنطرار و الحامة و تقيوس[6]

ثالثا: الفتح الإسلامي لبلاد الجريد

تعتبر منطقة الجريد من أولى المناطق التي شملها الفتح الإسلامي كونها كانت على الطريق الذي سلكته الطلائع الأولى للفتح الإسلامي لبلاد المغرب بقيادة الفاتح عقبة بن نافع و التي قدمت من مصر عبر برقة على الطريق المتاخمة للصحراء اتقاء التصادم مع الروم البزنطيين الذين كانوا يسيطرون على الطريق الساحلي الشمالي المحاذي للبحر المتوسط.

---

[1] و قابس مدينة جليلة عامرة حفت بها نوع من نواحيها غابات جنات متلفة و حدائق مصطفة، و فواكه عامة رخيصة، و بها من التمر و الزروع و الضياع ما ليس بغيرها من البلاد و فيها الزيتون و نخل و غلات و عليها سور منيع يحيط به من خارجه خندق و لها أسواق و عمارات و تجارات و بضاعات و كان بها فيما سلف طرز يعمل به الحرير والحسن و بها مدابغ للجلود و لها واد يأتيها من غدير كبير، وبها من ناحية البحر أيضا سوق و باعة وحريريون كثيرون و شربهم من وادي قابس و ماء مدينة قابس غير طيب لنه شروب و أهلها يستسيغونه و بين قابس والبحر ستة أميال من جهة.الشمال. ينظر الإدريسي: نزهة المشتاق، م1/ص 279-280. وينظر الحميري: الروض المعطار، ص 45.

[2] الحميري: الروض المعطار، ص 236.

[3] مدن بيطيوس و هي ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض و في كل مدينة جامع فالاثنان لأهل السنة و الثالث لقوم من الخوارج الإباضية إحداها يسكنها قوم من الفرس يعرفون ببني جرح، و بغربيها نهر جار ينحدرإليها من ناحية الجنوب. البكري: المغرب، ص72. الحميري: الروض المعطار، ص400..

[4] ابن خلدون: العبر، ص1602.

[5] الدرجيني: الطبقات، ج1/ص 97.

[6] المرجع نفسه، ص 89.

و قد استطاع عقبة بن نافع فتح ودان وفزان و قفصة و قسطيلية وذلك أثناء حملته الأولى على المغرب سنة 50 هـ، فاستقراره بالقيروان مكنه من التحرك جنوبا لفتح بلاد الجريد و غدامس، ولم تذكر مصادر الفتح أي استقرار للعرب في المنطقة إلا عند زحف بني هلال و انقضاضهم على الدولة الصنهاجية[1].

رابعا: انتشار المذهب الإباضي بالجريد

انتشرت الإباضية ببلاد الجريد، وقد كانت هذه القبيلة "أحد القبائل بالجريد" من أوائل القبائل البربرية التي اعتنقت المذهب الإباضي و كان ذلك تزامنا مع دخول الدعوة إلى القيروان، حيث يذكر ليفتسكي أن المذهب قد جاء إلى افريقية من طرابلس ثم انتشر انتشارا واسعا في الشعوب البربرية بجهات جربة وجرجيس وورغمة مطماطة و قفصة و بلاد الجريد بمقاطعاتها التالية: قسطيلية، وقنطرارة، ونفزاوة[2]، وحارة نفطة، وكان لبلاد الجريد قوة عتيدة خصوصا أيام ازدهار مدينة درجين قرب نفطه، و كان سكان درجين يعدون وحدهم نحو ثمانية عشر ألف فارس و انتشرت الإباضية أيضا بين توزر و الحامة[3]، و ما إن دخل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي حتى اعتنق كل الجنوب التونسي الدعوة الإباضية[4].

وقد أكدت ذلك المصادر الجغرافية حيث يقول ابن حوقل في صورة الأرض: "فأما أهل قسطيلية و قفصة و نفطة و الحامة و سماطة و بشرى و أهل جبل نفوسة فسراة إباضبة أو وهبية..."[5]، و يضيف ياقوت الحموي في حديثه عن نفطة: "مدينة بافريقية من أعمال الزاب الكبير و أهلها شراة إباضية وهبية..."[6].

وبعد أن أسس ابن رستم دولته بتاهرت أصبحت بلاد الجريد و كل الجنوب التونسي ضمن أعماله ولعل مركز ولاته كان بقابس و نفزاوة و قفصة[7]، وكانت العاصمة الإباضية لبلاد الجريد في ذلك العهد قنطرارة الملاصقة الملاصقة لنفطه و أول والرستمي على قسطيلية هو أبو يونس وسيم بن سعيد القنطراري في عهد الإمام عبد الوهاب و خلفه ابنه سعيد في عهد الإمام أفلح و الذي استمرت ولايته إلى أواخر عهد الدولة[8]. وبعد سقوط تاهرت على يد العبيديين 296هـ/908م أصبحت تلك البلاد في بادئ أمرها شبه مستقلة يديرها مشايخ العلم

[1] صالح باجية: الإباضية بالجريد، ص21.

[2] بينها و بين القيروا ستة أيام ولها سور صخر و طوب و لها ستتة أبواب و لها جامعو حمام و أسواق حافلة و هي على نهر كثير النخل و الثمار و حواليها عيون كثيرة و بينها وبين قابس ثلاث مراحل و من نفزواة تسير إلى بلاد قسطيلية و بها ارض سواخة و سباخ، ويقال أنها متصلة ببلاد غدامس و هذه السباخ كلها ملائح. ينظر الحميري: الروض المعطار، ص578.

[3] علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج1/ ص515.

[4] تاديوش ليفتسكي: دراسات عن الإباضية، ص 78.

[5] ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ج1/ص93.

[6] ياقوت الحموي: معجم البلدان، م5/ص296.

[7] علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج1/ص517.

[8] صالح باجية: الإباضية بالجريد، ص40.

من أهلها ثم خضعت للدول المتغلبة على افريقية لكنها لم تتبع أي دولة كما لم تستطيع تأسيس دولة، ليرجع أمرها بعد ذلك إلى هيئة العزابة التي حلت محل الإمامة –وسنفصل ذلك لاحقا–

و من الأحداث التاريخية الهامة التي عرفتها بلاد الجريد بعد سقوط تاهرت هي احتضانها لثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد[1] –أصيل المنطقة– ابتداء من 322هـ/933م حيث انتشرت أفكاره وكثر أتباعه في قسطيلية و هو من النكار المعرضين للإمام عبد الوهاب وبعد سقوط تاهرت حول صراعه ضد الشيعة العبيديين ولما شاع أمره في الإقليم أرسل الخليفة العبيدي القائم بأمر الله (322هـ-334هـ/933م-945م) في طلبه من عامله على قسطيلية و توزجه في السجن بمدينة توزر ولكنه تمكن من الفرار بمساعدة أصحابه، وانتقل إلى جبل أوراس ليشرع بعدها في استنفار القبائل من البربر وخاصة منها هوارة بني كملان وبني درجين وبني واركلا وبني زنداك وغيرهم لمحاربة العبيديين[2]، واستمرت ثورته إلى عهد المنصور الذي استطاع تضييق الخناق عليها حتى قضى عليها بتونس و و قتل زعيمها أبي يزيد والتنكيل بجثته غي 336هـ/947م، وحاول أبناؤه الثلاثة الفضل و أيوب ويزيد الثأر لأبيهم، لكنهم فشلوا وقتل الفضل وأيوب سنة 341هـ/952م[3]وسرعان ما تم القضاء عليهم وعلى أتباعهم في نفس السنة، ليفر بعدها يزيد ومن بقي معه من أتباع إلى بلاط الأمويين بالأندلس[4].

و بمجيء الدولة الصنهاجية –التي خلفت الدولة الفاطمية– تنكرت لغير المذهب السني و قضت على أتباع المذهب الإباضي و نكلت بهم سنة 440هـ/1048م بقلعة درجين التي كانت آخر معقل لهم بمنطقة الجريد، و بقدوم جحافل العرب الهلالية في منتصف القرن 5هـ/11م أصبحت الإباضية بالجريد في حالة ضعف لا يحسدون عليها[5]، حيث أدى العرب دورا مهما في القضاء على المذاهب الخارجية غير السنية، ليأتي بعدهم في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي تيار التصوف السني بزعامة الشيخ الصوفي أبي علي النفطي السني الذي استطاع مع أتباعه ومريديه إنها الوجود الإباضي بمنطقة الجريد نهائيا واستحق بذلك لقب سلطان الجريد[6]، و هو لقب روحي مازال متداولا في المنطقة إلى اليوم[7]، لتتحول منطقة الجريد بعد ستة قرون إلى منطقة سنية مالكية و لتصبح نحلة الإباضية بها نسيا منسيا.

---

[1] هو أبو يزيد مخلد بن كيداد بن سعد بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورينت بن حنيفر بن سيمدان بن يفرن بن جانا و كنيته أبو يزيد و قيل هو من بني وراكو إحوة مارنجيصا من بطون بني يفرن الزناتية و قيل من بني وسيان، و ذهب الدرجيني إلى أن عشيرته من أهل تيطاوين و هم رهط من بني كندل، ولد بمدينة كوكو السودانية ما بين (267هـ - 272هـ/880م 885-م أصبح أبو يزيد يتردد بين توزر و بين تتقيوس من بلاد الجريد، فحفظ القرآن و خالط النكارية فتأثر بمذهبهم و مال إلى اعتقادهم، ثم أنشأت مدرسة في توزر لتعليم الصبيان ثم انتقل إلى تاهرت و درس بها المذهب الإباضي و عمل ناظرا بإحدى مدارسها، ثم عاد إلى تقيوس و ظل يعلم بها إلى أن بدأ دعوته إلى الثورة صد العبيديين. ينظر الدرجيني: الطبقات، ج1/ص97 وما بعدها. صالح باججية: الإباضية بالجريد، ص 115-116. سليمان بن الحاج داود بن يوسف: ثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة الله، دار البعث، قسنطينة الجزائر، ط1، 1402هـ/1981، ص21-23.

[2] مسعود مزهودي: جبل نفوسة، ص249 وما بعدها.

[3] سليمان بن الحاج دواد بن يوسف: ثورة أبي يزيد، ص 105.

[4] صالح باجية: الإباضية بالجريد، ص122.

[5] محمد حسن: المدينة و البادية بافريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس، 1999، ج1/ص31.

[6] محمد حسن: المرجع السابق، ص23.

[7] المرجع نفسه، 141.

خامسا: الحياة الثقافية و الاجتماعية عند إباضية الجريد

اكتسبت النحلة الخارجية في عصورها الأولى بالمغرب الإسلامي صبغة القومية و التستر بمذهب إسلامي لمقاومة العرب الفاتحين، كما عرفوا بالشجاعة و الاستبسال إلى درجة التهور إضافة لما اتصفوا به من شدة الورع و العبادة و الميل للرهبنة، و كل ذلك انعكس على واقع حياتهم الاجتماعية الثقافية، ولا نستطيع أن ننفي هنا أن الإباضية قد انفصلوا عن الخوارج بل قاموا بتكفيرهم و محاربتهم و تجمع الروايات التاريخية على أن الإباضية كانوا على قدر عال من الأخلاق و الفضائل و قد سار الرستميون سيرة مثالية في الاستقامة وحين السلوك و قد أعطوا العلم قدره فكان يقدم عندهم مجانا كما يقع الإنفاق على الطلبة من طرف أهل الفضل والموسرين كيف لا وقد كان أئمتهم علماء فقهاء و أدباء شعراء حفظت كتب التاريخ أدبهم و شعرهم. و إذا كانت القرون الإسلامية الثلاثة الأولى تشهد ازدهار علميا و أدبيا إذ كانت مرحلة ولادة و نشأة للثقافة العربية الإسلامية ببلاد البربر إلا أن عمليات الأسلمة و التعريب قد بدأت تؤتي أكلها في القرون الموالية برز في عهدهم من منطقة الجريد الكثير من العلماء و الأدباء الذين ذاع صيتهم و منهم أبو القاسم مخلد و أبو خزر يغلا[1]،ومن الأسر التي اشتهرت بالعلم بالمنطقة أسرة بن يخلف النفوسي التميجاري[2].

ونرى من إباضية الجريد من يسمو إلى مرتبة الأدب في النشر ففي القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي برز أبو العباس الدرجيني في كتابه الطبقات كما ألف ديوانا في الشعر لو صلنا لعرفنا مدى شاعرية هذا الرجل، كما أثبت أبو العباس نماذج من الشعر والنثر في كتابه الطبقات يمكن عدها من الأدب الإباضية بمنطقة الجريد وما حولها، وتعتبر و عائلة الدرجيني عريقة في الشعر فزيادة على أبي العباس كان منها أبوه سعيد وجده الأول أبو الربي سليمان. والنثر لدى الإباضية كان أحين حظا من الشعر لعل ذلك يعود لكثرة ممارسة النخبة بالشمال الإفريقي للنثر أكثر اطلاعهم على الشعر كما أن طبيعة المذهب الإباضي تعتبر الشعر ملهاة يصد عن الجد وعن ذكر الله على عكس النثر الذي يجدونه في كتب الدين المحببة إليهم[3]، وقد كان فقهاء وعلماء الإباضية يوصون أبنائهم بالابتعاد عن الشعر فهذا أبو الربيع سليمان بن يخلف –المذكور آنفا- لما سمع بابنه يرتاد مجالس الأدباء و يسلك مسلكهم عاتبه على ذلك و بين له أن في الاستغراق في ذلك عار كبير و قال له: اقلع عن الأشعار فقد اكترث و اشتغل بالفقه فرد عليه الخلف بن الخلف مرتجلا –و كان من أصحاب ابنه و هو شاعر مفوه-:

و نجد نثرهم في وصايا الشيوخ لأبنائهم و طلابهم كما فعل أبو صالح الوراجلاني عند وصيته لابنه و قد تناقلتها كتب التراث. ورغم نظرة الفقهاء المزردية للشعر فإنه برز منهم شعراء وصلنا من شعرهم على سبيل المثال

[1] الدرجيني: الطبقات، ج2/156 ومل بعدها.

[2] المصدر نفسه، ص 336. و ينظر أيضا الشماخي: كتاب السير، دار المدار، تونس، ط1، 2009، ج3/ص1010.

[3] الدرجيني: الطبقات، ج2/ص 249.

ما دونه أبو خزر الحامي في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي في قصيدة قالها مودعا بلده في هجرته إلى مصر –مكرها– صحبة المعز لدين الله الفاطمي.

و كنموذج للشعر الإباضي بمنطقة الجريد نورد القصيدة البائية التي قالها أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي المعروف بالطرفي يرثي بها شيخه أبا سليمان أيوب بن إسماعيل[1] مطلعها:

أيـــوب مـــا أيـــوب لا أيـــوب أودي بـه قـدر الـردى المجلـوب
فتلونـــــت أيامـــــه فتصـــــرمت حينا عليه و للردى تعقيب أوفى
علقتـه أشـراك الـردى مـن بعـد مـا على مائة و حاب الحوب و كذا
ماخط عي المكتوب لايخطى الفتى الفتى لم يخطه المكتوب
حكمت عليه يد المنية حكمها قبل المنية و لوحته خطوب[2]

وتمثل هذه القصيدة صورة ناطقة و خطوة هامة في تعريب البربر و ممارستهم للغة العربية و التعبير عنها بشتى العواطف و الأغراض و المسحة الشعرية تكسو الأبيات الأخرى من القصيدة و هي تخالف ما في مطلعها من ضعف و هلهله أحيانا كقوله:

يا غائبا سكن الثرى في حفرة تعلو الصفائح قبره و الطوب لم
إن غبت عن أبصارنا و أسماعنا تحجبـك عـن القلـوب غيـوب
فلئن رحلت و غبت عنا ميتا للحزن في الدنيا علي رقيب

و مع ذلك فإنه يعترف في بيت من أبيات القصيدة بخيانة اللغة العربي و عدم مطاوعتها للتعبير عما يجيش بصدره:

يا رحمة للعالمين فقدهم علم الهدى و تعر الأسلوب

و لأبي يعقوب هذا قصيدة حجازية مطولة عن رحلته إلى الحجاز أودعها فصولا في ثلاثمائة و ستين بيتا تدل على حصوله على بضاعة وافرة من اللغة غير مزجاة أثناء قراءته بقرطبة[3]، بدأ فيها بغزل رقيق ثم أورد رحلته من وارجلان و نبه عمن صحبهم في ذلك الركب، و أورد فيها علم مواعظ و عبر جمة فيها ما يشهد له باتساع العلم و الفن[4].

[1] ينظر ترجمته في طبقات الدرجيني، ج2/ص 283.
[2] الشماخي: السير، ج2/ص 617-631.
[3] المرجع نفسه، ص 642.
[4] الدرجيني: الطبقات، ج2/ ص 316.

III- أوجه الشبه والاختلاف لمنطقتي البحث:

أولا: أوجه الشبه:

1- الإطار الجغرافي الطبيعي: تنتشر هذه القبائل العربية البدوية في شكل مجتمعات متجانسة ثقافيا ومتقاربة إثنيا ومتفاعلة اجتماعيا على مساحات صحراوية واسعة متشابهة طبيعيا عبر ثلاثة أقطار عربية مغاربية: "الجزائر- تونس- وليبيا" فيما بين خطي عرض 30°- 34° شمالا وبين خطي طول: 6°- 12°تقع هذه الأراضي جنوب شط ملغيغ "الجزائر" وشط الجريد "تونس" وتشمل الجزء الأكبر من العرق الشرقي الكبير، وتشتمل مناطق المأهولة التالية: منطقة سوف، الجزائر، منطقتي نفزاوة، والجريد: تونس.

والعرق أراض رملية تغطيها الكثبان الرملية المتحركة، تغطيها بعض النباتات الشوكية سريعة الظهور، والاختفاء من جراء شح الأمطار وعدم انتظامها، وأهم هذه النباتات الدرين، والحاذ، ويصلحان كلأ للإبل، والعضيد والسعد والنبيز والحلفاء وغيرها.

كما تتشابه هذه المنطقتين في ارتفاع درجات الحرارة معظم شهور السنة وفي الجفاف وندرة الأمطار والرياح الجافة المصحوبة بالعواصف الرملية.[1]

2- التاريخ المشترك: يصف شاعر الثورة مفدي زكريا وحدة الشعبين في قوله:

وهل الجزائر غير تونس لحمة ووشيجة وأرومة وأصولا

وعلى مر التاريخ كانت تونس الوطن الثاني للجزائريين، فما أن يصاب المجتمع الجزائري بأي مكروه إلا ويلجأ إلى إخوانه التوانسة فيحمونه ويؤازرونه، ويقفون إلى جانبه.[2]

كما أن الشعب التونسي كانت له ردود ايجابية في مختلف العصور بحكم روابط الجوار، والعرق، والدم والتاريخ والمصير المشترك فقد كانت تونس فاتحة أبوابها للثوار والمقاومين الجزائريين حيت آوتهم وقت الشدة وحمتهم، وقدمت لهم كل العون والمساعدة والتأييد والأمثلة كثيرة على هذا التعاون المشترك، فبعد ثورة واحدة الزعاطشة سنة 1949م وقيام الجيش الفرنسي بتخريب الواحة عن آخرها ولجأ من نجا من الثوار والمقاومين إلى نفطة، وتوزر ونفزاوة بإقليم الجريد التونسي فآواهم السكان وقدموا لهم العون والمساعدة.[3]

---

[1] ينظر بسام العسلي، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر دار النفائس بيروت، ط1، 1982، ص86.

[2] أ.د. حسان الجيلاني، قصة العودة "مذكرات عائد من الرديف تونس إلى وادي سوف الجزائر في طائفة الاستقلال" الجزء الأول، دار هومة للنشر والتوزيع- الجزائر، 2011، ص23.

[3] أ.د. حسان الجيلاني، المرجع السابق، ص24،25.

وعندما خاض بن عمر الجيلاني وحمة لخضر معركة 17 رمضان سنة 1954م بحاسي خليفة بالوادي، إلتجأوا بعد المعركة إلى إخوانهم التوانسة بالرديف، الذين استقبلوهم بالأحضان، ووفروا لهم العلاج والدواء، وساعدوهم إلى أن تماثلوا للشفاء، وواصلوا جهادهم الأكبر فالجزائري يشعر أن تونس وطنه وهو ما أعلنه مفدي زكريا صراحة في قوله:

نحن من تونس في أوطاننا كم حبانا الشعب عطفا ووتاما
إن نسينا ما نسينا عونها وكريم العرق لا ينسى الكراما[1]

3- التجارة:

كان للعلاقات التجارية دور هامفي تواصل منطقة سوف مع الحماية التونسية خاصة بالمناطق الحدودية كالجريد التونسي وحيث أن القادمين من جهة وادي سوف لتوزر التونسية كانوا يمثلون الأغلبية، فهذه العلاقات والروابط تدل على رفض الأهالي المستمر التونسيين والجزائريين للحدود المصطنعة وتشمل التجارة بين المنطقتين القوافل التي تصل ميناء قابس والذي يعد متنافسا حقيقيا لمنطقة وادي سوف للتموين بالسلع الأوروبية، ويشمل ذلك السكر القهوة والتوابل والشاي[2] ولقد كان التبادل التجاري بين المنطقتين يتضمن بدوره تنسيقا أمنيا لحماية الحدود بين المناطق التونسية بالجريد ومحطة الوادي لمنع نشاط العصابات التي اعتادت على مهاجمة القوافل التجارية خاصة في منطقة الشطوط حيث تم تدعيم المنطقة بعدة فرق لحماية القوافل التجارية بين المنطقتين.[3]

4- طبائع أهل المنطقة وأخلاقهم:

يؤمن أهل سوف وأهل الجريد التونسي أن الإنسان المثالي يجب أن يكون مصدر خير لكل من حوله من بشر فهو كريم وشهم يبادر إلى نصرة المظلوم، ونجدة الملهوف. ويكافح في سبيل هذا السلوك النفس الأمارة بالسوء والشيطان، حيث نجد أن الإنسان في كلا المنطقتين يجاهد في سبيل أن يكف يده ولسانه عن الناس، يمتنع عن الكذب وشهادة الزور ونحوها من القيم التي يراها سلبية، ويجاهد نفسه على القناعة، والرضا بالقليل ومن طبائع أهل كل من المنطقتين نجد حسن النية وصفاء السريرة وإرجاع كل شيء إلى الدين ولا سيما إن كان مفضلا لديهم، ومتوارثا عن أسلافهم، ويؤمن بالشرف شرف الأمة العربية، وشرف النسب وشرف السلوك أيضا،فما لا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص26،27.

[2] محمد الطيب بن نوري، الوضع الاقتصادي والاجتماعية في توزر خلال النصف الثاني من القرن 19، شهادة الكفاءة في البحث، إشراف البشير تليلي، جامعة تونس، 1997، ص40.

[3] أنظر: A.N.T.S: A.C: 279,DOS175Police Sahrienne et Situation

[4] أنظر: A.N.T.S: A.C: 279,DOS175Police Sahrienne et Situation

5- نشاط آل الشابي بوادي سوف

ينتسب "الشابيون" إلى جدهم أحمد بن مخلوف الشابي (1492/1431م) من بلدة الشابة بالساحل التونسي، ولد ونشأ بها ثم تنقل إلى مدينة القروان داعيا لمذهبه الصوفي. وبعد سقوط دولتهم الشابية على يد العثمانيين، فر الشابيون إلى الجنوب الغربي التونسي و منطقة قسنطينة و بلاد سوف وواصلو دعوتهم الدينية والصوفية[1].فكان لهم دور فعال في الجانب الثقافي و الديني، بعدما سمع أن أهل سوف يتدينون بكل ما رأوه أو سمعوه. ومن ثم نزل بالزقم[2]. وقد كان للشيخ المسعود الشابي المتوفي سنة (1028هـ/1619م)[3]، و الذي يعود نسبه إلى عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل فضل كبير في نشر الدين و التوعية، وقد تزعم طريقة دينية تدعى الطريقة الشابية وسميت فيما بعد الطريقة الزروقية،وقد كان لها أتباع وأنصار. وكان قد أسس مسجدين أحدهما بالوادي و الثاني بقمار سنة 1597م. وله أخ و هو عبد الصمد الشابي المعروف بإبداع الألغاز الشعبية[4].

ثانيا: أوجه الاختلاف[5]:

- التفاوت في التطور الحضاري بين المنطقتين نظرا للظروف الاقتصادية والسياسية التي تنعكس على طبيعة المجتمع ونمط معيشته، إذ نجد المجتمع السوفي متطور نسبيا بالمقارنة مع المجتمع التونسي بمنطقة الجريد سواء من ناحية الاقتصادي أو المستوى الثقافي (عموما).
- تمسك أهالي منطقة الجريد بالعادات والتقاليد والموروث الشعبي وكذا تداول الأمثال الشعبية بكثرة في الحياة اليومية، لعدم انفتاح الطبقة البسيطة من المجتمع على التكنولوجيا العصرية وذلك بسبب تدني مستوى معيشة السكان، فبقي المجتمع يعيش على العفوية والبساطة.
- في حين نجد التراجع في تداول الأمثال الشعبية بمنطقة وادي سوف لكون المجتمع منفتح على الحضارة والتكنولوجيا، ولازدهار المنطقة اقتصاديا وتحسن مستوى معيشة السكان فتراجع الاهتمام بهذا الموروث الشعبي وبدأ في الاندثار مع كبار السن وحملة التراث.

---

[1] ينظر: علي الشابي، مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية، المجلة التاريخية المغربية، عدد يناير 1979، ص55.

[2] الزقم: هذه الكلمة في القديم تعد الزقم و البهيمة و ما يليهما من المداشر في الناحية الشرقية أو الشمالية.

[3] ينظر: محمد العدواني، تاريخ العدواين، ص20.

[4] ينظر: ابراهيم العوامر الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، ص 192.

[5] غندير الأخضر، متقاعد توطن في بلاد الجريد التونسي، حي الصحن الثاني

- العايب ساسية، ربة بيت، توطنت في الرديف بتونس، حي الحرية.
- زيتونة إبراهيم التجاني، توطن في بلاد الجريد التونسي، حي الصحن الثاني.
- علي بوصبيع، مدير ثقافة سابق، مهتم بجمع التراث، حي الشهداء.

خلاصة الفصل:

نصل في ختام هذا الفصل الذي تحدثنا فيه عن الإطار العام لمنطقتي البحث، وبعد ان حددنا مختلف الجوانب المتعلقة بالبحث في هذه الدراسة توصلنا إلى ان كلا المنطقتين تنخر برصيد ضخم من الموروث الشعبي، بالرغم ما حصل للمجتمع الجزائري من أزمات مر بها جراء فترة الاستعمار، ورغم التطور الذي حصل إلى أن هذا التطور بقي راسخ على ثقافتنا الشعبية بكل فروعه سواء من ناحية الإطار الجغرافي أو التاريخي أو الاطار الاقتصادي والديني والثقافي.

وهكذا تبرز اهمية هذه الدراسة التي تعطي لكلا المجتمعين طابعها الخاص الذي تتميز به أي منطقة عن غيرها من الثقافات، رغم وجود بعض الاختلافات الحاصلة الذي اكتشفناها من خلال ما توصلنا غليه وخاصة في الأدب الشعبي بكافة أشكاله التعبيرية سواء من ناحية الشعر او الحكاية الشعبية او اللغز الشعبي وكذلك طبيعة البيئة او اللهجة المعروفة لدى المجتمع السوفي والجريد التونسي.

الفصل الأول

الموروث والمثل الشعبي (تحديدات نظرية)

تمهيد:

لا شك أن التراث يمثل الذاكرة الحية للفرد وللمجتمع، ويمثل بالتالي هوية يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب، كما ان التراث بقيمه الثقافية، والاجتماعية يكون مصدرا تربويان وعلميان وفنيا، وثقافيا، واجتماعيا... ذلكم ان تراكم الخبرات يكون الحضارة، وتراكم المعلومات يكون الذاكرة، وهذه الذاكرة بدورها وكما تقول: الباحثة تمبل كريستين في كتابها(مدخل إلى دراسة السيكولوجيا والسلوك):

"... هي التي تمكننا من فهم العالم، بأن ترب بين خبراتنا الراهنة، ومعارفنا السابقة عن العالم وكيف يعمل."

ولهذه الذاكرة كما للتراث الثقافي الذي ننادي بالحفاظ عليه علاقة طردية مع الإبداع لدى الفراد والمجتمعات.

إن فقدان التراث الثقافي يعني فقدان الذاكرة.. إن الذاكرة هي التي تساعد على اتخاذ القرار، فالفرد الفاقد ذاكرته لا يستطيع ان يتدل على باب بيته، فكيف والحال هكذا ان يصنع مستقبلهن ويطور ذاته، ومثلما ينطبق هذا على الفرد ينطبق على الشعوب.

إن التراث الشعبي، او الموروث الشعبي عبر انماطه المتنوعة في المكان والزمان، والتي تنتظم في مجالات عدة من فنون الثقافة الشعبية سيما فنون الأدب الشعبي من أشعار، وحكايات خرافية، وقصص شعبي،وملامح وأمثال، وألغاز، وعادات، وتقاليد، وممارسات شعبية لا تزال تنتظم حياة مجتمعنا الجزائري، وتؤثر فيه وتحركه وكذا فنون الموسيقى، والغناء، والرقص الشعبي الجماعين والألعاب الشعبية وما يتخللها من حركات إيقاعية وإشارات إيمائية عبرت بأصالة، وصدق عن تاريخ الإنسان الجزائري عبر العصور.

ذلك ان الأدب الشعبي وكما هو معروف لدى الباحثين، والمهتمين هو احد جوانب التراث الأساسية الذي يصور بدقة واقع حياة عامة الشعب.. نتعرف من خلاله على فسية أفراد المجتمع، وفكرهم، وأخلاقهم وسلوكاتهم، ومعاناتهم مع القضايا الحياتية، ومقاومتهم للظلم والقهر، والاستغلال، والاستعمار.

وتعد الأمثال الشعبية جزءا هاماً من أجزاء التراث الشعبي فهو عالم ضخم وزاخر بالتجارب الإنسانية، تحمل في طياتها القيم والأحكام والمعتقدات الشعبية، وكذلك تترجم نوعية العلاقات الاجتماعية السائدة وبذلك فالمثل الشعبي يعد صورة للحياة الطبيعية، كما تؤثر الأمثال الشعبية تأثيرا عظيما في حياة الأمم، وهي التي تقيد أمجادها ومآثرها، وتجسد آلامها وآمالها، وهي الصوت المعبر عنها في كل المحافل، يحدد الهوية وينافح عن الثوابت، وخاصة إذا كانت موافقة للعقيدة ممثلة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فالمثل الشعبي رافد من روافد الحكمة والنبوغ لدى مواطنينا سواء عاشوا في الماضي أو الحاضر فهو مولد تخرج من تلعثم بسلوكيات الحضارة بين صورها الجميلة.

I. الموروث الشعبي:

أولا: تعريف الموروث الشعبي:

1. الموروث (لغة):

جاء في تاج العروس "أرث أصله من الميراث إنما قلبت الواو ألفا مكسورة لكسرة الواو كما قالوا للوسادة إسادة"[1]. وفي اللسان: "ورثت فلانا مالا أرثه ورثا وورثا إذا مات مورتك، فصار ميراثه لك"[2]. والوارث من صفات الله عز وجلن فهو الذي يرث الأرض ومن عليها.

2. الشعب (لغة):

"الشعب: القبيلة العظيمة، وقيل الحي العظيم يتشعب من القبيلة، وقيل: هو القبيلة نفسها، والجمع شعوب. والشعب: أبو القبائل الذي ينتسبون إليه أي يجمعهم ويضمهم وقال ابن عباس –رضي الله عنه- كل جيل شعب"[3].

من خلال التعليف اللغوي لـ (إرث) و (شعب)، نصل إلى أن الوراثة كما تكون في المال والجاه والنبوة، وغيرها. كذلك فكل شيء قديم ما زال له امتداد في حضرنا والموروث الشعبي أحدها، فتوارثناه عن سابقينا من الأجيال (الشعوب) وأصبح له حضور مبهج، ومادة يتناولها الشعراء.

3. الموروث الشعبي (اصطلاحا):

حل هذا المصطلح طرح أكثر من مسمى، إذ أطلق الأستاذ محمود العقاد مصطلح المرددات الشعبية، إلا أنه لم يقبل لأنه يجمع كل الفلكلور، ثم طرح مسمى الأدب الشعبي، وأيضا هذا المصطلح لا يصلح لأن كلم ادب تضم فقط المادة القولية، ولا يحوي المظاهر المادية، واتفقوا اخيرا على مصطلح المأثورات الشعبية، لأنه يضم ما يشتمل عليه الفلكلور من الفنون القولية والمادية.[4]

لأن الموروث يكون قولا او مادة او فكرا. وعرف فاروق خورشيد الموروث الشعبي بأنه "مصطلح يطلق على الممارسات العملية والقولية والاحتفالية للشعب بصورتها التلقائية الجمعية فهي إذن تيار الحياة الثقافية الشعبية المتدفق والمستمر يضاف إليه باستمرار مكتسبات جديدة، وخبرات تضاف إلى الموروث المتبقي فتثريه وتطور فيه مما يجعله مستمرا في الوجود والحياة"[5]. ويرى جورج طرابيشي ان التراث ليس فقط هو الماضي بما يجمعه من آثار ومخطوطات، بل هو جزء لا يتجزأ من الواقع ومكوناته النفسية[6]. وذلك لأن التراث بطبيعة الحال هو جزء من حياتنا، ينمو بنمو الإنسان ويتطور بتطوره.

---

[1]- الزبيدي، السيد، محمد مرتضى، تاج العروس،م1، دار صادر، بيروت،ط1، 1885، ص652.

[2]- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2003، مادة: ورث.

[3]- ابن منظور، اللسان، مادة: شعب

[4]- الساريسي، عمر عبد الرحمان، كلمات في المأثورات الشعبية، عمان، 1982ن ص19.

[5]- خورشيد، فاروق، السيرة الشعبية العربية، المكتبة الثقافية، مصر، 1988، ص20.

[6]- طرابشي جورج، المثقفون العرب والتراث، والتحليل النفسي لعصاب جماعي، رياض الريس للكتب والنشر،ط1، 1991، ص216.

والتراث الشعبي هو نفسه الفلكلور، وأصل الكلمة فلكلور FOLKLORE "يتألف من مقطعين،أولهما (FOLK) بمعنى عام الناس والثاني (LORE) بمعنى معرفة وهكذا فمعنى الاصطلاح: معرفة الناس"[1]. وفي الموسوعة البريطانية: "في الاستعمال العلمي يشير التعبير إلى دراسة ثقافة الفلاح"[2]. ومن الذين عرفوا الفلكلور (وليم جون تومز) عرفه "بأنه آداب السلوك والعادات وما يراعيه الناس والخرافات والأغاني الروائية والأمثال التي ترجع غلى العصور السالفة"[3].ووصفه (بوتر ch. f. Potter) بأنه "حفريات حية تأبى أن تموت ويشرح وجهة نظره بقوله:" عن الفلكلور هو الرواسب العلمية والثقافية المتأخرة للتجربة الإنسانية، والتي تكونت على مر العصور"[4].

ويرى باليس J. Balys وآرثو تايلور A. Tylor أنه "الجانب المأثور من الثقافة الشعبية"[5]. وممن عرفه من من العرب نمر سرحان بقوله: "شيء انتقل من شخص لآخر عن طريق الذاكرة أو بالممارسة أكثر مما حفظ عن طريق السجل المدون"[6]. ويرى حسين رشوان بأن مصطلح الفلكلور "مصطلح عالمي عملين، وتعبير يستخدم في اللغات الأوروبية ثم العربية... وهي منحدرة عن العربية من كلمة "فلق" بفتحتين ومعناها "الخلق كله" أي المخلوقات عامة"[7].

وأرى ان هذا لا يعني ان الغرب أسبق من العرب في مجال الموروث الشعبي والحفاظ عليه، بل عرفت العرب ومنذ القدم بتعلقها بالأجداد، وحفظ كل ما يتعلق بهم. وما أشار إليه رشوان، هو ان المصطلح (فلكلور) دخل إلى العربية وأصبح يستخدم بدل مصطلح الموروث الشعبي، ويفضل عمر الساريسي أن يكتب المصطلح كما هو، يقول: "أفضل ان يكتب هذا الاصطلاح في لغتنا دالا على انه من مقطعين في لغة أجنبية (فولك لور) لا كما درج الكثيرون على كتابته (فولكلور) وكانت تعريبا مباشرا لكلمة أجنبية واحدة"[8].

[1]- سرحان، نمر، إحياء التراث الشعبي، دار فيلاديلفيا، عمان، (د.ت)، ص18.

[2]- P. Robert. Gwinn, chairman, of directors.The New Encyclopaedia Britannica. Charles E. Swanson, Presdent. Philip W. Goetz, Editor-in-Chief. Volume 19,15 th edition, 1768, page303.

[3]- سرحان، إحياء التراث الشعبي، ص21.

[4]- رشوان، حسين عبد الحميد، الفلكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993، ص3.

[5]- المرجع نفسه، ص4.

[6]- سرحان، إحياء التراث الشعبي، ص13.

[7]- رشوان، حسين عبد الحميد، الفلكلور والفنون الشعبية، ص5.

[8]- الساريسي، كلمات في المأثورات الشعبية، ص11.

ثانيا: أنواع الموروث الشعبي:

1- المثل

أ- لغة:

(م، ث، ل أصل صحيح يدل على مناضرة الشيء للشيء وهذا مثل هذا أي نظيرهن والمثل،والمثال في معنى واحد،وربما قالوا:مثيل كشبيه والمثل والمثل أيضا كشبه وشبه)[1].

ومثل كلمة تسوية، يقال هذا مثله، ومثله كما يقال شبه وشبه، وإذا قيل هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه سد مسده، وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساو في جهة دون جهة والمثل الشبه، والمثل الشيء الذي يضرب للشيء مثلا فيجعله مثله[2].

(والمثل بالكسرة الشبه، والمثل محركة الحجة والحديث وإمتثل عندهم مثلا حسنا، وتمثل أنشد بيتا ثم أخر ثم أخر وهي الأمثولة، وتمثل بالشيء ضربة مثلا)[3].

والمثل بفتحتين يرد على ثلاثة معان:

المعنى الأول: الشبه يقال: هذا ذلك أي أشبهه

المعنى الثاني: الصفة ومنها قوله تعالى: (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[4]. أي لهم الصفات الذميمة وله الصفات العليا.

المعنى الثالث: القول السائر المشبه مضر به بمورده[5].

ب- اصطلاحا:

(أما الأصل السامي لهذه الكلمة—كلمة مثل- في العربية "مثل" وفي العبرية "MOSOL" وفي الآرامية "MATLA" وفي الحبشية "MESEL" وفي الآكادية "MESLUM" ويتضمن حسب اشتقاقها معنى الممثلة كما برهن على ذلك "اتو ايسفلد" في مقاله المثل في العهد القديم)[6].

(وبهذا المعنى شرح الزمخشري أصل المثل، في كتابه الكشاف في شرحه لسورة البقرة حين يقول: "والمثل في أصل كلامه بمعنى المثل والنظير")[7].

[1]- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (دط، بيروت، دار الجيل، دت) 296/5

[2]- يراجع: ابن منظور، لسان العرب، تح: (دط، بيروت، دار اللسان العربي، دت) مادة مثل 133/14.

[3]- الطاهر احمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، (ط2، حلب دت) مادة مثل، ص203.

[4]- سورة النحل، الآية: 60.

[5]- أبي طالب المفضل بن سلمي بن عاصم، الفاخر في الأمثال العربية، شرح عبد الرحمان بن النوري بن حسن، (ط1، تونس، مطبعة النهضة 1934) مقدمة الكتاب، ص3.

[6]- زودلف زلهيم، الأمثال العربية القديمة، تح: رمضان عبد التواب، (ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984م)، ص21.

[7]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(ويرى المبرد أن المثل هو الانتصاب،وعليه اعتمد فليشر حين استخدم في شرح كلمة المثل عبارة: "furetwas, stehen").وير في كتابه "مقالات صغيرة"،أن أصل معناه الاشتقاقي "العرض في صورة حسية"[1].

وقال الفرابي في دويان الأدب: (المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهو به في السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة)[2].

وقال المرزوقي في شرح الفصيح: (المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنتقل كما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعانين لذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها...)[3].

يقول أبو عبيد: (المثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه وقد ضربها النبيء صلى الله عليه وسلم وتمثل بها هو ومن بعده من السلف)[4].

وقد وجد المثل-بالطبع- قبل ان يعرف بهذا الاسم، ويسمى به بزمان طويل، وللحاجة إلى تجريد تلك الحاجة التي توجد لدى الشعوب البدائية سمى قدامى الساميين "المثل" باسمه تبعا لسماته الجوهرية أصلا وهي سماة المقارنة التصويرية، ثم توسع في هذا المفهوم بعد ذلك[5].

وبما أن المثل مرآة عاكسة لما يكن في نفوس المجتمعات والذي يحفظ صلة التواصل بينهم والحكمة أيضا اصطلاحا لذلك التواصل.

لأجل ذلك دلت المثال على طبيعة حياة الأمة وتصور مجتمعاتها، وتسرد اخبارها وتحفظ عوائدها وآثارها... فالأمثال مرآة عاكسة للخلاق العامة. والأخلاق العامة مرآة لمستوي حياة من الأمم في مجالات الحضارة والعلم والتفكير[6].

(أما البلاغيون فالمثل عندهم حالة من حالات التمثيل، وهو تشبيه أو استعارة، أخذ وجه الشبه فيها من أشياء مختلفة، فإذا شاع مثل هذا التمثيل على الألسنة سمى مثلا)[7].

---

[1]- زودلف زلهيم، المرجع السابق، ص22.

[2]- الإمام جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وانواعها، ضبط: محمد احمد جاد المولي، عبد محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم (دط، بيروت، دار الجيل، دت)476/1

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المصدر السابق، 476/1.

[5]- يراجع: الأمثال العربية القديمة، ص23.

[6]- يراجع: الدكتور عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، (دط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص111)

[7]- الأمثل العربية القديمة، ص26.

ج–التعريف بالمثل الشعبي

(الأمثال الشعبية هي حكم وأقوال يتمثل بها الناس في بعض المواقف أثناء الكلام وهي أقوال قديمة غير موضوعة ومنتشرة في ساير انحاء العالم، ثم أن المثال الشعبية التي تستعملها مختلف شعوب العالم تشبه بعضها البعض شبها قويا)[1].

(إن الأمثال الشعبية هي أقوال مرصوصة قليلة اللفظ، غزيرة المعنى فيها من السجع والايقاع والبلاغة والايجاز والتشبيه، ما يجعلها سلسلة على اللسان، لطيفة على الآذان تتسلل إلى نفس المتلقي فيبدي علامات الرضا والاقتناع)[2].

والمتقصي او الباحث في مجال الثقافة الشعبية قد يجد ان المثل– قد يكون أقدر انواع الأدب الشعبي– على تصوير العلاقات الاجتماعية المعقدة وأقرب في تعبيرها عن التناقضات الحياتية، وقد حدده بعض الدارسين في العبارة التالية "المثل عبارة عن جلة أو أكثر، تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة"[3].

(ولما كانت الأمثال الشعبية فنا من فنون الأدب الشعبي الحي، تعلقت بكل شيء وتناولت كل شيء يتصل بالحياة، فتراها تعالج الأخلاق والحكمة، والتربية والتوجيه، والسخرية والتهكم والنكتة والفكاهة،العضة والعبرة والحب والكره،الاضطراب والاطمئنان السعادة والشقاء، الخوف والأمن، الخصب والجدب الحرب والسلم والحياة والموت)[4].

ومثل ما كانت هذه المثال بابا من أبواب الأدب العربين فهي أيضا بابا من ابواب الأدب الشعبين ولعله اكثر فهم وأبلغ تأثير بلغته البسيطة ومعانيه المتداولة،لذلك نراه يسكن الوسط العائلين ويتعداه إلى الشارع والسوق المقهى والحافلة والجلسات الشعبية ونحوها[5].

كما تعتبر المثال الشعبية السوفية أجمل صورة من صور التعبير العفوي والتراث السوفي تتداول لدى الجميع المثقف والأمي.

وهي لا تحتاج إلى وقت أو مكان أو جليس معين، فلربما كان المي في الوسط السوقي اكثر مهارة واستعمالا لها حين تأتي المناسبة كما يقال: "بالمثال يتضح المقال"[6].

ويضيف البعض حول مفهوم المثل الشعب بقولهم: (المثل الشعبي تقطير لقصة أو حكاية ولا يمكن معرفته إلا بعد معرفة القصة او الحكاية التي يعبر المثل عن مضمونها)[7].

[1]– صالح بن حمادي، دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية، (دط، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، دت)، ص320.

[2]– بن علي محمد الصالح، 500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، (ط1، 1998م)، ص8.

[3]– يراجع: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، ص155.

[4]– العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص112.

[5]– يراجع: 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، ص8.

[6]– يراجع: المرجع نفسه، ص9.

[7]– منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص155.

والمثل الشعبي-يمكن أن يكون- تسهيلا لعملية فهم كل ما يدور وسط المجتمع ويقال بالفصحى التي قليلا ما يتقنها أفراد المجتمع، خاصة فئة الأميين والبسطاء الذين يجدون في العامية طريقا يسهل عليهم كسب ثقافة شعبية، والمثل أحد عناصرها والتي يكون الفرد بحاجة إليها.

ولذللك وجب ان تحل محل الفصحى لغة عامية هي لغة الأم والأب، ولغة المجتمع الشعبي وهي التي يتعلمها الطفل في اول نشأته تعلما تلقائيا لا إكراها[1].

وتعود الناس فيه منذ أقدم العصور ان يفسروا أثل كل مثل من الأمثال الشعبية بقصة ومن ذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يتمثلون أثناء كلامهم بمثل نصه:"سمن كلبك ياكلك" فقد نقل الميداني في كتابه المعروف "مجمع الأمثال" بشأن أصل هذا المثل العربي القديم، قالوا أول من قال ذلك حازم بن المنذر الحماني[2].

من الملاحظ في الأدب الشعبي هو قربه والتصاقه المتين بالحياة اليومية لأفراد المجتمع ويكاد يكون التعبير اللساني الذي من خلاله يتم التواصل الفكري سواء كان داخل الأسرة الواحدة او في الوسط الاجتماعي العام.

والمثل الشعبي أصدق تعبير لذلكن لأننا نراه يشترك في خصائصه ومكوناته ودلالاته بين مختلف الشعوب.

وضم المثل الشعبي السوقي كل ما ذكرناه من عناصر ايجابية —عن لم نقل انه إصلاح للمجتمع- وحاول قدر المستطاع الدخول إلى عمق الوسط المجتمعاتي.

وساعده على ذلك القصة الشعبية، والسعر الشعبي بين المتحدثين(وتكون في سرد المثل الغلبة لمن كان احذق استعمالا للمثال والحكم، فيكسب احترام السامعين ويصبح رأسهم من رأيه)[3].

وعند الحديث عن المثل الشعبي في صوره ودلالاته المختلفة، فله خصائص امتاز بها عن المثل عامة.

وتداوله على الألسن لم يكن مولده لسانا واحدان بل كان كبقية الأدب يؤثر ويتأثر بل اختلف مولده بين المنطقة ومناطق أخرى، ولم يكن نتاجا فكريا سوفيا خالصا.

من الأمثال ما كان مولده بسوف، ومنها ما تداولته الألسن الجزائرية، الوهرانية، العنابية وتتعداه إلى دول عربية سورية، مصرن لبنان، وخاصة اللسان التونسي.

وقد كان للمثل السوفي خصائص ميزته عن باقي الأمثال الشعبية الأخرى.

- جزء هام من هذه الأمثال مستلهم من القرآن الكريم، والسنة النبوية[4]. كالمثل الذي يقول: "ألي ما ينفع ادفع"، "ما دام واد على مجراه".

[1]- يراجع: محمد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كل أمة روح ثقافتها، (دط، باتنة، المنطقة الصناعية، دار الشهاب للطباعة، دت)، ص20.

[2]- أصل هذا المقل مرتبط بقصة طويلة عندما وجد علاما ملفوفا، فحمله ورباه إلى ان بلغ الحلم وسماه جحيشا...إلخ الكتابة يراجع دراسات الأساطير والمعتقدات الغيبية، ص322،321،320.

[3]- 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، ص9.

[4]- 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، ص9.

- ونجد في نقل معاني من السنة النبوية، او أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عام[1]. باعتبارهم يستعملون الأمثال في عهدهم، فيما يخص المثل الذي يقول: "إلي لدغه الحنش يخاف ملحبل". فهذا المثل العامي يشبه ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم "المؤمن لا يلدغ من حجر مرتين".
- أمثال بنيت على قصص واحداث وليدة المنطقة[2] كالمثل الذي يقول: "ماسرقولي برنوسي نحوه من أكتافي نحان"
- أمثال رمزية خاصة التي تأخذ من الحيوان رمزا للتحرر[3] "الطير الحر كيف يتعلق ما يتخبطشي"، غيب يا قط ألعب يا فار".
- أمثال تضمنت أسماء لمدن تونسية[4]، وهو تعلق كبير بالمثل الشعبي التونسي، نظرا للتعامل الكبير بين أهل سوف والجنوب التونسي. "أستني يا دجاجة حتى يجيك القمح من باجة"

وقد سمى سكان الجنوب التونسي المثال الشعبية (كلام ناس بكري) بمعنى كلام الناس الأوائل وعندما يريدون التأكد على صحة المثال وموافقة أحكامها الواقع يقولون: (كلام ناس بكري زروبة) والزروبة جمع زرب، والزرب هو الصف من جريد النخل ويستعمل بناء الأكواخ والزرائب، والمقصود من ذلك أن الأمثال الشعبية حددت كل الأشياء وبينتها ووضعت لها حدودا[5].

ولقد كانت العلاقة كبيرة أيضا بين المثل الشعبين والشعر الشعبي كفن من فنون الفلكلور وتعلقه أيضا بالشعر العربي الفصيح فالملاحظ ان هناك أمثالا شعبية ولا نقصد هنا المثال السوفية فحسب، فد استلهمت دلالاتها وتراكيبها من فن الشعر بأنواعهن خاصة العربي الذي يحمل في طياته الحكمة والموعظة.

فنظرة عن المثل الشعبي الذي يقول: "هرب من القطرة جيء تحت الميزاب" تجعلنا نؤكد ونصدق العلاقة، إذ ترمي دلالته إلى الذي يستجير من الرمضاء[6] بالنار وهو عجز بيت يقول:

المستغيث بعمرو[7] من كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار[8]

كربته بالنار[8]

---

[1]- يراجع: العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص128،129.

[2]- 1500 مثل وحكمة شعبية، ص10.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- يراجع: دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية، ص322.

[6]- ارمضاء: لفظ يطلق على التراب الذي تشتد حرارته، وعند وقع الرجل عليه تصاب بالحرقة خاصة في فصل الصيف.

[7]- عمرو: هو عمر بن المزدلف وكان شارك جساسا في قتل كليب، فطعنه جساس وتركه وبه رمقن ثم ورد عليه عمر فأستغاث به كليب وقال: يا عمرو تداركني بشربة ماء، قال عمر تجاوزت الأحص وماءه وأجهز عليه.

يراجع: أبي عبدالله محمد بن احمد بن هشام اللخمي الأندلسي، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، تح: مأمون بن محي الدين الجنان (دط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1995م)ص229.

[8]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ولا يعني ما ذكرناه أن المثل الشعبي هو صورة من صور تلك الفنون الأدبية الشعبية الخرى، فلسنا بصدد توثيق العلاقة كليان بينما نريد توضيح العلاقة الدلالية بين كل من هذه الفنون وبالطبع كل فن يؤثر ويتأثرن وكل من هذه الآثار الشعبية لها خاصية التأثير على الوسط الاجتماعي وتأثيرها درجات.

وللمثل الشعبي تأثير كبير في أوساط المجتمعات، إذ يلاحظ أن المثل الشعبي أقوى تأثيرا على العلاقات الاجتماعية وألصق بحياة الناس، لأنه يؤثر على السلوك الانساني لهذا قيل: (أن المثل الشعبي اهم من الشع والقصة وأقرب إلى الصدق والتعبير عن الظواهر الاجتماعية)[1].

ولأن لغة المثل الشعبي السوفي هي لغة بسيطة فهو أقرب إلى التصوير إن لم نقل لتجسيد أفكار المجتمع وضربها في امثال تقرب صورة المعنى الحقيقي وتضعه في قوالب واضحة مفهومة لدى الخاص والعام.

من ثم تظهر الوظيفة الحقيقية للغة: (فاللغات ما هي سوى كائنات حية تنمو بنمو ثقافات الأمم وحضارتهم، وتجمد بجمود اهلها سرعان ما تموت عند فقدان الثقة بالنفس)[2].

وبما أن اللغة هي عنصر التواصل والتفاهم فاللهجة العامية هي لغة، لأن الواصل بين كل أفراد شعب يرتبط بلغتهم خاصة العامية منها.

ولقد كان لسرعة انتقال اللهجة الدور الكبير في اختلاط لهجة قوم بقوم (ومما تمثلت به العامة مما وقع في أشعار المتقدمين، والمحدثين تلقنوها عن الفصحاء وهم لا يعرفون الأشعار اتي اخذت منها، وربما حرفوا بعض ألفاظها)[3].

2- اللغز

أ- اللغز لغة: جاء في لسان العرب في مادة لغز: ألغز الكلام والغز فيه: عمى مراده وأضمره على خلال ما اظهره. واللغز واللغز: ما ألغز من كلام فشبه معناه. وقد ألغز في كلامه يلغز إلغازا إذا ورى فيه وعرض ليخفي والجمع الغاز واللغز واللغز والألغاز، كله: حفرة يحفرها اليربوع في جحرهن يقال: ألغز اليربوع إلغازا فيحفر جانب منه طريقا ويحفر في الجانب الآخر طريقان فإذا طلبه البدوي بعصاه من جانب نفق من الجانب الآخر[4].

وجاء في العين "اللغز واللغز لغة: ما ألغزت العرب من كلام فشبهت معناهن واللغز والألغاز: حفرة يلغزها اليربوع في جحره يمنة ويسره يلوذ بها"[5].

---

[1]- منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص157.

[2]- يراجع: لغة كل أمة روح ثقافتها، ص7.

[3]- المدخل إلى تقويم الليان وتعليم البيان، ص228.

[4]- ينظر: ابن منظور،لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (دط)،(دت)، مج5، مادة (لغز) ص4047

[5]- الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق:د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 2003 ج4، ص91.

ويقول الفيروزبادي: الألغاز طرق تلتوي وتشكل على سالكها[1]. واغلب معاجم العربية تجمع على هذا المفهوم المفهوم وتحوم حوله.

ب- اللغز اصطلاحا: ويعرفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: "ثم استعملوه- أي اللغز- في الاتيان بالعبارة بدل ظاهريا على غير الموصوف بها ويدل باطنها عليه"[2]،وهذا من خلال عناصر لها وجه شبه بالمقصود أو بأسرار المعني المراد الذي أبهمته التعمية في الكلام او في الأسماء والأفعال[3].وتعرفه أيضا الدكتورة نبيلة إبراهيم كالآتي: "اللغز في جوهره استعارة، والاستعارة تنشأ نتيجة التقدم العقلي في إدراك الترابط والمقارنة وإدراك أوجه الشبه والاختلاف"[4]. والاستعارة كما يقول الجرجاني: "أن تسقط ذكر المشبه من البين، حتى لا يعلم من من ظاهر الحال انك اردته"[5].

ويعرفه جاستون باريس:"استعارة او مجموعة من الاستعارات التي تم استعمالها بشكل غير شائع وتفسيرها ليس بديهيا"[6]، ويقول عنه ابن رشيق القيرواني في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده" في باب الإشارة ما يلي: ومن اخفى الإشارات وأبعدها اللغز، وهو: "أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن وباطن ممكن غير عجب"[7]. أما عن محمد المرزوقي فقال عن مفهوم اللغز ما يلي: "اما الألغاز فهي هذه الكلمات المسجوعة أو المنظومة التي تلقى في المجالس العامة والخاصة، في قالب أسئلة يختبر بها الناس ذكاء بعضهم بعضا والقاعدة فيها ان يورد اللغز في شبه سؤال منظوم او مسجوع عن شيء تذكر صفاته البعيدة أو القريبة، ومن تلك الصفات يستطيع المسؤول بإعمال شيء من الفكر الاهتداء إلى موضوع السؤال"[8]. وبما أن اللغز يساهم في التسلية واختبار الذكاء، الذكاء، وفي هذا السياق تقول الباحثة نبيلة ابراهيم:" على ان اللغز فضلا عن ذلك يحتوي على عنصر الفكاهة، ذلك أن سبب كل شيء يثير الضحك احتواءه على عنصر عدم التوقع"[9]. وكذلك اعتبره أبو القاسم سعد الله شكل من أشكال الرياضة الأدبية قائلا:"كان التلغيز نوعا من الرياضة الأدبية يتعاطاه الفقهاء والشعراء على السواء"[10]. اما الشاعر محمد العيد آل خليفة يعرف اللغز شعرا فيقول:

---

[1]- الفيروزبادي، القاموس المحيط، الهيئة العامة للكتاب1978م، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة 1301هـ، ج2، ص189.

[2]- مصطفى صادق الرافعين تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، سنة 2000،ج3، ص313.

[3]- ينظر: رابع العوبي، انواع النشر الشعبين منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، (د.ت)، ص154.

[4]- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص154.

[5]- الشيخ أبي بكر عبد القادر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه أبو فهد محمود شاكرن دار المدني بجدة، (دط)، ص320.

[6]- روبرت أ. جورج آلان دندس، نحو تعريف بنيوي للغزن ترجمة دعاء مصطفى كاملن مجلة الفنون الشعبية، العدد 77/76 اكتوبر-مارس 2008/2007، ص95.

[7]- أبي الحسن بن رشيق، القيرواني، الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، سنة 1981م، ج1 ص307.

[8]- محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر 1967ن ص42.

[9]- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق الذكر، ص154.

[10]- أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، سنة 1998، ج2، 1500-1830، ص286.

شيء تختبر بـه العقــول صعب إليه يعسر الوصول
يلهو به السائل والمسؤول فحبله بينهما موصول
كــأنـه حمامــة تجـــول يصطادها الحذاق والفحول
فبعضهم مخيب مخذول وبعضهم موفق مقبول
وفكرك الان به مشغول فمـا ترى فيه وما تقول؟[1]

ومن خلال هذه التعاريف يظهر مدى التداخل وتقارب المفاهيم لدى القدامى والمحدثين في تحديد مفهوم اللغز، حيث أغلبها بنفس مواصفات اللغز الشعبي وتسيير في منحاه، ويعد اللغز الشعبي لونا من ألوان الأدب الشعبي أساسه التخفية في شكل قوالب منظومة أو مسحوبة،وعلى معنيين معنى خفي للموصوف يكتشفه السامع، ومعنى ظاهر في سياق النظم"[2]. وهذا مفهوم اللغز بلغز شعبي: شيء مبلح عند العرب لبادي من امتحن امتحن بيه مرتاح، ومن سمعه إبات شاقي.

ولعل من أقرب مرادفات الألغاز عند أغلب الناس لفظة الأحاجي، ربما يعود ذلك لتقارب المعنى او لتوفرها على نفس شروط اللغز، وبالتالي علينا أن نبين الدلالة اللغوية لهذه اللفظة، ففي لسان العرب–حجا– الحجا: مقصور: العقل والفطنة، والجمع أحجاء محجية: مخالفة المعن للفظ، وهي الحجية والأحجوة، وقد حاجيته محاجاة وحجاء... والأحجية والحجيا: هي لعبة واغلوطة يتعاطاها الناس بينهم[3].

وبعد التعرف على الدلالة اللغوية لهذه اللفظة نلاحظ أوجه التشابه بين اللغز والحجية، فكل منهما يحتاج إلى إعمال العقل والفطنة والذكاء، وكل منهما فيه لبس وغموض وإخفاء المعنى بألفاظ لا تدل عليه في ظاهرها، بالإضافة إلى عامل التسلية الذي يتواجد في كل منهما. وهذا بن الأثير يوحد معنى المصطلحين بقوله: "الأحاجي هي الأغاليط من الكلام، وتسمى الألغاز جمع لغز، وهو الطريق الذي يلتوي ويشكل على سالكه... ويسمى هذا النوع أيضا المعمى"[4]. والمعمي يشتبه بالكناية تارة وبالتعرض تارة أخرى، ويشتبه أيضا بالمغالطات المعنوية. ثم يعود يعود ليؤكد ما ذكره قائلا:"وأما اللغز والحجية فإنهما شيء واحد،وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر"[5].

أما بالنسبة للغموض والالتباس الذي يعتري بعض الألغاز فإن تبريره عند بعض الباحثين ما يلي: فهذا الدكتور طلال حرب يرى بان الغموض راجع إلى: "أن اللغز لغة العارفين والحكماء، يختارون من الشيء صفاته الأبعد، أو التي تثير شيئا من الالتباس لتكوين لغزهم، ثم يطرحونه على الآخرين بهدف امتحانهم"[6]. وهذا الرأي يؤيد ما ذهب إليه محمد المرزوقي الذي يرى ان هناك نوع معقد تذكر فيه صفات المسؤول عنه البعيدة فيصعب

[1]– محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص558.
[2]– محمد الصالح بن علي، الألغاز الشعبية بوادي سوف، ص44.
[3]– ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص792.
[4]– ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: د. احمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ج3، ص84.
[5]– المرجع نفسه، ص85.
[6]– طلال حرب، اولية النص نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبين المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،ط1، سنة 1999م، ص154.

حله إلا على من كان يمتلك ذكاء خاصا وتمرينا على حل هذا النوع هو عكس النوع الخفيف، الذي يختص بالمجلس والمفاكهات يقتصر فيه غالبا على ذكر الصفات القريبة للشيء المسؤول عنهن ويستطيع حله كل ذي نباهة وذكاء[1].

وهناك مسميات أخرى لهذا الفن إلا أنها ليست متداولة كالأحجية منها: "الماة، والعويص،والرمز وأبيات المعانين والملاحن، والمرموس، والتأويل، والكتابة، والتعريض، والإشارة، والتوجيه، والمعمي، والممثل ومعنى الجميع واحد، ويمكن اختلافها في بحسب اختلاف وجوه اعتباراته، فإذا اعتبرته من حيث إنه ستر عنك ورمس فهو المرموس، والرمس هو القبر"[2].في حين تستعمل مجتمعات أخرى أسماء مختلفة كالحزورة، والفوازير أو تشنشين كما في المجتمع التونسي.

أما في منطقة وادي سوف يستعملون لفظي:الأحجية(الحجاية)والخراف أو الخرافة، ومن امثلة ذلك: خرفتكم يا فاهمين، وإذا عطي رب بخيره، غموت المسكين، باش يجي غيره، او كان يبدأ اللغز بـ حاجاتكم ما مجاتكم.

وبالرغم من تباين الأسماء في ظاهرها إلا أنها تحمل نفس الدلالات والمغزى، لما تتبناه من لبس وغموض وأسئلة وتعمية وتسلية، مع العلم أن الكثير لا يهتمون بالتسمية بقدر اهتمامهم بحفظ اللغز وطرحه على المستمعين والاستمتاع به.

3- تعريف الحكمة:

أ- الحكمة (لغة):

جاء في لسان العرب أن: الحكمة عبارة عل معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم.

فالحكمة من العلم والحكيم العالم وصاحب الحكمة وقيل يراد بالحكمة المواعظ والمثال التي ينتفع الناس بها[3]، وفي الحديث وردت: "عن من الشعر لحكمة"[4].

وقال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ"[5]

وقال تعالى: "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"[6].

---

[1]- ينظر: محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، ص42.

[2]- أحمد محمد الشيخ، كتب الألغاز والأحاجي اللغوية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ليبيا،ط2، سنة 1988، ص20.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، الدار المصرية، القاهرة، مصر، (د ت) (د ط)،ج15، (باب الحكم)، ص30.

[4]- صحيح البخاري، كتاب الآداب، دار كتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت)، مج4، ص13.

[5]- سورة لقمان، الآية رقم 12.

[6]- سورة البقرة، الآية رقم 129.

ب- الحكمة (اصطلاحا):

يقول الفيلسوف جورجياس في الحكمة: الكلمة قديرة في قوتها، ضئيلة في جسمها، بل قد تكون غير مرئية ولكنها بأفعالها التي تنجزها تكسب صفة القدسية، فهي تؤمن من خوفن وتحرر من ألم وتجلب السرور وتنمي الشفقة[1].

ومن ها استنبط الإغريق بان حب الحكمة هو الفلسفة.

- والحكمة: هي الإصابة في القول والعمل معا.[2]
- الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعدل وقد وردت بمعنى الحكم وهو ضبط النفس عن هيجان الغضب[3].
- الحكمة:بمعنى المعرفة بالقرآن ناسخة ومنسوخة، ومحكمة ومتشابهة، ومقدمة ومؤخرةوحلاله وحرامه وأمثاله[4].

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا ان الحكمة هي:

كل تصرف يعتمد على الرؤية والعقل في فهم القرآن وتعليمه.

- والحكمة عند أبي حامد الغزالي[5]: هي مقولة القوة العقلية وتنقسم الحكمة عنده إلى:
- 1 حكمة نظرية = خاصة بالعلوم الكلية الضرورية.
- 2 حكمة فطرية = التي تتلقاها النفس من الملا الأعلى كالعلم بالله.
- 3 حكمة خلقية = وهي فضيلة تكتسبها النفس.
- والحكمة عند أحمد الهاشمي[6]: فهي قول رائع يتضمن حكما صحيحا مسلما.
- والحكمة:هي إدراك الأشياء على ما هي عليه إدراكا يقينيا، أو هي العلم الذي يراد منه الوصول إلى أكمل حياة ممكنة وإلى تحمل الشدائد التي تعتري الإنسان مع الصبر الجميل[7].

4- تعريف الشعر الشعبي:

الشعر الشعبي هو شكل من أشكال التعبير في الأدب الشعبي، فهو إبداع شعبي شفوي، ونمط من الأنماط الثقافية الشعبية،كباقي الفنون الشعبية الأخرى، يتضمن الأدب الشعبي الشعر والغناء والأحاجي والقصص، والمعتقدات الخرافية والتقاليد، وغيرها من عناصر التراث، حتى أصبح مفهوم الأدب الشعبي يضم مجموعة من الفنون القولية مثل "الأمثال الشعبية والأغاني والنكت والحكايات الشعبية، ولعل على رأس هذه الفنون الشعر الشعبي"[8]، سيما أن الأدب الشعبي هو: "الأدب الشائع في الطبقات التي تسمى عادة بشعب أو عامة، وله

---

[1]- أحمد عثمان الأدب الإغريقي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1986، ط2، ص369.

[2]- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفا القرآن الكريم، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان2004، (دط)، ص122.

[3]- الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، 1888 (دط) مج8، ص253

[4]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان،ط1، (دت)ج1، ص314.

[5]- أبو حامد العزالي، الأخلاق في الإسلام دار إحياء التراث بيروت، لبنان (د ت) (د ط) ص159، 160.

[6]- احمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999،ط1ن ج2، ص252.

[7]- سعدون محمد الساموك،هدى علي جواد الشمري مناهج اللغة العربية وطرق تجريسها،دار وائل للنشر،عمان، الأردن، 2005، ط1، ص37.

[8]- سلام رفعت، بحث عن التراث الشعبي، نظرة نقدية منهجية،ط1، الفارابي، بيروت، 1989، ص196.

وله مميزات خاصة به في بعض الأحيان ومتشابهات مع الأدب الكلاسيكي، ويستعمل اللهجة المحلية أو لغة شبه فصيحة، سهلة فيها تعابير كثيرة باللغة العامية"[1].

والشعر الشعبي يتكون من شقين او كلمتين هما:

- الشعر: فالشعر هو أقدم الفنون الأدبية في الأصل "علم" شعرت به بمعنى علمت به، ومن ثم يكون الشاعر بمثابة العالم[2].

والشعر هو: "كل نص نتج عنه نبض شعوري في قالب لغوي موسيقي سليم، وحرك خيالا في الملتقي"[3].

- الشعبي: الكلمة الثانية جاءت لتخصص الكلمة الأولى، وتحصرها في نطاق الشعب، وهي صفة مشتقة من الاسم الموصوف (الشعب)، وتحيل إلى مفهومين مختلفين:

أ- مجموع الناس يشتركون في علامة مماثلة، الدين، الدولة، الأصل، الأرض.

ب- فريق من الأمة المعبر عن النقيض من الطبقات الأخرى، بتوافر الزيادة في أحد الشقين الثروة او المعرفة.

حول الشعر دائما، قالبت العرب قديما إن الشعر كلام موزون مقفى، معبرا عن الأخيلة البديعية والصور المؤثرة البليغة.

أما ابن خلدون فعرفه كالآتي: "هو كلام مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه المقطعات عندهم بيتا، ويسمى الحرف الخير الذي تتفق فيه رويا وقافية، ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة، وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه كلام وحده، مستقل عما قبله وبعده، وإذا أفرد كان تاما في بابه في مدح او نسيب او رثاء"[4].

ونظرا لمكانة الشعر الهادف في حياة الأمم وتأثيره فيها، قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من الشعر لحكمة وإن منه البيان لسهرا" وهنا حدد الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الشعر ولم يعمم، وهو أصدق الناطقين.

وبعد هذا التعريف البسيط للشعر، وتبيين مفهوم كلمة الشعبي "نأتي إلى تعريف الشعر الشعبين والتطرق إلى مختلف المفاهيم و التعاريف التي أوردها الباحثين والدارسين في هذا المجال".

يرى بعض الدارسين ان الشعر الشعبي ما ظهر إلا بعد ان فسدت اللغة العربية، ودخلها اللحن والتعريف وانتشرت العامية انتشارا واسعا وابتعد الناس عن الفصحى، "إن الشعر الشعبي يطلق على كل كلام منظوم من بيئة شعبه بلهجة عامية، تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب أمانيه، متوارثا جيل عن جيل عن طرق المشافهة، وقائله قد يكون أميا وقد يكون متعلما بصورة أو بأخري مثل المتلقي أيضا"[5].

---

[1]- مجلة التراث الشعبي العراقية، العدد 06، لبنان،1980، ص:182.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ص:409.

[3]- أيمن البلدي، في الشعرية والشاعرية،ج1، 2003، ص:10.

[4]- المرجع نفسه، ص:08-09.

[5]- التلي بن الشيخ، دور الشعر الجزائر في الثورة من 1980 إلى 1945، مخطوط 1977، ص395.

ولما كان الشعر الشعبي نابع من وجدان شعبي ومعبرا عن ذاته ملازما له في يومياته أصبح بذلك لسانه ومرآته العاكسة له، ومعلما من معالم ثقافته، "والشعر الشعبي معلم من معالم الثقافة الشعبية وسيلة لغوية عميقة التأثير بصور جميع نواحي الحياة الصغيرة منها والكبيرة، وهو بشكل عام يغطي مختلف تفاصيل الحياة اليومية للفرد والجماعة"[1].

وقوة الشعر الشعبي في الانتشار وجلب اهتمام الناس به، ولا سيما جموع عامة الناس تكمن في عقوبته وبساطة لغته وتعبيره عن همومهم دون تعقيد او تزييف، فهو صورة حقيقية لهم كحالهم، "ان الشعر الشعبي يعرف بين الناس وينتشر لتعبريه عن أحوالهم اليومية وهمومهم في مناسباتهم العامة والوطنية،... والملاحظ ان مؤلفات المبدعين من شعراء العامية تتضمن نظرة شمولية تمت إلى الإنسان والحياة ومشاكلها، والتاريخ، والمواقف الوطنية، والارتباط بالأرض، والطبيعة، وتمجيد الرجلات الوطنية والعلمية والفكرية، والاهتمام بآثارهم وبطولاتهم ومؤلفاتهم، ودون اعتقال للفنون الأدبية الأخرى يشارك فيها جميعها مع الشعراء النخب"[2].

وهنا تتضح عوامل أسباب اهتمام الجماهير العريضة بالشعر الشعبي والإقبال عليه إنتاجا وحفظا وملازمة شعرائه، لأنه يعد غذاء روحهم وملكهم الخاص، "عن الشعر الشعبي يتناسب ومسماه فهو غذاء روحي للجماهير الشعبية تتمتع به في مشوارهن إذا هي أتي أنشأته وأنشدته"[3].

ومن الشعر الشعبي ألف العام أغانيهم الشعبية وتغنوا بها في أفراحهم التي لا تكاد تقام إلا بحضورها (الأغنية الشعبية)، تعبر الأغاني الشعبية عن الحالة النفسية للشعوب، وتعكس عاداتهم وتقاليدهم التي يتوارثها الأبناء عن آبائهم وأجدادهم، وتشكل هذه الأغاني حلقة ربط بين الماضي والحاضر،فتشد الإنسان إلى أرضه وتراثه وتحفظ شخصية الشعوب"[4].

ودائما الشعر الشعبي هو ذاكرة الأجيال المتعاقبة، فهو يسجل تاريخهم المليء بالحداث والبطولات، فهو همزة وصل بين ماضيهم ومستقبلهم القائم على قيم الماضي التليد، وهذا هو سر حفاظ الأجيال على الفردية وكذلك فهو لم يصمد لمرحلة معينة فحسب، بل ساير الأجيال المتعاقبة وواكبها مستلهما منها خيراتها، وحافظ على مضمونه وشكله الأساسيين.

ويرى توفيق زياد ان: "لأكبر الفنانين والشعراء ورجال الفكر الذين قدموا إنتاجا خالدا كان سرهم الأساسي ارتباطهم بجماهير الشعب، والنظر إلى تجربتهم الذاتية كجزء من التجربة العامة، وباستطاعتهم التعبير بانسجام عن ظروف العمل والحياة وكفاح الناس المحيطة بهم"[5]

[1]- عبود زهير كظم، قراءة في كتاب مدخل إلى الشعر الشعبي العراقي،ط1، السويد،2003، ص01.

[2]- نقلا عن مقال في كتاب: الشعر الشعبي بين الهوية المحلية ونداءات الحداثة، نبيلة سنجاق، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، د.ت، ص168.

[3]- سالم علوي، أصالة الشعر الشعبي، اعمال المهرجان الوطني الثاني للشعر الشعبي والأغنية البدوية، الأغواط، من 17 إلى 21 نوفمبر 1999، ص:26.

[4]- ينظر: حداد يوسف، المجتمع والتراث في فلسطين، قرية البصة، ط1، دار الأسوار، عكا، مؤسسة الثقافة الفلسطينية، 1985، ص:75.

[5]- الجيوش سلمى الخضراء، موسوعة الدب الفلسطيني المعاصر،ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997، ص91.

ومن خلال التعاريف والآراء السالفة الذكر حول الشعر الشعبي، نخلص إلى أن الشعر الشعبي هو كلام موزون مقفي، بلغة يغلب عليها الطابع العامي، وهو نتاج الجماعة والفرد ولكن الفرد يذوب في الجماعة، وبالتالي تضمحل الفردية وتطغى الجماعية، وانه ذاكرة الشعوب ولسان حالها والمرآة العاكسة لها، واغراضه كأغراض الشعر الفصيح.

II. المثل الشعبي تحديدات نظرية

1- تعريف المثل: لقد قمنا بتعريفه سابقا ولكن لا سوف نسلط عليه بعض النقاط الأخرى

أ- لغة:

(م، ث، ل أصل صحيح يدل على مناضرة الشيء للشيء وهذا مثل هذا أي نظيرهن والمثل،والمثال في معنى واحد،وربما قالوا:مثيل كشبيه والمثل أيضا كشبه وشبه)[1].

ومثل كلمة تسوية، يقال هذا مثله، ومثله كما يقال شبه وشبه، وإذا قيل هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه سد مسده، وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساو في جهة دون جهة والمثل الشبه، والمثل الشيء الذي يضرب للشيء مثلا فيجعله مثله[2].

(والمثل بالكسرة الشبه، والمثل محركة الحجة والحديث وامتثل عندهم مثلا حسنا، وتمثل أنشد بيتا ثم أخر ثم أخر وهي الأمثولة، وتمثل بالشيء ضربة مثلا)[3]

والمثل بفتحتين يرد على ثلاثة معان:

المعنى الأول: الشبه يقال: هذا ذلك أي أشبهه

المعنى الثاني: الصفة ومنها قوله تعالى: (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[4] . أي لهم الصفات الذميمة وله الصفات العليا.

المعنى الثالث: القول السائر المشبه مضر به بمورده[5] .

ب- اصطلاحا:

(أما الأصل السامي لهذه الكلمة—كلمة مثل- في العربية "مثل" وفي العبرية "MOSOL" وفي الآرامية "MATLA" وفي الحبشية "MESEL" وفي الآكادية "MESLUM" ويتضمن حسب اشتقاقها معنى الممثلة كما برهن على ذلك "اتو ايسفلد" في مقاله المثل في العهد القديم)[6] .

(وبهذا المعنى شرح الزمخشري أصل المثل، في كتابه الكشاف في شرحه لسورة البقرة حين يقول: "والمثل في أصل كلامه بمعنى المثل والنظير")[7] .

---

[1]- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (دط، بيروت، دار الجيل، دت) 296/5

[2]- ابن منظور، لسان العرب، (دط، بيروت، دار اللسان العربي، دت) مادة مثل 133/14.

[3]- الطاهر احمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، (ط2، حلب دت) مادة مثل، ص203.

[4]- سورة النحل، الآية: 60.

[5]- أبو طالب المفضل بن سلمي بن عاصم، الفاخر في الأمثال العربية، شرح عبد الرحمان بن النوري بن حسن، (ط1، تونس، مطبعة النهضة 1934) مقدمة الكتاب، ص3.

[6]- زودلف زلهيم، الأمثال العربية القديمة، تح: رمضان عبد التواب، (ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984م)، ص21.

[7]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(ويرى المبرد ان المثل هو الانتصاب،وعليه اعتمد فليشر حين استخدم في شرح كلمة المثل عبارة: " furetwas, stehen").ويرى في كتابه"مقالات صغيرة"،أن أصل معناه الاشتقاقي"العرض في صورة حسية"[1]

وقال الفرابي في ديوان الأدب: (المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهو به في السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة)[2].

وقال المرزوقي في شرح الفصيح:(المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلة بذاتها فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنتقل كما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعانين لذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها...)[3].

يقول أبو عبيد: (المثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه وقد ضربها النبيء صلى الله عليه وسلم وتمثل بها هو ومن بعده من السلف)[4].

وقد وجد المثل-بالطبع- قبل ان يعرف بهذا الاسم، ويسمى به بزمان طويل، وللحاجة إلى تجريد تلك الحاجة التي توجد لدى الشعوب البدائية سمى قدامى الساميين "المثل" باسمه تبعا لسماته الجوهرية أصلا وهي سماة المقارنة التصويرية، ثم توسع في هذا المفهوم بعد ذلك[5].

وبما ان المثل مرآة عاكسة لما يكن في نفوس المجتمعات والذي يحفظ صلة التواصل بينهم والحكمة أيضا اصطلاحا لذلك التواصل.

لأجل ذلك دلت الأمثال على طبيعة حياة الأمة وتصور مجتمعاتها، وتسرد أخبارها وتحفظ عوائدها وآثارها... فالأمثال مرآة عاكسة للخلاق العامة. والأخلاق العامة مرآة لمستوي حياة من الأمم في مجالات الحضارة والعلم والتفكير[6].

(أما البلاغيون فالمثل عندهم حالة من حالات التمثيل، وهو تشبيه أو استعارة، أخذ وجه الشبه فيها من أشياء مختلفة، فإذا شاع مثل هذا التمثيل على الألسنة سمى مثلا)[7].

---

[1]- زودلف زلهيم، الأمثال العربية القديمة، المرجع السابق، ص22.

[2]- الإمام جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وانواعها، ضبط: محمد احمد جاد المولي، عبد محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم (دط، بيروت، دار الجيل دت)476/1

[3]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المصدر السابق، 476/1.

[5]- يراجع: الأمثال العربية القديمة، ص23.

[6]- يراجع: الدكتور عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، (دط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص111)

[7]- الأمثل العربية القديمة، ص26.

- **التعريف بالمثل الشعبي**

(الأمثال الشعبية هي حكم وأقوال يتمثل بها الناس في بعض المواقف أثناء الكلام وهي أقوال قديمة غير موضوعة ومنتشرة في سائر أنحاء العالم، ثم أن الأمثال الشعبية التي تستعملها مختلف شعوب العالم تشبه بعضها البعض شبها قويا)[1].

(إن الأمثال الشعبية هي أقوال مرصوصة قليلة اللفظ،غزيرة المعنى فيها من السجع والايقاع والبلاغة والايجاز والتشبيه،ما يجعلها سلسلة على اللسان، لطيفة على الآذان تتسلل إلى نفس المتلقي فيبدي علامات الرضا والاقتناع)[2].

والمتقصي او الباحث في مجال الثقافة الشعبية قد يجد ان المثل- قد يكون أقدر انواع الأدب الشعبي- على تصوير العلاقات الاجتماعية المعقدة وأقرب في تعبيرها عن التناقضات الحياتية، وقد حدده بعض الدارسين في العبارة التالية "المثل عبارة عن جلة أو أكثر، تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة"[3].

(ولما كانت الأمثال الشعبية فنا من فنون الأدب الشعبي الحي، تعلقت بكل شيء وتناولت كل شيء يتصل بالحياة، فتراها تعالج الأخلاق والحكمة، والتربية والتوجيه، والسخرية والتهكم والنكتة والفكاهة،القصة والعبرة والحب والكره،الاضطراب والاطمئنان السعادة والشقاء، الخوف والأمن، الخصب والجدب الحرب والسلم والحياة والموت)[4].

ومثل ما كانت هذه الأمثال بابا من أبواب الأدب العربي، فهي أيضا باب من أبواب الأدب الشعبي ولعله أكثر فهما وأبلغ تأثيرا بلغته البسيطة ومعانيه المتداولة،لذلك نراه يسكن الوسط العائلي، ويتعداه إلى الشارع والسوق المقهى والحافلة والجلسات الشعبية ونحوها[5].

كما تعتبر الأمثال الشعبية السوفية أجمل صورة من صور التعبير العفوي والتراث السوفي تتداول لدى الجميع المثقف والأمي.

وهي لا تحتاج إلى وقت أو مكان او جليس معين، فلربما كان الأمي في الوسط السوقي أكثر مهارة واستعمالا لها حين تأتي المناسبة كما يقال: "بالمثال يتضح المقال"[6].

ويضيف البعض حول مفهوم المثل الشعب بقولهم: (المثل الشعبي تقطير لقصة أو حكاية ولا يمكن معرفته إلا بعد معرفة القصة او الحكاية التي يعبر المثل عن مضمونها)[7].

---

[1]- صالح بن حمادي، دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية، (دط، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، دت)، ص320.

[2]- بن علي محمد الصالح، 500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، (ط1، 1998م)، ص8.

[3]- منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، ص155.

[4]- العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص112.

[5]- 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، ص8.

[6]- المرجع نفسه، ص9.

[7]- منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص155.

والمثل الشعبي-يمكن أن يكون- تسهيلا لعملية فهم كل ما يدور وسط المجتمع ويقال بالفصحى التي قليلا ما يتقنها أفراد المجتمع، خاصة فئة الأميين والبسطاء الذين يجدون في العامية طريقا يسهل عليهم كسب ثقافة شعبية، والمثل أحد عناصرها والتي يكون الفرد بحاجة إليها.

ولذلك وجب أن تحل محل الفصحى لغة عامية هي لغة الأم والأب، ولغة المجتمع الشعبي وهي التي يتعلمها الطفل في أول نشأته تعلما تلقائيا لا إكراها[1].

وتعود الناس فيه منذ أقدم العصور أن يفسروا أصل كل مثل من الأمثال الشعبية بقصة ومن ذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يتمثلون أثناء كلامهم بمثل نصه:"سمن كلبك ياكلك" فقد نقل الميداني في كتابه المعروف "مجمع الأمثال" بشأن أصل هذا المثل العربي القديم، قالوا أول من قال ذلك حازم بن المنذر الحماني[2].

من الملاحظ في الأدب الشعبي هو قربه والتصاقه المتين بالحياة اليومية لأفراد المجتمع ويكاد يكون التعبير اللساني الذي من خلاله يتم التواصل الفكري سواء أكان داخل الأسرة الواحدة أما في الوسط الاجتماعي العام والمثل الشعبي أصدق تعبير عن ذلك لأننا نراه يشترك في خصائصه ومكوناته ودلالاته بين مختلف الشعوب.

وضم المثل الشعبي السوقي كل ما ذكرناه من عناصر إيجابية، إن لم نقل أنه إصلاح للمجتمع، وحاول قدر المستطاع الدخول إلى عمق الوسط المجتمعاتي.

وساعده على ذلك القصة الشعبية، والسعر الشعبي بين المتحدثين(وتكون في سرد المثل الغلبة لمن كان احذق استعمالا للمثال والحكم، فيكسب احترام السامعين ويصبح رأسهم من رأيه)[3].

وعند الحديث عن المثل الشعبي في صوره ودلالاته المختلفة، فله خصائص امتاز بها عن المثل عامة.

وتداوله على الألسن لم يكن مولده لسانا واحدان بل كان كبقية الأدب يؤثر ويتأثر بل اختلف مولده بين المنطقة ومناطق أخرى، ولم يكن نتاجا فكريا سوفيا خالصا.

من الأمثال ما كان مولده بسوف، ومنها ما تداولته الألسن الجزائرية، الوهرانية، العنابية وتتعداه إلى دول عربية سورية، مصرن لبنان، وخاصة اللسان التونسي.

وقد كان للمثل السوفي خصائص ميزته عن باقي الأمثال الشعبية الأخرى.

- جزء هام من هذه الأمثال مستلهم من القرآن الكريم، والسنة النبوية[4]. كالمثل الذي يقول: "ألي ما ينفع ادفع"، "ما دام واد على مجراه".

[1]- محمد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كل أمة روح ثقافتها، (دط، باتنة، المنطقة الصناعية، دار الشهاب للطباعة، دت)، ص20.

[2]- أصل هذا المثل مرتبط بقصة طويلة عندما وجد علاما ملفوفا، فحمله ورباه إلى ان بلغ الحلم وسماه جحيشا...إلخ الكتابة يراجع دراسات الأساطير والمعتقدات الغيبية، ص322،321،320.

[3]- 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، ص9.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- ونجد في نقل معاني من السنة النبوية، أو أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بوجه عام[1]. باعتبارهم يستعملون الأمثال في عهدهم، فيما يخص المثل الذي يقول: "إلي لدغه الحنش يخاف ملحبل". فهذا المثل العامي يشبه ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم " لا يلدغ المؤمن من الجحر مرتين".
- أمثال بنيت على قصص وأحداث وليدة المنطقة[2] كالمثل الذي يقول: "ماسرقولي برنوسي نحوه من اكتافي نحان".
- أمثال رمزية خاصة التي تأخذ من الحيوان رمزا للتحرر[3] "الطير الحر كيف يتعلق ما يتخبطشي"، غيب يا قط ألعب يا فار".
- أمثال تضمنت أسماء لمدن تونسية[4]، وهو تعلق كبير بالمثل الشعبي التونسي، نظرا للتعامل الكبير بين أهل سوف والجنوب التونسي. "أستني يا دجاجة حتى يجيك القمح من باجة" أو "أفعشي يا قصة حت جيك الزيت من قفصة".

وقد سمى سكان الجنوب التونسي المثال الشعبية (كلام ناس بكري) بمعنى كلام الناس الأوائل وعندما يريدون التأكد على صحة المثال وموافقة أحكامها مع أمثال الواقع يقولون: (كلام ناس بكري زروبة) والزروبة جمع زرب، والزرب هو الصف من جريد النخل ويستعمل بناء الأكواخ والزرائب، والمقصود من ذلك أن الأمثال الشعبية حددت كل الأشياء وبينتها ووضعت لها حدودا[5].

ولقد كانت العلاقة كبيرة أيضا بين المثل الشعبي، والشعر الشعبي كفن من فنون الفلكلور الشفاهي وتعلقه أيضا بالشعر العربي الفصيح فالملاحظ أن هناك أمثالا شعبية ولا نقصد هنا الأمثال السوفية فحسب،فد استلهمت دلالاتها وتراكيبها من فن الشعر بأنواعه، خاصة العربي الذي يحمل في طياته الحكمة والموعظة.

فنظرة عن المثل الشعبي الذي يقول: "هرب من القطرة جيء تحت الميزاب" تجعلنا نؤكد ونصدق العلاقة،إذ ترمي دلالته إلى الذي يستجير من الرمضاء[6] بالنار وهو عجز بيت يقول:

المستغيث بعمرو[7] من كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار[8]

كربته بالنار[8]

---

[1]- يراجع: العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص128،129.

[2]- 1500 مثل وحكمة شعبية، ص10.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]- دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية، ص322.

[6]- ارمضاء: لفظ يطلق على التراب الذي تشتد حرارته، وعند وقع الرجل عليه تصاب بالحرقة خاصة في فصل الصيف.

[7]- عمرو: هو عمر بن المزدلف وكان شارك جساسا في قتل كليب، فطعنه جساس وتركه وبه رمقن ثم ورد عليه عمر فأستغاث به كليب وقال: يا عمرو تداركني بشربة ماء، قال عمر تجاوزت الأحص وماءه وأجهز عليه.

أبو عبدالله محمد بن احمد بن هشام اللخمي الأندلسي، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، تح: مأمون بن محي الدين الجنان (دط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1995م)ص229.

[8]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ولا يعني ما ذكرناه أن المثل الشعبي هو صورة من صور تلك الفنون الأدبية الشعبية الأخرى، فلسنا بصدد توثيق العلاقة كليان إنما نريد توضيح العلاقة الدلالية بين كل من هذه الفنون وبالطبع كل فن يؤثر ويتأثرن وكل من هذه الآثار الشعبية لها خاصية التأثير على الوسط الاجتماعي وتأثيرها درجات.

وللمثل الشعبي تأثير كبير في أوساط المجتمعات،إذ يلاحظ أنه أقوى تأثيرا على العلاقات الاجتماعية وألصق بحياة الناس، لأنه يؤثر على السلوك الانساني لهذا قيل:(أن المثل الشعبي اهم من الشع والقصة وأقرب إلى الصدق والتعبير عن الظواهر الاجتماعية)[1].

ولأن لغة المثل الشعبي السوفي هي لغة بسيطة فهو أقرب إلى التصوير إن لم نقل لتجسيد أفكار المجتمعوضربها في امثال تقرب صورة المعنى الحقيقي وتضعه في قوالب واضحة مفهومة لدى الخاص والعام.

من ثم تظهر الوظيفة الحقيقية للغة: (فاللغات ما هي سوى كائنات حية تنمو بنمو ثقافات الأمم وحضارتهم، وتجمد بجمود اهلها سرعان ما تموت عند فقدان الثقة بالنفس)[2].

وبما أن اللغة هي عنصر التواصل والتفاهم فاللهجة العامية هي لغة، لأن الواصل بين كل أفراد شعب يرتبط بلغتهم خاصة العامية منها.

ولقد كان لسرعة انتقال اللهجة الدور الكبير في اختلاط لهجة قوم بقوم (ومما تمثلت به العامة مما وقع في أشعار المتقدمين، والمحدثين تلقنوها عن الفصحاء وهم لا يعرفون الأشعار التي أخذت منها، وربما حرفوا بعض ألفاظها)[3].

2- أنواع المثل: للأمثال ثلاثة أنواع تتمثل فيما يلي:

أ- المثل الموجز السائر: وهو إما شعبي لا تعمل فيه، ولا تكلف ولا يتقيد بقواعد النحو فهو إما كتابي،صادر عن ذوي الثقافة العالمية كالشعراء والخطباء كقولهم: "رب عجلة تهب ريثا".

ب- المثل القياسي: وهو سرد وصفي أو قصصي، فهو تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول إلى المحسوس أو أحد المحسوسين على الآخر، أو اعتبار أحدهما بالأخر فيه إطناب إذا قورن بسابقه ويجمع بين عبق الفكرة وجمال التصوير.

ج- المثل الخرافي: وهو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان لغرض تعليمي أو فكاهي وما شابه ذلك كقولهم: "أكلت يوم آكل الثور الأبيض".

فالفرق بين المثل الخرافي والقياسي، أن الأول تنسب الأحاسيس الإنسانية فيه إلى غير الإنسان من حيوان أو طير أو غيرها، أما القياسي فالحيوانات فيه استخدمت لا تعدو أن تكون مجرد توضيح للفكرة، دون أن تتعدى القوانين

[1]- منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص157.

[2]- يراجع: لغة كل أمة روح ثقافتها، ص7.

[3]- المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، ص228.

التي يخضع لها، والمثل الخرافي يرمز إلى الأشياء، أي يقال شيء، ويراد به شيء أخر، أما القياسي فيراد به الأشياء المذكورة فيه لتوضيح الفكرة، عن طريق "التشبيه والتمثيل"[1].

3- مصادر المثل:

تعد الأمثال أداة طبيعية منتشرة بين فئات شعبية بسيطة التفكير، فهي تعتبر حكمة الشعب، وفلسفته أو حكمة الأجيال التي سبقتنا وبالتالي فالمثل الشعبي يمثل للتجربة اليومية البسيطة، مصدره الشعب وتجربة الحياة اليومية البسيطة التي يعيشونها، ومن ثمة فالمثل يصلح لزمان ومكان معينين، وليس دائما صالحا لكل زمان ومكان، فهو من إنتاج فردي لأنه من صنع شخصية مفردة تنتمي إلى عام الشعب، فإذا مس هذا الابتكار الفردي حس المستمعين وأثر على عاطفتهم وتفكيرهم، وكان في إطار ثقافتهم وديانتهم أدى ذلك إلى استحسانهم له وبالتالي انتشاره بينهم، فالمثل هو ملك للشعب وليس ملكا للفرد.

وانطلاقا من هذا فالمثل هو مرآة الأمة. ونقلا عن جلاوجي قال عبد الرحمان التكريتي: "أمثال كل أمة خلاصة تجاربها ومستودع خبراتها، ومثار حكمتها، ومرجع عادتها، وسجل وقائعها، وترجمة أحوالها، ومصدر ثرائها ومتنفس أحزانها، فهي مرآة الأمة تعكس واقعها الفكري والاجتماعي بصفاء ووضوح"[2].

ومن الواضح أن الشيء الذي رسخ المثل الشعبي، وضمن بقاءه وانتشاره وتداوله، هو صدوره من قبل فئات اجتماعية بسيطة لا تتمتع بقدر من المعرفة، فالمجتمع هو الذي يحافظ على المثل من النسيان والاندثار[3].

وباستعراض مصادر المثل الشعبي نرى أنه يستمد من مصادر عديدة على سبيل المثال هناك:

1. ما استمد من حكاية أو نكتة شعبية.
2. ما اقتبس عن الفصحى بنصه او بشيء من التغيير على لغتها.
3. ما استمد من كتب التراث.
4. المستمد من الأغاني الشعبية.
5. ما هو خلاصة تجارب وممارسات عديدة كانت تلجأ إليها بعض الشعوب.
6. أمثال تحمل توصيفا دقيقا لأعماق النفس البشرية أو التجربة الإنسانية العامة.
7. أمثال مستمدة من خلال التعامل مع شعوب وثقافات أخرى، ومنها كتب الديانات الثلاثة، ومصادر أخرى[4].

[1]- ابن القيم الجوزيه، الأمثال في القرآن الكريم، تح: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص19-20.

[2]- جلاوجي عز الدين، الأمثال الشعبي الجزائرية بسطيف، مديرية الثقافة بسطيف، ص11.

[3]- نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب، دار غريب للطباعة القاهرة، ص179.

[4]- جمال طاهر و داليا جمال طاهر، موسوعة الأمثال الشعبية، دراسة علمية، ص28.

4- خصائص ومميزات المثل الشعبي:

يمتاز المثل الشعبي كغيره من فنون الأدب الشعبي، بمجموعة من الخصائص والمميزات، وهي تشترك في أكثرها مع عناصر الأدب الشعبي الأخرى، وهذه الخصائص هي:

- اللغة المستعملة في المثل، فيما أن المثل ذو طابع شعبي، فإن اللغة المعتمدة فيه هي لغة الحياة اليومية،المستعملة والسائدة بين الشعب بمختلف فئاته، ومن المعروف أن اللهجة العامية لا تخضع لقواعد ولا لضوابط لغوية وهذا ما ساعد المثال على سهولة التداول، لأن العامية هي لغة البيت والشارع، والمجتمع، ولغة الأمي والمتعلم، الغني والفقير، أي هي لغة اللاحواجز.
- المثل الشعبي مجهول المؤلف، وحتى وإن وجدنا نسبته فهي موضع شك، فالأدب الشعبي عموما يتميز بالجماعية، والشيء نفسه ينطبق على المثل، فصاحبه الأصلي هو فرد من عامة الناس، أطلق مثله ثم ذابت ذاتيته في جماعة مجتمعة، ليبقى مثله سائرا وصاحبه مجهولا، وحتى وإن استطعنا التعرف على المرحلة الزمنية التي قيل فيها، أو عن المكان الذي انتج فيه اول مرة حسب المضمون، كالأمثال التي انتجت في الفترة الاستعمارية، فالذاكرة الشعبية لا تعطي الحق لمعرفة قائل المثل الشعبي.
- المثل الشعبي لا يخضع لعملية التدوين أثناء نشأته الأولى، إلا بعد ان يستكمل نموه على أيدي الناس.
- المثل الشعبي صادق في تعبيره فهو ينقل حالة الفرد والجماعة بصدق، ودون خوف من قوة الرئيس أو الحاكم أو المسؤول، ولا من نقد النقاد والدارسين، "فالمثل يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكرة في الصميم"[1]
- معظم الأمثال الشعبية تقتضي نوعا من الايجاز، " بحيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير، فهو مكون من أقل قدر من الألفاظ، واكبر قدر من الدلالة"[2]، وتتميز بجودة المعني والاختصار والتركيز، فهي "...أكثر ما تتسم من حيث مستواها بالإيقاع الخارجي التام او الناقص، ولكن هذا الايقاع ثابت في الحالتين، وثانيهما الاتصاف بالإيجاز والدقة..."[3]. وقد استمدت هذه الميزة شكلها ومرونتها من اللهجة العامية، لكونها منطوقة، وبالتالي فهي لا تعتمد على قواعد الإعراب، وتضبط كلماتها فقط بالطريقة التي تتوافق مع شكل ايقاع المثل وظروفه الاجتماعية.
- المثل الشعبي يمثل فلسفة الفرد والمجتمع في الحياة، فهو خلاصة تجارب الشعب، كما أنهم يمثل مرآة لثقافة الأمة واتجاهاتها ونظرتها إلى الحياة، فالأمثال تنقل لنا بصورة أمينة الحياة الاجتماعية للشعوب في فترات مختلفة، كاشفة النقاب عن مكنونات الواقع الاجتماعية، فهي أصدق أداة للتعبير عن حالة الفرد والجماعة.
- بما أن المثل الشعبي هو جزء من التراث الشعبي، لذا فهي تقتضي في سيرها وتداولها التناقل شفويا بين أفراد المجتمع، "وهي تبدو في المقام الأول جزءا لا يتجزأ من التراث الإنساني بوجه عام، ولشعب بعينه بصفة

[1]- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص174.

[2]- بدير حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002، ص32.

[3]- مرتاض عبد المالك، عناصر التراث الشعبي في "اللاز" دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص100.

خاصة، حيث تضم في طياتها الخبرة الطويلة، والتجربة العلمية الحسية، والحكمة الشعبية، وآداب السلوك وكذلك الأمثال تنقل من شفاه إلى شفاه عبر أجيال متعددة"[1]. فالرواية الشفوية، والأدب الشعبي أيضا يدخل في هذا الجانب، أي ينقل عن طريق الرواية الشفوية عامة، معتمدا على اللغة المنطوقة، التي تعارف المجتمع على فهم رموزها ومدلولاتها، وتعد الذاكرة الناقل الأساسي، لهذا الابداع الشفوي، واللغة الشفوية تتميز بالمرونة والسهولة، ولا تعتمد على قواعد الإعراب وهي اللغة الأم التي يتعلمها الطفل، ويتلقاها من أسرته، ويتعامل بها في حياته اليومية.

- الأمثال ذات طابع شعبي متصلة بالحياة الاجتماعية، فهي تمتاز بألفة شعبية لأنها نابعة من أوساطها نمت من صميم البيئة، تبناها الشعب وحافظ عليها من عوامل الزوال والاندثار. "لا تشير الصفة [الشعبي] التي يتصف بها التراث إلى أنه نتاج وزاد من يسمون بـ [الطبقات الشعبية] أو [البسطاء]، وإنما تشير إلى انه نتاج الشعب كله وزاد على اختلاف طبقاته، وفئاته، وبيئاته، ومراحله التاريخية"[2]. فالمثل الشعبي هو وليد التجربة الذاتية، من انتاج فردي، ثم ذابت التجربة الفردية في الجماعة، لتصبح جماعية ومشتركة بينم الناس،تمس واقعهم ومعاناتهم، أفراحهم في إطار المجتمع الذي وافق عليها من خلال عملية التداول والتناقل.
- يحمل المثل الشعبي في طياته وظائف مختلفة، أهمها الوظيفة التربوية التعليمية، فهو يتميز بالطابع التعليمي حيث يقوم بعرض الفكرة او الموقف، ثم يترك المجال للغير مفتوحا، سواء يتقبل النصيحة او التوجيه والعمل بهما، أو برفضهما.
- تتميز الامثال بالإيقاع، فمن العوامل الأساسية التي جعلت معظم الأمثال القديمة الموجزة تتماسك وتصمد أمام الزمن، توفرها على مصادر إيقاعية، تتجسد في الاعتدال والتناسب بين الأجزاء، وفي التقديم والتأخير والتراكيب البلاغية والسجع والجناس، فالإيقاع إذا ما وجد في حديثه، فإن السامع يتفطن إلى التعابير المثلية، وذلك لتغير نبرة صوت المتكلم، وهذا لما تتسم به من خصائص بلاغية وايقاعية وتركيبية. وانطلاقا من كل هذا هناك تعريف قدمه الأستاذ "فريديريك زايلر" في مقدمة كتابع (**علم الأمثال الألمانية**) يشمل خصائص المثل الشعبي، يقول بأنه: "القول الجاري على ألسنة الشعب، الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المعروفة"[3].

يتبين من خلال هذه الخصائص أن المثل الشعبي يأتي في مقدمة أشكال التعبير الأدبية المعروفة، لأنه يعبر عن الواقع الاجتماعي بكل تناقضاته وصراعاته، ويكشف الكثير عن العلاقات الاجتماعية السائدة بين أفراده بل ويمتاز عن هذه الأشكال بخصائص دقيقة، إنه الصورة الواقعية والحية التي تكشف أحوال المجتمع وهذا الأخير هو من أعاد خلق وإثراء المثل والحفاظ عليه في أبسط صوره المعروفة وهذا ما ضمن له الديمومة والاستمرارية.

[1]- أبو الفتوح عين التحليل المقارن للأمثال الشعبية في اللغتين العربية والروسية، جامعة الملك سعود، الرياض، 1995، ص01.

[2]- سلام رفعت، بحثا عن التراث العربي- نظرة نقدية منهجية-، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص227.

[3]- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الدب الشعبي، ص175.

5- موضوعات المثل الشعبي:

تشتمل الأمثال الشعبية على عدة موضوعات تتعلق بمختلف مجالات حياة الناس مما جعلها مرآة صافية،وتنعكس على حياة الشعوب انعكاسا يجلي لنا سلوكها وعادتها وتقاليدها وأخلاقها في رقيها وانحطاطها، وفي بؤسها ونعيمها، وفي لغتها وآدابها وعلى هذا الأساس تتنوع الموضوعات التي تدور حولها الأمثال وتضرب فيها وقد ينتمي المثل الواحد إلى أكثر من موضوع وبذلك تتداخل الموضوعات وتتكرر، وقد تتعارض أحيانا[1].

أ- مجال الحياة ونواميسها

- **القضاء والقدر:**

✓ اللي جاء وقته ما يتلام.

✓ اللي في عمره مدة ما تقتله سدة

- **العناية الإلهية:**

✓ ربي خلق الداء والدواء.

✓ رحمة ربي واسعة.

- **تصاريف الدهر:**

✓ في الصغر بكيت وكبرت ما شفيت.

✓ منين كانت ليام يا حسره

ب- في العلاقات الاجتماعية:

- **المعاملة بالمثل:**

✓ الشر بالشر والبادي أظلم.

✓ اللي باعك بالفول بيعه بالقشور.

- **الصداقة:**

✓ الحجرة من عند الحبيب تفاحة.

✓ خوك خوك ولا يغرك صاحبك.

- **الجود:**

✓ خير الحبيب يلحق.

✓ خيرك سابق.

ج-الدعاء:

- **الدعاء بالخير:**

[1]- رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، (د،ط)، (د، ت)، ص49.

- ✓ ربي يسهل باللي فيه الخير.
- ✓ رب أجريها على الصلاح.

- **الدعاء بالشر:**

- ✓ يعطيك عمادة إلى رقد ما ثار.
- ✓ الله يهلك الظالم ويخرجنا منه سالم.

د- الحكمة:

- **المبادرة:**

- ✓ إبعت دينارك وأبقى في دارك.
- ✓ أربح وخلي الناس تربح.

- **فصاحة الكلام:**

- ✓ الكلمة كي البارود إذا خرجت ما تولي.
- ✓ الكلام الزين يدفع في الدين.

- **النقد الساخر:**

- ✓ ما حرقتشي غير لشلش.
- ✓ أحضر يا زين وكدس.

- **التهكم:**

- ✓ واش تعطل الصلاة عند العارفين.
- ✓ البغل ما ينسى الصكة واليهودي ما يقصد مكة.

د- أشكال المثل الشعبي:

- **المرسل:** وهي أمثال مكونة من جمل بسيطة في قالب نثري خالية من الوزن والايقاع.

مثلا: "إفت فيه يرحمك الله" (حين البحث عن الحل) "أرقد النوم الطيب"[1].

- **المسجوع:** حركة ايقاعية متماثلة تحدث في نهاية الجمل والكلمات المتجاورة مثلا: صباح الخير يا جاري أنت في دارك وانا في داري. و "سعدك وسعودك وقرعتك وعودك"[2].
- **المنظوم:** وهو أن يرد المثل في القالب شعري لأنه: "إذا كان الوزن والا يقاع في الشعر من شانه أن يعين على عرض الصور اللغوية المتماسكة عرضا يستمر مع الحركة النفسية، فإن الوزن والا يقاع في المثل من شأنه ان يضع الشكل اللغوي المقفل"[3].

---

[1]- محمد الصالح بن علي، شعبية من وادي سوف، 1500 مثل وحكمة، مطبعة عمار قرفي، عنابة، الجزائر، ط1، 1998.

[2]- المرجع نفسه، ص ص 42-45.

[3]- نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص181.

الزيت يخرج من الزيتونة والفاهم يفهم لغة الطير
ولي مال تخرج كلمته ميزونة إدسها في ضميره خير[1]

- **الحكائي**:قد يكون للمثل طابع الحكاية، ومثل هذه الأمثال تستخدم كلمة القول على سبيل الحكاية[2]مثل: "الشجرة قالت أزبرني في الليالي وإلا خلي حالي"، "والبومة قالت: نايا خير من ثلاثة: لجاور نسيبه ولمعادي طليبه واللي دير الخير وين ما يصيبه".

6- وظيفة الأمثال الشعبية

يعد المثل الشعبي أكثر الأنواع الأدبية انتشارا، فهو يتداول ويستعمل بين فئات اجتماعية مختلفة، نظرا لخصائصه ومميزاته التي يتمتع بها، والإنسان في حياته اليومية وفي تعاملاته مع الآخرين، يوظف الأمثال بكثرة،إما لخصائصها الفنية وإما دعما لقوله ولإقناعا لغيره بأهمية ما يقوله. والمجتمع لا يسمح بتداول مثل ما، إذا كان موافقا لعاداته وتقاليده وأعرافه ودياناته،فالمثل عبارة عن أداة ضابطة لتوجيه سلوك الأفراد وهذا بصورة اختيارية، وليست بصورة إجبارية إلزامية. فطبيعة المثل الشعبي هي التي حددت وظيفته كأداة للتخاطب والتواصل، فهو أداة تواصلية.

وفي العادة يأتي المثل الشعبي في ختام الحالة التي توافقه، بنفيها أو تأكيدها، فهو يحتوي على أحكام تقييمية، حيث يبدي الرأي من الموقف ويعطي الصيغة المعارضة أو الموافقة بالسلب أو بالإيجاب، والمثل الشعبي لا يظهر دون حاجة إلى ذكره او ضرورة لذلك، وهذه الضرورة تمس الوظيفة التي يؤديها بالدرجة الأولى،"على أن الأمثال إذا كانت لا تهدف إلى غرض تعليمي، فإنها تهدف من خلال تلخيصها للتجارب الفردية إلى نقد الحياة. وكثيرا ما يشعرنا المثل بنقص في عالم الأخلاق. وليس هذا سوى انعكاس لما يسوده عالمنا التجريبي من عيوب أخلاقية".[3]

تتضمن الأمثال الشعبية عدة وظائف حسب الموضوع الذي تتناوله، والذي يمس طبعا الإنسان وواقع حياته اليومية، ومن بين أهم الوظائف التي يؤديها المثل الشعبي هي: الوظيفة الاتصالية والوظيفة الأخلاقية والوظيفة التربوية،...

أ- الوظيفة الاتصالية: المثل كغيره من فنون التعبير الأدبي هدفه الاتصال والتواصل بين الأفراد والمجتمعات وهذا التواصل يكون بنقل تجارب السابقين. وبما أن المثل يتسم بالإبداع الفني والجمالي كما أنه يعد أداة تواصلية جمالية وأيضا ترفيهية، فهو يعتبر مصدرا من مصادر المعرفة والثقافة، كما أن الأمثال تحفظ تجارب الشعوب من الزوال والاندثار، وتسهم أيضا في معرفة الثقافة التي تسود المجتمع.

ب- الوظيفة الأخلاقية:فالمثل هو بمثابة الضابط الاجتماعي والرقيب الذي يوجه سلوك الفرد، وفق ما تمليه القيم الأخلاقية للجماعة،سواء مع نفسه او مع أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه "فالأمثال تراث يحتوي على ما لو

[1]- عبد الرحمان مجدوب، القول المأثور، تصنيف نور الدين عبد القادر، ط1، الجزائر، ص77.
[2]- نبيلة إبراهيم، المرجع السابق، ص181.
[3]- إبراهيم نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص179.

أمكن إحكام تصويره، شعرا او نثرا، تمثيلا، أو قصصا، لكان من خير الأدوات للضبط الاجتماعي الذي لا بد منه لتنشئة الأفراد، منذ طفولتهم، تنشئة اجتماعية سليمة[1]". بمعنى أن المثل الشعبي يقدم تجربة جاهزة عن موقف ما،أو هو يمثل خلاصة التجربة الإنسانية، ويعكس المستوى الاجتماعي للمجتمع، من خلال التعرض لبعض المواقف أو التصرفات التي يحاول المثل معالجتها في صيغة أدبية فنية، فهو يحاول حماية عادات تقاليد المجتمع من الزوال، من خلال تكريس مثلهم العليا وأخلاقهم. والمثل غالبا ما يكون مرتبطا بقصة تشرح مغزاه، وبهذا نستطيع أن نتعرف على الكثير من سمات المجتمع وخصائصه الاجتماعية، "فالمثل هو الإطار الذي يحدد مجالات الحياة الإنسانية وقيمتها الأخلاقية،ويحدد ما للإنسان فيها وما عليه، حتى لا يضل في متاهات الانحراف حيث أنها تعتبر من الوسائل الفعالة داخل المجتمع، في توجيه الأفراد وتعريفهم بالقواعد السلوكية المستحبة التي يجب إتباعها،والنواحي المنكرة التي يجب الابتعاد عنها، باعتبار الأمثال الشعبية ممثله للضمير إلى كل أمة في أرقى صورة بتمييزها بين الحق والباطل، والخبيث والطيب، والخطأ والصواب"[2].فالمثل يمثل إرثا ثقافيا زاخرا عن طريقه نستكشف الطابع الثقافي للمجتمع، والوظيفة الأخلاقية التي يحويها تعد كمحدد لمجالات الحياة الإنسانية، وقيم ومعايير المجتمع المقاومة لكل انحراف أخلاقي.

ج- **الوظيفة التربوية التعليمية**:وهي تحمل نفس معنى الوظيفة الأخلاقية تقريبا، لأنها تسعى إلى تهذيب النفس وتقويم الخلق،وتعليم الفرد طرق وسبل العيش في ظل التجربة التي يتضمنها المثل، فالأمثال تعد مدرسة يتعلم من خلالها الفرد السلوك الصحيح والاتجاه السليم الذي يسلكه في حياته،فيكتسب تنشئة اجتماعية سليمة."ولئن كانت التشريعات القانونية اتخذت مصدرا رسميا لتنظيم العلاقات الإنسانية فإن الأمثال بدورها قد اتخذت مصدرا لتشريع العادات الشعبية وتشكيلها حسب الاحتياجات الاجتماعية"[3]،فالأمثال بما أنها حكمة الشعب وفلسفته في الحياة فهي تسعى إلى تكريس مقومات الأمة وإلى غرس عاداته ومعتقداته في الأفراد،فمنها يستخلصون الموعظة الحسنة كما يجدون المواساة فيها، وتساعد قليلي التجارب وعديمي الخبرة بتوجيههم، وهي منبر للكشف عن بعض التصرفات غير الأخلاقية بذمها، ومن جهة أخرى محاولة ايجاد البديل عنها.

د- **الوظيفة الفنية**: فالمثل فن أدبي له مكانته الخاصة بين فنون الأدب الشعبي، يتميز بخصائص فنية، أهلته للانتشار والشيوع بين أفراد المجتمع، أكثر من الأنواع الأدبية الشعبية الأخرى، فهو يتميز بإيجاز عبارته وبساطة تعبيره، كونه انبثق ونشأ من عمق الشعب وثقافته وأصالته.

هـ- **الوظيفة الترفيهية**:فبعض الأمثال تحمل الناس على الضحك والانشراح، كونها صيغت في قالب جمالي فكاهي، لكنها تحمل بعدا أخلاقيا ما، فكمثال على ذلك نجد المثل القائل: **"واش يخصك يا لعريان؟**

[1]- الساعاتي حسن، حكمة لبنان، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص26.

[2]- جلاوجي عز الدين، الأمثال الشعبية الجزائرية بسطيف، ص16.

[3]- شعلان إبراهيم أحمد، الشعب المصري من أمثاله العامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972، ص47.

يخصني لخواتم يا سيدي" بمعنى أن الإنسان العاري والذي يكون لباسه رثا وقديما، ولا يستر كامل جسمه فرغم وضع المأساوي، إلا أنه عندما سئل عن احتياجاته، أجاب بأن الخواتم هي التي تنقصه ليتزين بها وهناك مثل آخر يحمل المعنى نفسه وهي **"الشر والتفنطيز"** فهذا المثل يحمل جانبا ترفيهيا فيه تسلية وضحك وأيضا له مغزى.

بالإضافة إلى الوظائف المذكورة توجد وظائف أخرى تؤديها الأمثال الشعبية، حيث تمثلها التجارب المنطلقة من خلالها (الأرض، الزرع، السقي، الحصاد...)، "وهي أبدا تمثل خلاصة لتجارب إنسانية واقتصادية وزراعية: غايتها أن تعلم الإنسان العربي في الريف الجزائري ما ينبغي أن يتعلمه، حتى لا يقع في فخ الارتجال والتهور وقصر النظر."[1] فبعض الأمثال تعد كقوانين جاهزة تنظم المجتمع الزراعي.

ومن هنا يتبين أن للأمثال الشعبية عدة وظائف ولكل وظيفة أمثال تشرحها أو تتضمنها، وبالتالي فتأثيرها كبير على الفرد وعلى المجتمع، بما تحاول بثه وغرسه في أنفس الناس من أفكار ومعتقدات ومفاهيم عن الحياة وطبيعتها، وكيف يمكن للفرد أن يعيش فيها بسلام ويعايشها أيضا، فللأمثال دور كبير في الحياة، لأنها تساهم في تعامل الناس وتفاعليهم مع بعضهم البعض وفق مصالح وأهداف مشتركة.

7- الهدف من المثل:

للمثل دور كبير فبالإضافة إلى الوظائف المذكورة سلفا التي يؤديها في حياة الفرد والمجتمع، إلا أننا نجد أن مفهومه ودوره أوسع من كل هذا. " ولما كانت تجارب الإنسان تشغله إلى حد كبير، فإن الإنسان لا يعيش في عالمه الكبير، بقدر ما يعيش في عوالمه الصغيرة، أي في تجاربه. وكلما عاش الإنسان في هذه التجارب وأحس بوقعها على نفسه، كان أشد ميلا للتعبير عنها وعن نتائجها، فقد يحدث أن يفشل في أمر ما، كان يتوقع نجاحه فيه، فإذا شاء هذا الشخص أن يصف سوء مصيره وعجزه لشخص آخر يدرك موقفه تماما، فإنه يعبر عن ذلك بكلمة (حظ)."[2]

فالمثل هو وسيلة لنقل تجارب الفرد سواء كانت مفرحة أو محزنة، فهذا التعبير عن موقفه يحيل إلى موقفين: إما إصراره على مشاركة الناس بأفراحه وهمومه واطلاعهم عليها، وإما بهدف أخذ الغير العبرة منها فالمثل هو رصد للسلوك الإنساني في حالات ومواقف متغيرة، فهو يهتم بالعلاقات الاجتماعية المتداخلة، كما أنه يستعمل طريقة الإرشاد، حيث يقوم بعرض المواقف ثم يترك الفرصة للفرد في الالتزام بذلك السلوك أو بتجاهله. "ومن هنا يمكن القول بأن المثل الشعبي ينسجم تمام الانسجام مع نظرية التربية المعاصرة التي تحاول ان توفق بين استعدادات الفرد ومتطلبات البيئة الاجتماعية المعقدة، وعملية التوفيق في جوهرها تتلخص في وضع المرء أمام حقائق عليه أن يهتدي بنفسه إلى إدراك ما هو صالح، وهو صالح فيها."[3] فالهدف من المثل يبقى أولا واخيرا محاولة تقويم سلوك الفرد للإنسان، بتوجيه الوجهة السليمة، التي فيها الخير والسلام له ولأبناء مجتمعه.

---

[1]- مرتاض عبد المالك، الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص11.

[2]- إبراهيم نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص177.

[3]- ابن الشيخ التلي، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، ص181.

وبالتالي فالمثل يحتل مكانة مرموقة بين أشكال الأدب الشعبي الأخرى، فهو الأداة التعبيرية الأكثر تداولا بين الناس، "إننا نعيش جزءا من مصائرنا في عالم الأمثال، ولعل هذا يفسر استعمالنا الدائم للأمثال على عكس الأنواع الشعبية الأخرى..."[1] فالأمثال تنبع من الشعب، وهدفها هو التعبير عن واقعه، وعن ظروف عيش السكان، عن نسائه ورجاله، عن مختلف المواقف الاجتماعية التي تحدث في الحياة، ورغم بساطتها إلا أن لديها أهمية ومكانة متميزة، تنفرد بها عن سائر أشكال التعبير الشعبي.

فالمثل الشعبي بما أنه نابع من عمق الشعب، فهو يصور الحياة الاجتماعية ويرسي الأعراف والتقاليد لأنه يملي عليهم ما يأخذون، ويلتزمون به، وينبههم إلى ما يجب تركه والابتعاد عنه، فهو يلعب دور الرقيب أو الضابط الاجتماعي، الذي مهمته تقويم الاعوجاج –إن وجد– ومحاولة مساعدة الضال والخارج عن إطار الجماعة والعرف والتقاليد، كما أن المثل يمثل عراقة الشعب وجذوره، وأصوله، أو هو بمثابة إرث حضاري تاريخي، يروي عبر ثناياه عن أخلاق ومبادئ هذه الأمة، المستمد من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف. "وتبدو أهمية الأمثال والحكم أنها وسيلة تربوية لأن فيها التذكير والوعظ والحث والزجر، وتصوير المعاني"[2]، فالمثل عبارة عن تكريس للخلق الحميد، الحميد، كونه يعبر عن طبقات الشعب، خاصة منها المحرومة والمحتاجة، من الفقراء والمعوزين أو ذوي العاهات. يتحدث عن مختلف مراحل حياة الناس من الطفولة إلى الشباب إلى الشيخوخة كما يتحدث عن المرأة والرجل وعن حقوقهما والتزاماتهما، وعن مختلف العلاقات او المشاكل التي تنشأ بينهما. إن مكانة وأهمية المثل الشعبي نجدها في تعرفه المعمق لبعض فئات المجتمع كالمرأة مثلا، وكيف يراها المجتمع فمكانة وأهمية المثل كما رأينا سابقا، تصلح لأن تكون أرضية، تدرس فيها أحوال المجتمع وأخلاقه ومبادئه وقيمه، لأنها تعكس الواقع بما فيه من تناقضات.

وللمثل أهمية في المجال النفسي، حيث يعتبر متنفسا عن الرغبات الإنسانية، فالإنسان يمر في حياته بلحظات أليمة، فيجد نفسه محبطا أو يائسا من الحياة، أو فاقدا الأمل من ناسه ومجتمعه، فنجد الأمثال الشعبية تساعده على ايجاد الحل للحالة التي هو عليها، فالشخص يلجأ ليها بطريقة غير مقصودة، كما يقلل من توتره الناتج عن شعوره بالخيانة او بالفشل والإحباط. يقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب في إحدى رباعياته:

"لا تخمم في ضيق الحال شف عند الله ما وسعها
الشدة تهزم الأرذال أما الرجال لا تقطعها"[3].
تقطعها"[3].

[1]– إبراهيم نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص147.
[2]– الماوردي علي، الأمثال والحكم، ت/ فؤاد عبد المنعم، دار الوطن، 1999، ص20.
[3]– المجذوب عبد الرحمان، القول المأثور، ص08.

بمعنى كل شيء بالنسبة إلى الله سهل لا صعوبة فيه، لذلك لا داعي إلى اليأس والجبن، فصبر المرء يظهر في الشدائد وأن أرباب الشجاعة والمروءة والهمة يقاسون الشدائد ونوائب الزمان، لكنهم يصبرون ويتغلبون عليها بقوة إرادتهم وشدة عزيمتهم.

كما أن للمثل الشعبي تأثيرا قويا على السامع، فهو يجعل الأفراد ينصاعون كما تقتضي به قوة العرف والمعتقد الشعبي، فتأثيره عليهم بهذه الطريقة يبرر ما له من مكانة وأهمية في الثقافة الشعبية، إذ نجد هذا الشكل الفريد بطريقته التخييرية والإرشادية، يساعد بشكل واسع على نشر الخلق القيوم، والتعامل مع المواقف المتجدد والمتغايرة بشكل سليم، مع الحفاظ على العرف والعادات والتقاليد.

ومن كل ما سبق نستنتج ان المثل له دور وأهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، "وكما كانت الأمثال فنا من الفنون الأدبية الشعبية الحياة، تعلقت بكل شيء، وتناولت كل شيء يتصل بالحياة، فنراها تعالج الأخلاق والحكمة، والتربية والتوجيه، والسخرية والتهكم، والنكتة، والفكاهة، والعضة والعبرة، والحب والكره، والاضطراب والاطمئنان، والخوف والأمن، والسعادة والشقاء، والخصب والجدب، والحرب والسلم والحياة والموت، فكل ما يتصل بالحياة، ويحوم حولها، وينبع منها، او يصب فيها، مجال فسيح لفن المثل ومضطرب عريض له."[1] إذا فالأمثال عالجت كل موضوع، وتطرقت إليه، "فقد ركزت المثال الشعبية بهذه الجهة على مبدأ العلاقات الاجتماعية فكان المثل فلسفة تشع أفكارا نيرة، يسعى القائل من خلاله إلى تأسيس هرم العلاقات المتينة بين أفراد المجتمع. لقد كان رسالة تحمل أبعادا دلالية غاية في المثالية، وبالتالي أسهم في تكتل الأفراد حتى غدا المثل دستورا منظما للناس في حياتهم."[2] وبالتالي فالمثل يمثل بابا مفتوحا بمصراعيه على مختلف المواقف التي يمر بها الفرد في حياته، "إن لها فلسفة تقوم أساسا على التجربة المعاشة، وهي أبدا تمثل خلاصة لتجارب إنسانية واقتصادية وزراعية: غايتها ان تعلم الإنسان العربي في الريف الجزائري ما ينبغي ان يتعلمه، حتى لا يقع في فخ الارتجال والتهور وقصر النظر. إن الحياة بما فيها عالم من التجارب التي منها المر ومنها الحلو، منها القاسي العنيف، ومنها اللين اللطيف، ولكنها كلها تمثل سلسلة متصلة الحلقات بين الإنسان وواقعه، والإنسان وظروفه التي تفرض عليه عيشا معنيا"[3].

ومن كل هذا تبرز أهمية ومكانة المثل في الحياة، ومدى قدرته الكبيرة على التعبير عن مختلف مواقف الحياة، ومعالجتها، أو إيجاد حلول بديلة لها. كل هذا يؤكد لنا على أولويته وأسبقيته في التعبير عن أشكال الأدب الشعبي الأخرى، وهذا ما جعل له نوعا من العصمة والخلود والرسوخ في نفوس الناس، كما كان له أثر عليهم، وسلطان على آرائهم، حتى أنهم يلجؤون إلى تداوله وترديده في مواقف مختلفة، لحسم خلاف، أو إثراء حوار، أو إسكات عدو أو ثرثار...

[1]- مرتاض عبد المالك، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص112.

[2]- ابن سالم عبد القادر، الأدب الشعبي بمنطقة بشار، منشورات التبيين الجاحظية، سلسلة الدراسات، الجزائر، 1999، ص28.

[3]- مرتاض عبد المالك، العامية الجزائرية ، ص11.

خلاصة الفصل

تعد الأمثال الشعبية الأكثر أنواع الأدب الشعبي قدرة على حفظ وحمل وترجمة أفكار وذهنيات أفراد المجتمع وكذا عاداته وتقاليده، وأعرافه ومعتقداته الاجتماعية، بمعنى أنها تعد وعاء تصب فيه ثقافة المجتمع الذي أنتجها وحافظ عليها بالتداول والتناقل مشافهة جيلا بعد جيل،فالأمثال الشعبية تعبر عن فلسفة المجتمع وأحلامه وآماله في الحياة.

وبعد هذا التناول توصلت إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:

- ✓ الأمثال هي ذاكرة الشعوب الحية والمتحركة، فكل أمة لها أمثالها الخاصة بها.
- ✓ تتعدد تعريفات الأمثال الشعبية حسب الجانب المركز عليه، وهناك من يولي اهتماما بالجانب الأدبي أو الاجتماعي، كما أن هناك من يقدم أو يركز على شكل المثل وأسلوبيته، وهذا يدل على أن المثل الشعبي هو كل متكامل، يشتمل على مختلف الجوانب النفسية والاجتماعية، والدينية والفنية...
- ✓ إن المثل يحتل مكانة هامة بين أشكال الأدب الشعبي الأخرى، كونه يتميز بخصائص أهلته للخلود في صدور الناس، وتداوله بين الأوساط الشعبية كالإيجاز والتعبير عن واقع المجتمع من خلال إرساء أعرافه وتقاليده.
- ✓ تعد الأمثال الشعبية حكمة الشعب وفلسفته في الحياة، نظرا لمكانتها الكبيرة سعى العديد من الأدباء إلى جمع هذا الموروث الثقافي في كتب ومصنفات، كإبن أبي شنب وقادة بوتارن، وعبد الحميد بن هدوقة وغيرهم....
- ✓ تصنع الأمثال الشعبية قيمة جمالية وفنية متعددة، تظهر على مستوى البناء والشكل والمحتوى الفكري، وتتمثل في: اللغة والموسيقى الداخلية، الصورة الشعرية وكل هذه العناصر ساهمت في بلاغة المثل وضمان تداوله جيلا بعد جيل.
- ✓ تعدد مواضيع الأمثل الشعبية وغزارتها، صعب علي تناول كل المواضيع، لذلك قمت بانتقاء بعضها على أساس ما توفر لي مما جمعته من أمثال.

الفصل الثاني

موازنة بين الأمثال الشعبية السوفية وأمثال الجريد التونسي

تمهيد:

إن الأمثال الشعبية التي اعتمدتها لدراستي في هذا البحث تتضمن جوانب أخلاقية، فكرية، واجتماعية وغيرها ومثل هذه الجوانب تساعد في تنظيم حياة المجامع وشعور الفرد بانتمائه إلى وسط معين مميز.

وقد أسهمت الأمثال الشعبية بوسائلها المختلفة في استقطاب اهتمام الناس إليها منذ القدم، فكانت وسيلة للتباري فيما بينهم، وأحيانا لإبراز التفوق، وكذلك توطيد العلاقات والصلات الاجتماعية.

وهذه القيم تعكس على الخصوص صور المجتمعين : الجزائري والتونسي من جميع جوانبه لأن الفنان الشعبي ليس إلا جزءا من كيان ذلك المجتمع وهو المرآة العاكسة لسلوكاته، وقد اخترت مجموعة من بين الأمثال الواردة في هذا المجال وجدتها كافية للدلالة على تلك القيم وضفتهاعلى مستوى عدة جوانب ومجالات: اجتماعية ،دينية أخلاقية، ثم على مستوى الصياغة اللغوية.

وبالتالي فالأمثال الشعبية متعددة في كلا المنطقتين لذلك حرصنا على موازنتها لتكشف لنا اوجه الشبه والاختلاف من خلال ما جمعناه في تنصيف المدونة ،بالإضافة الى بيان اوجه الشبه والاختلاف بين امثال المنطقتين معتمدين على التعليل و التحليل و الشرح .

أولا: دراسة أمثال المنطقتين على مستوى الجوانب والمجالات

- **الأمثال الشعبية في منطقة "وادي سوف"**

لا نبالغ حين نقول ان الامثال الشعبية في وادي سوف من اروع صور التعبير العفوي لدى الجميع المثقف والامي الشاب و الشيخ حيث تستعمل بمهارة فائقة حين تأتي مناسبتها لتكون حجة قوية ودليلا مقنعا تتسلل الى نفوس السامعين فتغير رأيهم فيصبح من رأي المتحدث ، كما تفتح الافاق لفهم ما يقال وفهم المحيط بالأمثال يتضح المقال فكم من مرة يحتدم الصراع بين المتحدثين ، تكون فيه الغلبة لمن كان احدق استعمالا للأمثال و الحكم فيكسب احترام السامعين .

I- الجانب الاجتماعي:

1-مجال الحب:

عندما نقول الحب نقصد به تلك الكلمات الرائعة المنبعثة من القلب بكل صدق ومودة وعطف وحنان ونقول الكره فنقصد به كل صفة منبوذة يمتلكها الشخص من نفاق وحقد وحسد وكبرياء وكسلوغيرها . الحب هو ذلك الشعور النبيل الصادق، عن مشاعر تحقق التقارب والتجاذب والارتياح الداخلي بين البشر، أو الاستمتاع بالتواجد مع طرف آخر والحب أيضا يصف مشاعر من العاطفة وهو الفعل الذي لا يتصرف فيه إنسان عن عمد، ولكن باستجابة رقيقة فيها تعاطف اتجاه الآخرين، أو طرف واحد آخر، وهذه العاطفة متأصلة في كافة الثقافات لذلك وصف بأنه أحد السمات البشرية، أو السمة التي تجعل من الفرد إنسانا بشريا وتاريخيا العربي مليء بمثل هذه القصص التي بقيت خالدة وضرب بها المثل في الوفاء والحب الحقيقي كقصة جميل بن معمر وبثينة، وقيس وليلى، وعنترة وعبلة...وغيرهم.

والحب الذي تصوره لنا القصص ما هو إلا نسيج الأحلام إنه ينشأ عن أماني وتصورات ويجعل الإنسان يرى في من يحب صورة للرجل المثال أو المرأة المثالية التي لا يمكن أن يحياها إنسان في عالم الواقع،ولكن الحقائق تقف حجر عثرة في سبيله، فأحيانا يكون هذا المحبوب بالرغم من الصورة المثالية التي طبعها بها الحب، ورمزا للقبح أو الغباء أو سوء السلوك والخلق وغيره لذلك قيل: "الحب يطيح على عود يابس"[1]. ويقال في الرجل فصاحب المثال فيه من يقع في غرام امرأة دميمة كمن سقط على عود يابس، فإذا حدث لرجل ان أحب امرأة ما أو العكس، فهو لن يتخلى عنها مهما حاول معه الأهل أو الأصدقاء، لأن حبه قد انقلب إلى عشق جامح. ولدلك قيل: "الحب أعمى".

ويقال هذا المثل بالخصوص في من دفعه غرامه إلى ارتكاب المخاطر، فالحب يصبح أعمى في سلوكه وتصرفاته، وهذا ما يؤثر على اختياراته التي يصبح الهوى مسيرها ومرشدها فهو يتحكم بعقله ويجعله يتصرف تصرفات صبيانية أو لا عقلانية.

[1] الموسوعة السوفية للحكم والأمثال الشعبية، بن علي محمد الصالح، مطبعة سخري، الجزائر،ط1، 2012، ص53.

وبما أن مجتمعنا عربي إسلامي، فهو محافظ ولا يسمح أبدا بحدوث هذه القصص علنا، فإذا حدث وأن انتشر خبر هذا الحب، تعرض المحبان إلى عقوبات، قد تكون أشد على المرأة، فإن صبر على حبها رغم الصعاب، ظهر للآخرين إنهما صادقان في شعورهما، ومتمسكان ببعضهما، ويقال في سبيل صبر الحبيب على الآخر: "اللي يحب العسل يصبر لقريص النحل واللي يحب الورد يصبر لشوكه، واللي يحب الزين يصبر لعذابه" ويقال فيمن لقي عناء في شخص أو شيء أحبه، يقال أيضا: "الحجرة من عند الحبيب تفاحة"[1]، ويقاوم المحب الى أبعد حد دفاعا عن محبوبه، مهما كان سيئا، وهذا تعبيرا عن حبه الشديد له، فهذان المثلان يحثان على الصبر عن الأذى من أجل الفوز بقلب الحبيب، ويقال أيضا: "كل شيء بالسيف غير المحبة"، فالحب شعور لا يستطيع الشخص التحكم به، أو ضبط مشاعره اتجاهه، أو تحويلها إلى شخص آخر، فهذا الشعور هو شعور قوي متأصل لأنه نشأ بين شخصين نتيجة للإعجاب الشديد تحول هذا الإعجاب إلى الحب وما يصحبه من العاطفة القوية.

وكما قيل في الحب أيضا: "الحب الأول ما يتحول"، الشخص عندما يحب لأول مرة في حياته تكون أحلامه وعواطفه بريئة وصادقة فإن حدث وأن قوبل بخيانة أو ما شابهها انهار كليا، وفقد طعم الحياة ولونها واستحالت حياته جحيما، لأن الخيانة مرة وصعبة، لذلك يقال في خداع المحبوب: "الحب من الشوارب والقلب هارب" بمعنى أن الحب الزائف يكون بالكلام والقول فقط، أما حقيقة القلب والمشاعر فهي غير ذلك لأن الحب الزائف تجريدي يفهم معناه من خلال التجربة وليس بكلمات فالمحب يبقى يعيش في دوامه من الأحلام والسعادة الموعودة التي تظهر من خلال نظرات عينيه وابتسامته التي لا تفارقه، ونشاطه وحيويته الدائمين يقال: "إدا حبك القمر النجوم تشطحلك"، بمعنى أن الدنيا تظهر في عيني المحب جميلة وملونة بكل ألوان الحياة لأن الشخص الذي أراده وطالما حلم به رفيقا، فقد حضي بمودته ومحبته.

2- مجال الزواج:

عبرت طبقات المجتمع السوفي عن هذه الظاهرة الاجتماعية بعدد من الأمثال الشعبية، جاءت من الناحية الايجابية مرة ومن الناحية السلبية مرة أخرى، لأن تلك الطبقة المعينة من المجتمع –آنذاك- كانت تحث أن هذه الظاهرة، فتجيئنا أمثالهم إيجابية، في حين نجد أن البعض الآخر يحاول إبعاد المجتمع عن النواحي السلبية التي تتبع الزواج ويعبر المورد عن صعوبة الزواج فيقول: "ازواج ليلة دبارتوا عام"[2].

وفي مثل آخر يشرح لنا أن زواج الأقارب غير محبذ على زواج البعيد، لأن عواقب الزواج وخيمة، حين تكون الزوجة قريبة من بيت الزوج، "خوذ بنت الناس إذا مالقيت لهنا تلقى لخلاص"، "وين بنت عمي نلقى همي".

وعن طريقة اختيار الزوجة يعبر لنا المثل التالي، فيقول: "شوف لمرا وأخطب بنتها"، كيفية الوصول إلى الزوجة الصالحة، لأن الأم هي إمرأة عاكسة للبنت.

[1] الموسوعة السوفية للحكم والأمثال الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص53.

[2] المرجع نفسه، ص75.

أما عن المشقة التي يلاقيها أهل وأصدقاء العريس (الزوج)، فقد عبر لنا العديد من الموردين عن هذه المشقة "العريس يعرس والميشوم يتهرس".

ويبقى الزواج بصفة عامة مقدرا من عند الله، والزوج هو قضاء الله، فمن قدر له زوجة فهي له، مهما كانت الطريقة، وهذا ما جاء في المثال التالي: "الخطابة عشرين والمكتوب واحد" ويتجلى في مثال آخر عن التكافل الاجتماعي الذي يحدث بين الزوج والزوجة، ويوضح لنا العلاقة التي يتقاسمانها في هذه الحياة رغم الظروف التي يعايشانها، لغرض بناء أسرة متكافئة ومنظمة، يسودها التآلف والمحبة والترابط بين أفرادها، وهذا ما يعكسه لنا المثال التالي، "المحبة فرايس لو كان على عود يابس"[1].

ومن المبادئ الأساسية للزواج، التفاهم والرضا بين الطرفين. فقد أكد ذلك المجتمع السوفي وحاول ترسيخها في جذور المجتمع، مدعما بها ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وذلك بقولهم: "كل شيء بالسيف غير الحب بالكيف"، وورد أيضا: "المغصوبة ما تركح ومولاها ما يربح" وهذا الأخير يدل على المرأة التي زوجت من غير رضاها، والعكس صحيح، وبالتالي تكون علاقة هشة معرضة للانفصال.

وأضاف الموردون أيضا أن الزواج ليس فرحا وتباهيا أمام الوسط الاجتماعي، ولا إشباعا للفطرة وإنما هو مسؤولية أو حتمية تكون على عاتق الزوج والزوجة للوصول مثلا إلى أسرة بناءة للمجتمع وهذا ما يصوره المثال: "الفرح ليلة والشقا طول الدهر". "ما تحسبش الزواج فرح وتفاح راه بكا ونواح".

ويرى أن اختيار الزوج للزوجة لا يكون من الجانب الجمالي الحسي أو المظهر الظاهري، فحسب فهذا لا يعد أساسيا عند التفكير في الزواج فيقال:"ما تشوف زين الطفلة حتى تشوف الفعايل" ويبقى المقياس في الزواج لا ينحصر في الجانب الجمالي فقد وإنما تتبعه الأخلاق وذلك بذكرهم: "قص اللحم على المفصل وادي بنت الأصل".

وهناك من يرى ويحبذ أن زواج الأقارب هو الأفضل له وإلى حياته الزوجية وبذلك يكون اختياره للزوجة اختيارا غير بعيد عن الأقارب فيقول المثل: "خوذ طريق العافية ولو بعدت وخوذ بنت العم ولو بارت"، "بنت عمك كي لعسل في فمك".

3- مجال الرجل:

إذا انتقلنا من المرأة إلى الرجل فنجد المثل قد خص أيضا مجموعة من الأقوال تنقل واقعه وتصرفاته وآراءه فقد عرف عن الرجل السوفي أنه رجل ذو همة وعزيمة . فقد كان الرجل رجلا بكل معنى الكلمة ، ومن سمات الرجل الاتحاد و التعاون مع بني جنسه وذلك لطبيعة الحياة التي كان يعيشها في منطقة واد سوف وذلك بالاتحاد في العمل مثلا: "رجال تتلاقى والجبال ماتتلاقاش"، فقد أكسبت طبيعة الحياة القاسية وكسب القوت العسير إلى تجاذب أطراف المجتمع والتكافل فيما بينهم لتحقيق غايتهم لنا فورد ذلك في: "الرجل وقت الشدة يبان".

[1] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص88.

ومن سمات الرجل أنه ذو كلمة يفعل ما يقول كقول المورد: "الرجل عند كلمته"[1] ويقال: "الرجل يربطه لسانه".

وقد اهتم سكان منطقة وادي سوف بالجانب المعنوي للرجل لا المادي وذلك لتساوي المستوى الاجتماعي آنذاك فكلهم كانوا معتمدين على الفلاحة وزراعة النخيل ودافعوا عن الرجل العادي أو البسيط بما يتجلى فيه من أخلاق وشهامة تسمو به إلى عدم مقارنته بالمال فقيل: "الرجل رجال ولو خصهم المال" وفي سياق هذا الحديث ذكر: "الرجل وين ديره يندار"، وأرجع البعض الآخر أن تكون أهمية الرجل بماله أو ممتلكاته فقيل: "الرجل بلا مال ما يسواش كي الدلو لمقعور يهبط ويطلع بلاش".

"الراجل عيبه جيبه"، وهذا المثال يعكس لنا مدى أهمية الجانب المادي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ودوره في تحقيق مبتغى الرجل السوفي، وقد عالجت الأمثال الجانب التحكيمي لتوضح لنا الصورة والدهاء وذلك في ما ورد: "الرجلة ماهي بالكذب ولين وماهي بالعظم الخشين"، وعرف الرجل السوفي أيضا بتضامنه مع أخيه والوقوف معه في السراء والضراء وذلك في: "الرجال تعرفها في الحزة"[2]، "والرجالة كي تتحزم".

"دار الرجال مبنية ودار النساء مخلية" أي أن الرجال إذا اجتمعوا واتفقوا على شيء كان بناءا ومفيدا للمجتمع أما النساء فالعكس.

4- مجال المرأة:

مما لا شك فيه أن للمرأة دورا هاما في الحياة بكونها البذرة الأساسية التي تساهم في نشأة المجتمعات ودورها في تربية الرجل وانعكاس دلك في الوسط الاجتماعي، رغم التهميش الذي عاشته المرأة السوفية، التي كانت تؤخر في كل مجالات الحياة وتتجلى الزيادة للرجل في اقتصار الحياة في رأيهم عليه، إلا أنهم أوردو صورة المرأة والواقع التي تعيش فيه، ولقد كانت المرأة في المجتمعات السوفية تخص في جانب العلاقات الأسرية والاجتماعية فيقال: "قرابة البعايد" وذلك لقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)﴾[3].

وجاء في قولهم: "المرأة بعايد والكنز أرض وحدايد"[4]، فهذا يرجع إلى دقة وتصوير وخبرة وحنكة المورد في ضرب هذا المثل وربطه بالمرأة والكنز . فالمرأة قرنها بالبعد وذلك أن المجتمع السوفي كان يؤمن بهذا القول الكنز أرض وحدايد وذلك بتعلق الرجل السوفي بالأرض والمرأة بالمعدن النفيس (الذهب والفضة).

المرأة على دين رجلها :إن لضرب هذا المثل وجهين : فنحن كما نعرف أن على الرجل المسلم يجب عليه أن يرتبط بامرأة مسلمة هذا من الجانب البعيد واما من الجانب القريب أن المرأة في البيئة السوفية يجب عليها أن تطيع أوامر رجلها وأن لا تخالف من قوله شيئا فالمرأة في رأيهم تكون عديمة القيمة، ولا شأن لها في الحياة وإن لم تكن

[1] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص70.
[2] المرجع نفسه، ص71.
[3] سورة الحجرات، الآية 13.
[4] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص155.

مرتبطة برجل يأويها ويحميها وتكون عرضا مصونا له فلا تحمل غاية في هذه الحياة وذلك بتصويرهم بأن: "المرا قبرها راجل"، "النساء نساء واللي يتبع رأي النساء نساء"، لقد حط مورد هذا المثل من قيمة المراة خاصة والمجتمع السوفي عامة وذلك لعدة أسباب مختلفة من رأي لأخر والتقليل من قيمة الرجل الذي يتبع رأي النساء وجعله مهزلة وسطه، وقد ورد أيضا: "النساء ياسر والقربة يابسة"، ورد هذا المثل على المعيشة التي كانت عليها المرأة في حياتها وذلك بأن المرأة كانت تجلب الماء لبيتها من البئر لكن في هذا المثل ينقد قائله انه رغم كثرة عدد النساء إلا أن (القربة)، وهي إناء من جلد الماعز يستخدم لتخزين الماء تكون خاوية الماء هذا من جانب ومن جانب آخر يدل هذا المثل على أن كثرة النساء لا تعني التعاون بينهن بل قد يؤدي إلى الإهمال.

لم يقتصر تصوير المرأة على أنها زوجة فقط فقد ذكرت أم الزوجة التي كانت تحمل طابعا عدائيا مع زوج ابنتها وأهله حسب رأيهم فوصفوها بالعديد من الأوصاف تحت لواء المكر والخديعة فيقال: "النسيبة ذيبة"

لقد ساد الوسط السوفي قلة في عدد الذكور إثر الحروب والأوبئة التي شهدتها الجزائر عامة ومنطقة سوف خاصة بالإضافة الى تفشي الامية والجهل... وأما من جانب المرأة فقد عانت من قلة وندرة الزواج نظرا لأسبقية الرجل لطلب الزواج فضربت أمثال عنها: "البايرة قالت الرجال عميوا"، "البايرة قالت بي سحر"،نظرا للظروف التي ذكرناها سابقا والواقع الذي عاشوه من جهل وتعسف في الجانب الديني ولجوء بعض الجهلاء إلى الشعوذة والإيمان بها.

وفي سياق هذا دعا بعض النساء إلى التيقن والتأكد بأن الزواج من عند الله عز وجل ونصيبه فيقال: "البايرة قالت سعدي منحوس"[1].

وعرفت المرأة بعدم التحفظ والحفاظ على الأسرار لأن المرأة كمال يقال عقلها في لسانها وعدم مبالاتها بالعهود ، وورد في ذلك "لا في الشتاء دفا ولا عند النساء وفاء"، وفي جانب آخر قيل: "تفكري يامرا من تسالي".

II-الجانب الأخلاقي:

1-مجال الصبر:

يقال: "اصبر يا صابر تنال الخير"، حث الفئة الشعبية على الصبر والاتصاف بهذه الصفة التي اتسم بها الأنبياء والمرسلون وما من صابر إلا ونال جزاءا وخيرا، وما من مصيبة نزلت على صاحبها وصبر واصطبر إلا كافأه الله ونال الخير والجزاء الكبير من الخالق، فيقال أيضا: "اللي يصبر ينال الخير".

والصبر يكون في النفس مما يصيبها، ومنه الصبر على الجار الذي يسيء إلى جاره: "اصبر على جار السوء يارجلينصاب"كذلك قيل: "اصبر على رزقك يجيك"، فالرزق من الله ولكن التحمل والصبر وعدم اليأس والخضوع إلى التواكل يجعل من المرء يحصل على رزقه الذي كتبه الله له، وقيل أيضا: "الصبر مفتاح الجنة" فالإنسان الصبور على ترك الشهوات والملذات في هذه الحياة فالجزاء عظيم من عند الله في الآخرة وهو الفوز بالجنة.

[1] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص39.

ولقد تعددت صور الصبر في الحياة السوفية، وذلك في مراحل متعددة ومتنوعة، فنجد أن العائلة السوفية تصبر على ما يحيط بها من ظروف ومآسي معيشية وهذا ما نراه في بعض الأمثال السوفية فقيل: "أكل عام بالبصل تاكل عشرة بالعسل"، وقيل أيضا: "صبري على روحي ولا صبر الناس عليا"[1]، فهذا إن دل على شيء فإنه يدل على قوة التحمل التي كست قلب المجتمع السوفي.

ولقد كانت الشخصية السوفية تتحلى بالفطنة والصبر على الشدائد وقيل: "ارقد على الشوك عريان* حتى يطلع نهارك"، وهذا مما لا شك فيه أنهم يتعاملون مع المواقف التي تطرأ لهم بفطنة وتحكم فنجد ذلك في ما ورد عنهم فقيل: "طول الابل يهدم الجبال"، وراحة البال التي كانت تكسو طابعهم الاجتماعي، فقد كانت لديهم خاصية التدرج في حياتهم كقولهم: "مكانش اللي بنا قصر في عام"، وقد انعكس على السوفي الذي يصل إلى قمة الصبر لكن لا يصل إلى مبتغاه فقالوا: "صام صام وفطر على جرادة"[2].

"ما دام واد على مجراه"، ويضرب هذا المثل لتلقين الرجل السوفي أن لكل بداية نهاية . فالعوائق بداية ولها نهاية، ويضرب أيضا لمن يعاني من معضلات في الحياة عندما يكون صبره قد نفذ من الشيء الذي يعانيه ويتأسى منه، ويضرب مثلا أخر باللهجة السوفية: "اقنع بالشلاكة حتى ايجيكالصباط"، أي على أنه يقتنع بما في يده إلى أن يتهيأ له غايته التي يتمناها والتي تمكن له من تغير حالته التي هو عليها إلى حالة أحسن منها وبالتالي تحققت له غايته وهذا بالصبر.

وفي هذا الجانب عالج المجتمع السوفي أيضا نتائج وعواقب كل أمر تقتضيه حياته فتجد في قولهم: "اللي شاهي العسل يصبر على قرصان* النحل"، وهذا جزء في مجال الصبر ودوره في الحياة البيئية والاجتماعية التي عايشها وعايشتها الأسرة السوفية، نقول أن المجتمع السوفي أكثر المجتمعات صبرا على ويلات الحياة القاسية من الناحية البيئية والاجتماعية وطريقة التكيف مع ما يعترضهم من مآسي ومشكلات.

2- مجال العرفان بالجميل ونكرانه:

إن العرفان بالجميل من الشيم الظاهرة في المجتمع السوفي ولقد رسخ هذه الظاهرة في أمثاله الشعبية، بحكم بنائه وتقارب التعامل بين أفراده والتي نقلها في قوله: "احسبني وكول سهمي*".

وينفر المجتمع السوفي من نكران الجميل، ويذم كل من يقوم به لأن ذلك ينشر العداوة والبغضاء بين أفراده، وقد ظهر كرههم لنكران الجميل من خلال ضربهم أمثال على ذلك في قولهم: "كل الدواقة وكسر والمعون"، "إنا

[1] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص88.

* عريان: تعني الذي بدون ملابس

[2] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص87.

* قرصان: لسع

* سهمي: حصتي من الشيء.

باللحمة لفمه وهو بالمشهاب لعيني". وقولهم أيضا: "يحفروله في قبر أمه وهو هارب بالفاس" ويعنى ذلك أن هذا المثل لمن تفعل له الخير ويعرقل هده المساعي لغير مصلحته، وقد يضرب المثل في من يستغل إحسان الغير له كقولهم: "أعطيه كسرة يطلب عشرة"، ويقولون أيضا: "بعد ما شبع قال مالح"، ويضرب هذا المثل في من يعيب شيئا وهو يستعمله وهو في أشد الحاجة إليه، ويستقبح الفرد الشعبي نكران الجميل بعد الفرج وزوال الكرب، لأنه سيمس بالأخلاق الحميدة فيقولون: "علمناهم في الوضوء، سبقونا للجامع"، وقيل أيضا: "منين كان يفتل ويكسكس، كانت الناس عليه تحوم"، ويقال: "شاف الجديد لاح البالي"، "شاف قمح الناس بزع* شعيره".

كما أن نكران الجميل من السلوكيات المرفوضة لأنها تمس بالأخلاق ونوضح ذلك بهدم العرفان بالجميل فنقول: "كي كان حي، مشتاق تمره، وكي مات علقوله عرجون"، وأيضا قيل: "ياكلوا الغلة ويسبوا الملة" وينبغي علينا ألا ننسى الجميل، بل نعترف بفاعله لكي يساهم ذلك في ربط العلاقات الجيدة بين الأفراد ولذلك قالوا: "أطعم الكرش تستحي العين"، وقولهم كذلك: "الطير الحر يشكر مباته".

وقولهم كذلك: "الرزق اللي تتعشى فيه ليلة، ما توده بخسارة"، وقالوا: "اللي تكبر بيه لا تكبر عليه"[1]، أي لا تتعاظم على من تعاظمت به أي لا ترد من كان قد ساهم في ترقيتك وتعظيم شأنك، وكذلك على الإنسان بأن يكون نزيها وحكيما في تسيير الأمور، كما ورده المثل التالي: "لا تأكل خوك ولا تعقب عليه جيعان".

3- مجال حب الإنسان للمال:

يعني هذا الحقل بالأمثال الشعبية السوفية التي تحكي تعلق الإنسان بالمال، إن الأمثال الشعبية السوفية أعطت جانبا كبيرا من أمثالها للحديث عن المال وحب الإنسان للمال ومنذ خلق على حب المال إلى يومنا هذا وهي علاقة غريبة لا يمكن لجاحد أن يحدد مدلولها، فمن الأمثال السوفية التي شاعت في هذا المجال نذكر منها: "إذا شبعت الكرش تقول للراس غني"، ويكون الجانب المعنوي مرتاحا إذا كان الشخص شبعانا.

ويقال: "إذا تعاركوا الطواحين خاف على دقيقك"، يضرب هذا المثل عندما يكون الصراع بين العمال والخلافات التي تشتد فيما بينهم للحفاظ على الممتلكات والأموال وكما يقول المورد أيضا: "تفكري يا مرا من تسالي"، ويقال هذا عندما يكون لديك حق لشخص ما وطالت عليه المدة لاسترجاع هذا الحق فأصبح هذا الحق منسيا.

وكما يقال في حب المال: "إذا غلت البرمة* لمن يعطي مغرفة"، يضرب عندما تحين الفرحة لالتقاطها خاصة التي من ورائها فائدة، وكما يقال أيضا: "إذا عطفت إحلب"، والعطف يطلق على العنزة أو البقرة التي أصبحت جاهز للحلب، أي إذا جاءتك فرحة من ورائها مكسب، ويقال أيضا: "جاء من تالي وقال يا مالي" وهو الإنسان الذي يحاول في أخر المطاف أن يكسب لنفسه ما تعب عليه غيره ويضيف لنا المورد أيضا: "الجهد يعلم النطح"، يضرب للذي يريد تكوين ثروة لنفسه فيتعلم القوة للدفاع عنه.

* بزع: بعثر وضاع له في الأرض

[1] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص132.

* البرمة: القدر

ويقال أيضا: "شاقي ولا محتاج"، يضرب للذي يتحمل مشقة العمل هروبا من الاحتياج المادي .

وكما قيل أيضا في حب المال: "شبع في العام ركيزة"، وهذا المثل يضرب للحكيم الذي يعرف كيفية التصرف في أمواله وإدخارها للزمن وكذلك يضيف المورد: "العين لتشوف منين تاكل"، ويضرب للذي رأى ما لدى الناس من خيرات من أين يجني ما جنو، وكيف السبيل إلى ذلك وكما قيل أيضا: "واش تاكل يا جدي من نوار"، يضربه السوفي عندما يحضر الربيع وتخضر الأرض ويكثر الكسب لذوي الماشية الذين ينتظرون تلك الفرصة، وكما قيل أيضا: "مد رجلك على قد فراشك"[1]، أي لا تنظر لمال لا تقدر على جلبه.

"دراهمك في يدك كل يوم عيدك "وهدا يعني ان المال اذا كان بين يدك ، فبإمكانك ان تجعل كل أيامك أعيادا ، لأنك تستطيع تلبية كل رغباتك فتكون بدلك فرحا سعيدا و كأنك في عيد .

4- مجال الأخلاق:

في الحياة البشرية حق و بالطل ، خير وشر ، فضيلة و رذيلة . ولم يشد المجتمع السوفي عن هده القاعدة القائمة على الثنائيات الضدية السائدة في الحياة الانسانية مند اقدم العصور .

ولقد عبرت الامثال الشعبية السوفية عن هده الحقيقة في مجال الاخلاق ، فعالجت الاخلاق المحمودة من ناحية ، والاخلاق المنبوذة من ناحية ثانية .

أ- الأخلاق المحمودة:

إن هذا الجانب وضح لنا القيمة الاجتماعية التي كانت تنبع من الوسط السوفي فقيل فيه: "الدنيا بالوجوه والآخرة بالفعايل"[2]، ويعكس مورد هذا المثل الايمان الذي كان يملأ قلب البيئة السوفية حول هذا الجانب الذي يعني أن هذه الدنيا غير دائمة لأي شخص وقد ربطوها بالوجوه وذلك لقضاء حاجيات الحياة أما عن الآخرة فقد قرنوها بالفعل والفعل إما أن تنال به خيرا أو شرا. وقد حاول المجتمع السوفي بناء علاقات على مبدأ التشاور بينهم وذلك للوصول في الخير إلى الصواب والطريق الصحيح فقيل في هذا: "الراي خير من لفتان" وذلك لتفادي المشكلات، وفي جانب آخر سعي المجتمع السوفي إلى إتباع ما هو نافع له وللفرد حيث ورد على ضوء هذا الحديث فقيل: "اللي ما ينفع يدفع".

عاش المجتمع السوفي حياته مملوءة بأصالة الأفكار وطهارة القلب حيث كان الصغير يوقر الكبير ويأخذ بكلامه تقديرا واحتراما له فكان هذا الأخير العقل المدبر وذلك لحياته وتجاربه حيث قيل: "البل تمشي على أكبارها"، فمورد هذا المثل شبه المجتمع بالإبل وقصد (إكبارها) كبار السن والحكماء.

وقيل أيضا: "اللي لفظ كلمة يتم عملها"، يؤمن الفرد السوفي أن كل قول يتبعه عمل ، وإلا لا يتحقق الهدف المنشود الذي يبتغي أن يصل إليه، وذلك راجع إلى إيمان الفرد، وقد ميز الحياة الاجتماعية أيضا التحفظ

[1] 1500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، بن علي محمد الصالح، سلسلة الثقافة الشعبية 1، مطبعة عمار قرفي، ط1، 1998، ص74.

[2] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص07.

الذي عاشوه.وورد في هذا المثل القائل: "البيت لمغلق أماليها يباتوا يرفسوا"ن ويقصد بهذا المثل للذين لا يتدخلون في شؤون الغير حتى يظن بعض الناس أن لهم أمورا يخفونها.

إنه لمن المعهود أن المواطن السوفي يتروى في تصرفاته و يتعقل في شؤون حياته، فهذا كله لعدم الوقوع في الزلة والخطأ الدي يطرأ له في لحظة الطيش ، فورد في هذا: "بات على غيض* ولا تبات على ندم"، ومن جانب المعاملات الاجتماعية التي تسود حياتهم تحت لواء مبدأ التفاهم والتشاور في شؤونهم الشخصية ، ورد هذا المثل: "الراي خير من لفتان"، لتوضيح ما ساد المجتمع السوفي من روح التشاور.

ب- الأخلاق المنبوذة:

لا يوجد دخان بلا نار ولا يوجد مجتمع بلا مشاكل تدفعه إلى معالجتها ونخص بالقول المجتمع السوفي الذي صور لنا الأخلاق المنبوذة في حياتهم وطريقة التعامل معها فمن كان يعمل سوء فقد ترك بصمة سلبية في حياتهم ومجالات تتشاحن فيه مشكلاتهم مع بعضهم البعض فقالوا: "يموت الصيد وما تنساش زهرته"، وقد حاولوا التكيف مع من كان يحمل أخلاقا منبوذة وعدم التوقف عن حاجياتهم في مجال الحياة: "ادي وجيب وشارك الناس في أموالهم"، فهذا راجع إلى دهاء وفطنة الشخص السوفي.

"البقرة إذا غرقت تكثر سكاكينها"، ضرب هذا المثل على من كان في حالة محمودة ليصبح في حالة مزرية فتتكاثر عليه الأقاويل من محمودهاومنبوذها ويضرب هذا المثل لمن ألمت بها لمصائب فيصبح هدفا للناس في لحظات ضعفه، بعد أن كان عزيزا، ونظرا للتمازج والاختلاط بين سكان المنطقة، الذي أودى بهم إلى التكافل في ما بينهم وروح التعاون التي تنبعث من روحهم السامية إلا أنهم جعلوا في حياتهم جانبا من التقليد الذي يعكس بعض احوالهم الاجتماعية كقول المثل التالي: "بات ليلة مع الجيران صبح يقرقر*".

ولا نستطيع أن ننكر ما ساد الحياة الاجتماعية وخاصة الجانب الأخلاقي فهو الصورة الحقيقية للبشر وهذا ما ميز الفرد السوفي وحاول أن يصوره فيما ورد فيه فقال: "إذا كان الغراب خبيرك يكون الشط مقيلك" فضرب هذا المثل للذي يصاحب صاحب السوء ويصبح مدبره في كل شيء. ولقد صورت لنا عدة أمثال أيضا عن ما وصفت بعض تصرفاتهم ومنها العجلة والاستخفاف بالأمر فقيل: "زوى في البيضة"، فهذا راجع إلى الخفة في التصرف والاستعجال في الأمور، فلربما تترتب على أفعاله التي استولى عليها جانب الاستعجال عواقب وخيمة.

"سارق البيضة يسرق حتى الجمل"، فورد هذا المثل على من يفعل فعل السوء البسيط فيفعل أفعالا أكبر منها، والمعبر عنها بسرقة الجمل، وقد عالجوا جانب السرقة في عدة أوصاف وأشكال وتعابير فقيل: "السارق يغمزوه مرافقه"، فيضرب هذا المثل للذي تعود على السرقة فيشتاق ويحن إليها حتى بعد أن كف عنها.

III- الجانب التعليمي:

1- مجال السن، التجربة والخبرة:

* غيض: غضب

* يقرقر: الضحك الشديد

يعرف عبد الرحمان عيسوي: "التعليم بأنه اكتساب العادات والخبرات والمهارات والمعلومات والأفكار التي يحصلها الفرد بعد ولادته عن طريق احتكاكه وتفاعله مع البيئة المادية والاجتماعية التي يعيش فيها"[1].

ومن هنا نستنتج أن الخبرة والتجربة نتيجة حتمية للتعلم خاصة وأن عوامل عديدة تساهم في تكوين مجموعة هذه الخبرات، نذكر منها السن أن لم نقل انه أكثر العوامل تأثيرا- هذه المفاهيم أدركتها العقلية الفردية ونقلتها إلى مجموعة من الأمثالالتي تبين دور التجربة والخبرة والسن في الحياة: "عينك ميزانك"، "دير اللي يصلح بيك"، فيجب على الفرد أن يقتنع بدور التجربة ولا يغفل عليها "اللي فاتك بليلة فاتك بحيلة"، "خوذ راي الكبير تسلك على خير" فعلى الفرد أن يتبع نصائح الكبار الذين سبقوه بالمعرفة ولهم دراية في لحياة اليومية بالتالي لا تهمل آرائهم ويتضح في المثال التالي: "اللي غاب كبيره غاب دبيره"، أي أن فقدان الكبير يعني فقدان التجربة والحيلة، "ما يحس بالجمرة غير اللي عافس عليها"[2] أي لا يعرف الناس قيمة الشيء الذي يشق من أجله ويتعب عليه ويعرفه إلا الذي جربه وقاسى معاناته.

2- مجال النصيحة، الموعظة والتحذير:

ويكون الفرد بطبيعته يحاول أن ينقل خبراته ومجموعة من تجاربه التي تعلمها واكتسبها وعليه تقبل النصيحة والتحذير ولا يمكن أن تخص النصيحة مجالا بعينه، بل تشمل مجالا وحالات عديدة، وتتداخل النصيحة مع التحذير على أن النصيحة تكون تحذيرا بهدف أخذ العبرة والموعظة، وبالتالي هي عبارة عن قوانين تساهم في تنظيم الحياة للمجتمع ليستفيد منها.

ولقد حاول الفرد الشعبي تجسيد ذلك في مجموعة من الأمثال لتكون خلاصة لتجاربه الشخصية، فنجده ينصح بعدم التدخل في شؤون الغير "ما تدير يديك في الغار ما تلدغك* عقرب" وهذا المثل رسخ لنا ما كنا نشرحه آنفا.

أما النصح في مجال القضاء والقدر: "دير اللي عليك والباقي على ربي"، وهذا يدل على أن بعض الأفراد الذين ليس لهم مال وسلطة بأن كل شيء بالنسبة لهم قد انتهى ولكن هذا المثل يرسخ لنا ان رب الكون ورب كل شيء (عز وجل) على دراية بكل شيء ويقول المثل التالي حسب المورد "دير الخير ما تخيبش بيك"، الفرد الذي يعمل الخير بإذن الله لا يحدث له مكروه عكس الذي يقول أن الرزق يجب أن تذهب إليه حتى بطرق غير شرعية بالنسبة للمجتمع وهؤلاء هم الذين نورد لهم المثل التالي: "الباب اللي يجيك منه الريح سده واستريح" يصف لنا أن أبواب الله كثيرة ، فعلى الإنسان أن يختار منها الباب الذي لا ضرر فيه.

3- مجال حظ الإنسان:

أ- الإنسان المحظوظ :

[1] معالم علم النفس، د. عبد الرحمان عيسوي، دار النهضة لطباعة والنشر بيروت، لبنان،دط، 1404هـ 1984م، ص105.

[2] 1500 مثل وحكمة شعبية، بن علي محمد الصالح، ص54.

* تلدغك: تلسعك

لم يرد قدر كبير من الأمثال التي تحكي حظ الإنسان بقدر ما كان القدر الأكبر للذي لا حظ له ومما ورد في المحظوظ ما يلي:

"أصحاب السعد تحطبلهم الريح"[1]، يضرب للذي حظه وافر في كل شيء كما يقول أهل سوف اللي أعطاه سعده تخدم له الريح، وكان كل شيء يأتيه حاضرا.

"أهل العقول في راحة"، الذي أعطاه حظه عقلا راجحا يعيش به.

"الزين بعد هذا نقول نكفر"، يضربه السوفي الذي أعطاه حظه الجمال.

"طيور البحر ما توالف البير"، للذي ابتسم له حظه ثم وقع في مشكلة جعلته في النقيض لا يستطيع العيش بالطريقة الجديدة.

"المغرف تعرف لمن تغرف"، يضرب لمن يستمتع بحظه في الحياة.

"اليد الطويلة تلحق العرجون"، من له حظ فكل شيء سهل المنال لديه.

ب– الإنسانغير المحظوظ:

"اتبشم قبل العيد بليلة"، معدوم الحظ في المناسبات والأعياد والأفراح.

"جعان* طاح في تشيشة"، المحروم الذي يشتاق إلى شيء ويقع بين يديه.

"أم الذليل لا تفرح ولا تحزن"، يضرب لمن لا حظ لها في ذريتها، فأنجبت الجبان الذي لا تعرف الراحة من الخوف عليه.

"بعد ما شاب عملوله حجاب"، يضرب لمن لا حظ له في شبابه واهتم به في كبره.

"بعد ما تخذ عملولهمكحلة"ن مثل المثال السابق، فبعد ما أصيب يحمونه مما قد يصيبه.

"ربي كيف يعذب النملة يعمللها جنحين"، يقال لمن تعطى له النعم ولا يرتاح فيها لقلة حظه ولأنها لا تتناسب شخصيته.

"الربح للركبة والخسارة للضبوط"، من لاحظ له الذي تكون خسارته في عمل ما أضعاف ربحه.

"الحمام لمكسر ينزل على البرج الخالي"، معدوم الحظ تجده منفردا بنفسه أو يجلس معمن هم في وضعه.

"عمشي في دار العميان تسمى كحلة لنظار"، يذكر عند المفاضلة بين السيئ و الأسوء.

"العرس دام والعمياء تكحل في عينها"، للتأخير في المواعيد وهو يدخل ضمن الحظ، لأن الذي لا حظ له هو من يتأخر عن كل شيء ويكون حاله سيأ ويحاول تحسينه.

"ليلة عرسه غابت القمر"، يضرب للحظ السيئ فعند الرغبة في الشيء تفقد أساسيته.

"عام عرس ليتيمه غاب العطار من المدينة"، يضرب كالمثل الأسبق.

---

[1] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص34.

*جعان: جوعان

"كيف الزير المتكي لا يضحك لا يبكي"، تشبيه معدوم الحظ بالزير وهو الذي يحفظ فيه الدهان، لأنه مخبأ في مكان دائم لا حركة له.

"كيف القرعى تفخر بسوالف خالتها"، لمن تفخر بمفاخر قريبتها وهي لا تملك شيئا.

"كل مهمومة شادة احزامها"، كل ذات هم في همها.

"اللي في جرته الريح ما يرتاح"، من تبعت المشاكل لا يعيش سعيدا لأن لاحظ له.

"لاحوه بنات عمه لقوه السابيات"، من تركه أهله واحتضنه أناس غير شرفاء.

"لا من فاطن بيك يا مكحلة في الظلمة"، يضرب للتي تبدي محاسنها والناس لا يعيرونها اهتماما (الرجال خاصة).

"ليلك طويل يازغراتا"ن يضرب لحال الذي يطيل التفكير في حظه.

"إلى ما خضت ولا زبدت اتقول الربيع ما زال"[1]، من لا يكن له حظ ولم يقم بواجباته فيقول لم يفت الأوان بعد.

"اللي ضاري يمشي بالحفا ينسى صباطه"، يضرب للمحروم الذي يعتاد على القليل فلا يهمه الكثير لذلك حتى أن وجده لا يدرك قيمته ولا يتعود عليه.

"ما يجي عمي إلا يشبع الهم مني"، يضرب للذي يطول انتظاره لأمر محتمل قدومه وهو لا حظ له.

"من ظنيت ما كليت عبار وافي ولا شربت ما صافي"، تقول للمرأة التي لا حظ لها في أولادها فهي منذ أن ولدتهم لم تفرح، وعن تعب الأولياء في المسؤولية.

4- المجال السياسي:

ربما كان هذا التصنيف جافا بعض الشيء ولكن وجدت بعض الأشكال في المجتمع السوفي التي أولى لها الاهتمام كباقي المجالات الأخرى التي تعكس حياته بطبيعتها السياسية وتكون ايجابية أحيانا ويستخدم المجتمع السوفي في توجهاته، وأخرى ستكون سلبية تهدم المجتمع وتفكك أسسه ومقوماته وتكون هذه الأخيرة بسيطرة الدولة على الشعب أو الشعب في حد ذاته، وسنتطرق في هذا المجال إلى بعض الأمثال المنبثقة من الروح السوفية فكما يقول المورد"جا كراي صبح من موالي الدار".وهذا يدل على السيطرة والظلم من طرف بعض فئات المجتمع التي لها نفوذ على بعض الطبقات في المجتمع أي امتلاك أملاك الغير و نسبتها إلى نفسه ولعل المثل الذي يعكس هذا الموقف هو قولهم: "جاي يتسكن عاد يتمكن"، ولقد كانت هناك أمثال أخرى عن السيطرة والتحكم في الآخر (العبودية)"الداب راكب على مولاه"، أي القوي يأكل الضعيف، تدل أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم لم

[1] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص141.

تقتصر على الاستبداد، ولا تحكم بل تعدت ذلك إلى أن الحاكم يستغل جهل الرعية أو بسطته لتحقيق منافعه الشخصية كما يقول المثل"ركبوني وحدثوني وسوقوبيا لن نطيح"[1].

بالإضافة إلى ذلك فالحاكم المستبد يخون أمانة المسؤولية ولا يراعي شؤون الرعية ومصالحها، فينظر فقط إلى مصالحه الشخصية فيستسلم لمغريات السلطة فتنعدم القيم، وتظهر الرشوة التي لا يخفيها داخل طبقات المجتمع السوفي بكل أساليبها وأشكالها، لم يغفل عليها الفرد السوفي وأوردها في بعض من أمثالها بقوله: "أدهن السير يسير". "إذا حبك القمر النجوم تشطحلك"."اللي ضاق البنة* ما عاد يتهنى"، "بلاش ما يحلاش"، اللي جاب حاجة يحب حاجة ومنهم من يقول أقوالا دون أفعال فالفرد الشعبي يدرك أنهم يقولون ما لا يفعلون فيعبر عن ذلك بقوله: "كلب نبح لا عض ولا جرح" .

ويعبر الشعب عن مرارة ما يتجرعه من كؤوس ظلم السلطة و من يدور في فلكها فيقول:"اضربني وبكى وسبقني وشكى".

ومن ايجابيات السياسة أنها تعي أن لكل ذي حق حقه وبها يعم الامن والأمان في المجتمع، وهذا يرجع كله إلى ايجابيات السلطة، فعند غياب هذه الأخيرة يكون هناك صراع في المجتمع وتكون هناك طبقات تسيطر عليه وذلك بقوله "غيب ياقط ألعب يا فار" وبجانب آخر فإن الدولة لم تقتصر ولم تهمل في حق تطبيق القانون والالتزام به، ولكن هؤلاء الأفراد استغلوا غياب السلطة في بعض المواضع ومارسوا سلطتهم الخاصة بهم لأغراضهم الشخصية وكما يقول المثل "أخطاني يا قط وانشاء الله نتخبط"، وكان المال هو اللغة المتعارف عليها وهو وسيلة بقضاء المصالح فنقول في المثال التالي: "أعطيني مالك وألا نسود حالك".

لقد خلق الاستبداد الظاهر في طبقات المجتمع، مظاهر عديدة للظلم تجسدت في التعامل اليومي للأفراد، والظلم إن تحدثنا عن نشوئه فإنه من العهد الاستعماري ولكنه ظل سائرا إلى غاية يومنا هذا بل أصبح واقعا يعايشه المجتمع السوفي، ولكن المجتمع ورد في أمثاله المعيشية بعض الأمثال التي تناولت هذه الظاهرة وبما ان الفرد بفطرته يرفض الظلم بكل مظاهره فقد حاول الاحتجاج بأمثاله التي تقل فيها بعض مظاهر الظلم:"راسالفرطاس اقرب لربي".

"يروح المحرم في جرة المحرم*"، ولم يكتفوا بذلك بل يتعدى الظلم إلى تزيف الحقيقة والتعدي على الغير فيضيف المثل : "الظالم ما يموت سالم"[2]، ولقد كان هذا المثل هو اللغة التي يجيب بها المظلوم، حيث أن دعوة المظلوم هي التي تجعل الظالم مريضا معلولا حسب ما ورد في هذا المثل، وبالتالي فإن لكل مظلوم طريقة يدافع بها وهي الطريقة الأنجع في هذه الحالات التي تقسو فيها طبقة على طبقة أخرى وبالتالي لكل ظالم جزاء ظلمه عقاب، قد يكون من ناحية مادية أو معنوية يكون بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

---

[1] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص74.

*البنة: استحسان الحال

* المحرم: المظلوم

[2] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص93.

وقد تكون دعوة المظلوم على الظالم في المثل المورد: "الله يهلك الظالم بالظالم"، أي المغزى في ذلك أن لكل ظالم جزاء قد يكون من ظالم آخر مثله أو أشد منه ظلما.

IV- الجانب الديني:

يعتبر الدين، مجالا رحبا وواسعا، ودستور في حياة الإنسان وملازما له في شتى المواقف الحياتية التي يعايشها، يعمل على تنظيم حياته وعلاقته مع الناس ومع نفسه، فسنحاول في هذا الجانب تناول أهم المواضيع المتعلقة به من خلال بعض الأمثال الشعبية السوفية.

القضاء والقدر:القضاء هو الفصل أو هو الإمضاء الإلهي على أمر حتمي الوقوع لا مرد له، والقدر هو الحد الطبيعي من القانون الإلهي في الوجود، فالإيمان بالقضاء والقدر يقوم على إيمان العبد بأن الله عز وجل هو وحده الخالق لكل شيء، ويوقن أنه ليس في الكون إلا هو واقع بمشيئته لذلك قيل "كل شيء بالمكتوب" وفي المثل إجابة الإيمان بالقدروهذا غالبا ما يكون في جانب الرد على عدم التوقع.

إن مصير الإنسان في الحياة محدد، حتى قيل أنه يولد وليس عليه إلا الاستسلام لقدرة ومشيئة الله عز وجل لأن كما قيل في المثل الشعبي: "المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين"[1] فدلالة هذا المثل توحي أن الإنسان مسير تحت مقادير الله، فهي إيحاءات مضمونها أن كل حركات وسكنات الإنسان مقدرة عليه، ولا يستطيع مخالفتها أو الحياد عنها.

"إلي ماهيش الكاتبة من الفم تطيح" ويقال لمن قام بعمل ما ولم يصل إلى النتيجة لسبب ما.

"تسبب يا عبدي وأنا نعينك" ويضرب هذا المثل في الحث عن العمل مع الأخذ بالأسباب وعدم التواكل، فهو إشارة استنكار للكسل، وعلى كل من ينتظر السماء أن تمطر عليه ذهبا.

الموت علينا حق، والحكمة منه عز وجل كانت الحياة التي تعني النشاط والحركة ثم يعقبها الموت وهو الراحة والسكون، فالموت قضاء من الله عز وجل وقدر منه، فيجب على المؤمن الصبر على أقدار الله، كما يجب على أولي الألباب الأخذ بالأسباب ، حتى لا يحرموا الأجر والثواب، يقال في المثل: "الموت كي تجي ما تشاورش" فهو مثل شعبي معروف فيه دعوة إلى التفكير في الموت دائما، قال تعالى:﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (49)﴾ سورة يونس الآية 49

ويقال أيضا: "الموت موت وحدة والأسباب مختلفة" فالموت أقرب من الحاجب للعين، فروح الإنسان تقبض مرة واحدة ولن يتم ذلك إلا إذا وافى المرء أجله، فمن واجب الإنسان في الحياة، السعي وكسب رزقه بالحلال والقيام بالأعمال الصالحة من أجل خاتمته، "ناكلو في القوت ونستنوا في الموت"[2] يحمل في معناه إجابة عن سؤال الحال، أي أن الإنسان في حالة عادية طبيعية مسلما أمره لله عز وجل، وعدم بذل الجهد وتضييع الوقت في انتظار

[1] المرجع نفسه، ص156.

[2] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص86.

الموت، فالموت في نظر العامة هي الرحمة والراحة الأبدية من هموم ومتاعب الحياة فالجميع ينتظرها ليسلكوا هذا الطريق وصدق من قال "الموت غطاء من ذهب".

"كل حي قسمته معاه"[1] يضرب هذا المثل لمن يخشى كثرة الإنجاب، قال تعالى:﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6)﴾سورة هود الآية 06

قال تعالى:﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ(36)﴾سورة سبأ الآية36

لذلك يجب على الإنسان إن يتسم بالصبر في كل شيء لأن كما قيل في المثل الشعبي "الصبر للعبد جبر"[2] يضرب المثل مواساة لمن هو في أزمة أو ضائقة، إشعارا برحمة الله تعالى، والإنسان لا يستطيع رد قضاء الله عز وجلن وإذا نزل به سوء موت أو مصيبة أو غير ذلك قال، الشاعر:

"قد كان ما خفت أنيكونا *** إنا إلى الله راجعون".[3]
راجعون".[3]

فعلى الإنسان أن لا يقنط من رحمته تعالى لأن "اللي خلق ما افرط"[4] ويقال في تهوين المصاب على أهل المتوفي الذي ترك صغارا، فالله يتولاهم ويرزقهم، كما يقال في الأرزاق عامة، قال تعالى:﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6)﴾ سورة هود الآية 06

قال تعالى:﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) ﴾سورة الزمر الآية 53

"اللي عطاه ربي ماينحلاش العبد"[5] ويقال هذا لمن أوتي خيرا كثيرا وأراد الحساد زواله عنه، وفيه تذكير بأن الله الله هو الواسع الوهاب لمن يعتقد بأن الإنسان هو الذي يعطي وينفع.

"إللي في عمره مدة ما تقتله شدة"[6] ويقال في تهوين المرض على المريض أو أهله المتخوفين عليه دلالة ذلك أن الإنسان ما يموت إلا بأجله، فمهما حاول تفادي شيء مقسم ومقدر عليه إلا و يصيبه ولو كان في بيته فالمثل يقول: "الكاتبة تجيك ولا تروحلها"[7] ويقال هذا المثل عند إختلاف الآراء في تصرف محدد بين قبول ورفض أو إيجاب وسلب، فالموت قدر محتوم على البشرية يأتي أمره كبيرا وينقص بفعل النسيان والصبر "كل شيء يجي صغير ويكبر غير الموت تجي كبيرة وتصغر"[8] فما على الإنسان إلى الاحتساب لأمر الله بالنسيان والصبر على قضاه، ويؤكد هذا المثل القول الآتي "سلاح المؤمن نسيان الهموم".

---

[1] المرجع نفسه، ص55.

[2] المرجع نفسه، ص86.

[3] مسعود جعكور، حكم وأمثال شعبية جزائرية، ص45.

[4] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص134.

[5] المرجع نفسه، ص137.

[6] الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح، ص139.

[7] المرجع نفسه، ص115.

[8] المرجع نفسه، ص120.

وهناك مثل أخر "فارح وحزين إلى يوم الدين"[1] ويقال في تغيير الظروف والأحوال، فدوام الحال من المحال، والفرح والحزن ملازمان للبشرية إلى يوم القيامة.

والخلاصة أن العقل يحكم بأن الإنسان ليس مخيرا على الدوام، وليس مسيرا على الدوام في كل شيء والقلب مؤمن بأن الله يسيطر على كل شيء، ولا يعجزه شيء، وهو عليم بكل شيء، وأنه لا يظلم أحدا،لكن

شاءت حكمة البارئ عز وجل أن يمنح الإنسان مساحة محدودة من الاختيار وزوده بقدرة محدودة بفعل ذلك وجعل له مدة محدودة يعيشها، ووهبه العقل، وأنزل إليه الشريعة، وقال له آمن بي، وافعل ما يرضيني ولك مني العون والثواب فإن أبيت فسيلحقك من العقاب ما تستحقه ، فالأمثال الشعبية حاولت التطرق لمسألة القضاء القدر من خلال المزاوجة بين فكرتي الاختيار والجبر معا مع استنباط معانيها من كبار السن واستنطاق بعض دلالاتها الرمزية بإرجاعها لخلفياتها الدينية والعرفية.2

V-الجانب الاقتصادي:

1-العمل: العمل هو شرف الإنسان الذي يحفظ ماء وجهه من الذل والتسول والهوان، وله معان كثيرة واسعة، فهو يطلق على ما يشمل عمل الدنيا والآخرة، فعمل الآخرة بشمل طاعة الله وعبادته والتقرب إليه، والله تعالى يقول: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[3]. وسئل النبي صبى الله عليه وسلم "أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور"[4]. وعمل الدنيا ويطلق على كل سعي دنيوي مشروع، ويشمل ذلك العمل اليدوي، وأعمال الحرف والصناعة والزراعة والصيد والتجارة والرعي وغير ذلك من الأعمال.

وقد أمرنا الله تعالى بالعمل والجد في شؤون الحياة، في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فقال سبحانه وتعالى:﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5] وقال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[6].وقال أيضا: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[7].

ونجد ذكر العمل في المثل الشعبي المتعلق بمنطقة وادي سوف، فهو يقول:"اخدم يا صغري لكبري واخدم يا كبري لقبري" فيقال هذا المثل في الحث على العمل في معنييه المادي والديني، فالعمل في الصغر عندما تكون القوة

[1] المرجع نفسه، ص106.
[2] المرجع نفسه، ص94.
[3] آل عمران، الآية 195.
[4] – البخاري، صحيح البخاري، مج2، ص79.
[5] الجمعة، الآية 10
[6] الملك، الآية 15
[7] التوبة، الآية 105.

الجسمية متوفرة للرجل، طريق إلى حياة راضية مرضية عند الكبر، وطاعة الله لمن تقدمت به السن كفيلة لصاحبها بتمكينه من الحياة الطيبة في الحياة الأخرى، كما يحمل هذا المثل تحذيرا خفيا لمن تقدمت بهم السن من الميل إلى المجون والعبث. لكن ينبغي الإشارة إلى أن طاعة الله غير مقيدة بعمر، فالشيخ والشاب في ذلك سواء، فالموت ليس بالأعمار المتقدمة وإنما بالآجال.

وعلى كل إنسان أن يؤدي ما عليه من عمل بجد وإتقان، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بإحسان العمل وإتقانه، كذلك فإن الطالب عليه أن يجتهد في مذاكرته، لأنها عمله المكلف به، فيجب عليه أن يؤديه على خير وجه، حتى يحصل على النجاح والتفوق. كمايقال:"الشغل لمليح يطول" ويقال حثا على الصبر والتأني في تأدية العمل وهذا من أجل إتقانه.

كان العمل سابقا منحصرا في خدمة الأرض، لأنها كانت المصدر الوحيد للرزق، والآن ومع التطور الحاصل وفي مختلف المجالات، وكذا انتعاش الأنشطة الاقتصادية والتجارية، اتسع مجال الشغل أكثر، وأصبح للفرد العامل أهمية كبيرة على العاطل الذي يقضي وقته في التسكع، أو الجلوس في المقاهي ومراقبة الناس، لذلك قيل: "اخدم على روحك تعجب الناس"، معنى أن العمل هو أساس تقدم الأفراد والجماعات فهذا المثل يستعمل في الحث على العمل وتحبيذه. لأن الإنسان يعمل حتى يحقق إنسانيته، لأنه كائن مكلف بحمل رسالة وهي عمارة الأرض بمنهج الله القويم، ولا يتم ذلك إلا بالعمل الصالح، كما أن الإنسان لا يحقق ذاته في مجتمعه إلا عن طريق العمل الجاد، فبالعمل فقط يحصل الإنسان على المال الحلال الذي ينفق منه على نفسه وأهله،ويساهم به في مشروعات الخير لأمته.

إن الفرد عندما يكبر ويصبح شابا تكبر معه أولوياته وانشغالاته، لأنه عليه أن يفكر في بناء أسرة عن طريق الزواج الذي تتبعه مصاريف كثيرة، أو ببناء بيت له "اللي عينو يفلس يبني ولا يعرس"، فهذا المثل يذكر بأن موضوع الزواج أو بناء منزل هو مشروع يحتاج إلى مال، وهذا المال لن يكون إلا بالعمل. كما أن الفرد سيكون مسؤولا عن زوجه، وعن أولاد يربيهم ويتكفل بكل احتياجاتهم من مأكل ومشرب وملبس وغيرهما: "اخدم يا الشاقي للباقي"، ويقال في الشخص الذي يكد ويجد في خدمة الآخرين، لذلك قيل: "اخدم باطل ولا تقعد عاطل"، فالعمل مهما كان مجاله هو أشرف من البقاء بطالا وبدون عمل. فالفرد عليه ألا يتوقف عن العمل مهما كانت الظروف، وقد نهى الإسلام عن أن يجلس الرجل بدون عمل ثم يمد يده للناس يسألهم المال فالذي يطلب المال من الناس مع قدرته على العمل ظالم لنفسه، لأنه يعرضها لذل السؤال، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه:"لأن يأخذ أحدكم بحزمة من حطب فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"[1]. والرجل عليه أن لا يحتقر أي عمل طالما أنه شريف لأن "خدام الرجال سيدهم"، فهذا المثل يقال لمن يرى في عمل شخص حطا من شأنه ومكانته.

[1] البخاري، صحيح البخاري، مج2، ص79.

ونلاحظ حاليا أن أغلب شباب المجتمع هم من خريجي الجامعات والمعاهد العليا، لكنهم يعيشون في بطالة خانقة، فبالرغم من كل هذا عليهم عدم اليأس من الحصول على عمل، لأنه متى وجد كانت الأولوية لهم على غير حاملي الشهادات. "تعلم صنعة وخليها"، فهذا المثل يقال في الحث على تعلم الحرف والمهارات أو الحصول على مختلف الشهادات لمواجهة أعبار الحياة، ومثله المثل القائل:"يفنى مال الجدين وتبقى صنعة اليدين"، ويقال في أهمية الحرفة في أي مجال كان، فالتعلم أهم مال يرثه المرء.

إذا فالعمل أمانة وشرف، يضمن للإنسان الهناء وراحة البال، فمن جد وجد ومن زرع حصد في الأخير: "اللي زرع حصد واللي حصد درس"، كما يجب على الإنسان الالتزام في عمله ببعض الآداب والسلوكيات لأنه ملزم باحترام عمله ومواقيته، واحترام رئيسه، والتعاون مع زملائه...: "اللي تخدمو طيعو" فهذا المثل يشير إلى وجوب طاعة المستخدم لرئيسه.

يصون العمل الشريف عرض الإنسان وشرفه من الذل والسؤال، ويجنبه المتاعب وسلوك الدروب الشائكة في حياته، كما يضمن له الاستقامة وحسن السمعة والمكانة الحسنة بين الناس، ويضمن له بلوغ الآمال التي يريدها: "اضرب ذراعك تأكل لمسقي" بمعنى انه على الإنسان أن يبذل مجهودا كبيرا، وأن يصبر بغية تحقيق أحلامه وطموحاته في الحياة فالعمل شرف ومكانة، حتى قيل: "الخدمة مع النصارى ولا لقعاد خسارة"، فهذا المثل يشير إلى وجوب عمل الإنسان حتى ولو كان مع من هو غير ملته.

وفي الأخير نستنتج أن المثل الشعبي قد أشار إلى أهمية العمل، عبادة وسعادة في آن واحد، لأنه يكسب المرء حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واحترام الناس.

2- الزراعة: هي عملية إنتاج الغذاء، العلف والألياف وسلع أخرى،عن طريق التربية النظامية للنبات والحيوان، وكلمة زراعة تأتي من زرع الحب زرعا أي بذره، وحرث الأرض للزراعة أي هيئها لبذر الحب وقديما كانت تعني الزراعة علم فلاحة الأراضي فقط، ولكن كلمة زراعة اليوم تغطي كل الأنشطة الأساسية لإنتاج الغذاء والعلف والألياف، شاملة في ذلك كل التقنيات المطلوبة لتربية ومعالجة الماشية والدواجن. هناك نوعان من الزراعة، زراعة معاشية، وهي زراعة صغيرة ومحدودة تقوم بها العائلة بإمكانيات بسيطة وزراعة صناعية، وهذه الزراعة تتطلب مساحات واسعة من الأراضي، بالإضافة إلى مستوى عال من المكننة.

إن الجنوب الجزائري بطبيعته التقليدية، هو مجتمع زراعي، لذلك نجد عدة أمثال شعبية تتحدث عن هذه الزراعة وما يتصل بها، قيل: "الحرث بالدوام والصابة بالأعوام"[1]، ويقال في الحث على فلاحة لأرض مهما كانت الظروف، ولاسيما لمن تراخى عن ذلك، زاعما بأن السنة التي مرت لم تأت بمحصول، فالفلاحة في الجنوب هي الضمان الأساسي للبقاء والاستمرار. ويقال أيضا: "الصابة بكري ولا روح تكري"، ويقال في الحث على حرث الأرض في بداية الموسم، لأنها أصلح وأفلح، فالحرث المتأخر قل ما يغل، لأن الوقت لا يكفي البذور كي تنمو نموا طبيعيا، لأن الأرض ليست متساوية، فالأراضي الجنوبية مثلا لا تحرث مبكرا، كما أن الحرث في الأراضي المستوية

[1] الصابة: هي المحصول الجيد والكثير

المنبسطة، غير الحرث في الأراضي الجبلية والتلال والمرتفعات عامة، والمسألة إذا ترجع إلى نوعية الأرض ونوع الحب المزروع ونزول المطر...

ومنه فالفلاح عليه أن يخزن المحصول لكي يجده فيما بعد، أي في فصل الأمطار والبرد، والخريف والشتاء قيل: "الشتا ظلمة والربيع منام، الصيف صيف والخريف هو العام"[1]، ويقال هذا المثل في شدة طول فصل الخريف، وإتيانه على عولات الناس وأقوالهم التي يختزنونها لقضاء السنة، كما كانت عادة السكان فيما مضى وحتى الاستقلال، وما تزال في بعض الجهات الريفية، ولكن بصورة قليلة.

وكان الحصاد يتم بواسطة منجل تقليدي، وكان يبدأ من مطلع الشمس إلى غروبها بدون انقطاع، ما عدا الوقت المستقطع للغذاء، والذي كان لا يتجاوز ساعة واحدة، وكان اليوم طويلا لأن يتم في فصل الصيف الذي تطول أيامه، وتقصر لياليه، وحرارة الشمس تلفح الحاصدين، لذلك ومن شدة تعب الفلاحين تجدهم يتحججون بأوهى الأعذار لكي لا يواصلوا العمل: "الجرح اللي مايجينيش في الصيف واش نعمل به"، ويقال في الشيء المرغوب فيه يأتي في غير وقته، والعكس، وهو مثل متداول بين الزراع وعمال الزراعة المستأجرين، فهم أثناء الحصاد يلتمسون الذرائع للاستراحة ولو لبضع دقائق، إلى درجة أن البعض منهم يجرح أصبعه عمدا بمنجله لكي لا يحصد، ويستريح الوقت الذي يربط فيه جرحه وعملية الحصاد على الطريقة القديمة جد شاقة، نظرا للحر الشديد والوتيرة التي يسير بمقتضاها العمل، حيث لا يجد العامل مناصا من بذل الجهد الكبير، وإلا تعرض للطرد من طرف صاحب الأرض. فصاحب المثل الذي هو فلاح مستأجر على ما يبدو يقول: افعل بجرح يأتيني في غير وقت الحصاد؟ وإذا كان العمل يصل بصاحبه إلى طلب الإصابة بجرح، فذلك دليل على صعوبته ومشاقة، لذلك كان الفلاح الكبير صاحب الأراضي الزراعية يلجأ إلى التعاقد لمدة سنة زراعية كاملة مع الخماس.

قيل: "حصل يالفاس في الراس خلي الخماس يشقى"، ويقال في الرجل يتخلص من الأتعاب والمشاكل، لا ينتهي من مشكل حتى يقع فيما هو اعوص، سواءا لحظة السيء أو غيره، والخماس هو العامل الزراعي الذي يتعاقد مع صاحب الملك على زراعة الأرض، مقابل الخمس من ربحها. كان هذا في الماضي البعيد، ثم من بعد وحتى اندلاع الثورة التحريرية المسلحة، صار الخماس ينال من ربح الأرض السبع، وكانت الطريقة أن يقوم الخماس بكل الأعمال الزراعية، من قلب للأرض وحرثها وحصد غلالها عندما تدرك، وجمع المحاصيل ودرسها وتصفيتها،كما يقوم خلال الربيع برعي الحيوانات التي يستعملها في الزراعة مقابل منح طفيفة، وقبل موسم الشتاء يحتطب الحطب لصاحب الملك لاستعماله كوقود، لكن أثناء الحصاد لا يقوم وحده بجمع المحاصيل، بل يساعده في ذلك مستأجرون يستأجرهم صاحب الأرض، ورغم وضعية الخماس المزرية، فإن الظروف التي كان فيها أهل سوف أثناء الاحتلال الفرنسي. تكفل الخماسة لصاحبها قوت عياله، سواء كانت السنة خصبة أو جدية، لكن في عهد الاستقلال ألغيت هذه المهنة تماما، وأصبح عامل الزراعة كالعمال الآخرين، يتمتع بكل الحقوق التي ينص عليها قانون العمل، بما في ذلك الحق في التقاعد. وصاحب المثل يريد من قوله: (أحصل يالفاس في الراس...) أي في

[1] المنام: الحلم، والمراد به هنا المرور بسرعة

الجذر أثناء الاحتطاب، فالاحتطاب شقاء فإذا حصلت الفأس في جذع الشجرة المحتطبة، فذلك شقاء آخر يضاف للأول. ويقال: "الشركة هلكة"، ومعناه هنا الاشتراك بين اثنين، لكل منهما دابة واحدة وارض، فيشتركان كان معا في حراثة أراضيهما، ثم ينتظران إلى أن يجمعا الغلة، وأثناء ذلك كله قد تصادفهما عراقيل، فقد يعول أحدهما على الآخر في إنجاز العمل، وقد يمرض أحدهما فيضطر الآخر على العمل وحده، وهنا يشقى في العمل أكثر.

ومما سبق نجد أن الزراعة كانت النشاط الاقتصادي الأول سابقا في منطقة سوف،كما أن لها منافع ومحاسن كثيرة، حيث يقول الشيخ عبد الرحمان المجذوب في إحدى رباعياته:

"ما كان كالحرث تجارة ما كان كالأم حبيب ما كان

ما كان كي الشر خسارة كي الدين طليب"[1]

وفي الأخير نجد أن الزراعة عموما، وحسب تقدير الأمثال الشعبية أيضا هي أفضل ما يعتني به الإنسان، وهي الأصل في الثروة والغنى، لأنها سابقة لجميع الصنائع، وبها اعتماد حياة الإنسان إذا لم يجد غيرها من طرق الاكتساب.

3- التجارة: هي التبادل الطوعي للبضائع والخدمات، أو كليهما معا، ويدعى المكان الذي يتم فيه تبادل البضائع تقليديا بالسوق، ثم أصبحت كلمة سوق تدل على مجمل المجال الذي يمكن للتاجر بيع بضاعته،فلم يعد محصورا في مكان واحد، وإنما يشمل كافة الخيارات المتاحة للبيع.

يتم التفاوض خلال البيع على سعر البضائع الذي يقدر قيمتها، ويتم الدفع حاليا عن طريق وسائل للتبادل التجاري تدعى النقود، بدلا من الشكل التقليدي للبيع الذي كان عبارة عن مقايضة، بمعنى تبادل بضاعة مقابل أخرى. ومنه فالتجارة تتركز على تبادل السلع والخدمات، والشاري عليه تفقد البضاعة جيدا، لأنه كما يقال: "عينك ميزانك"، ويذكر هذا المثل في تقويم البضائع جزافا، أو يقول التاجر عندما يسأل عن جودة البضاعة أو وزنها، حتى يتبرأ من مسؤولية ما قد يترتب على شرائها من رد أو لوم لذلك فإن من أركان البيع وجود البضاعة، وفي حالة عدمها، أو عدم وجودها حاليا، فتبطل هنا عملية البيع، قيل: "شاري الحوت في البحر" فهذا المثل يقوله الرجل عندما يطلب منه شراء سلعة دون أن يراها أو ليست حاضرة.

قد تحدث التجارة بين طرفين وتسمى تجارة ثنائية، أو بين عدة أطراف وتسمى تجارة متعددة الجوانب ومنه فالتاجر عليه أن يكون واعيا وحذرا ويقظا، إن التجارة هي عالم غامض وواسع لذلك قيل: "إذا دخلت التجارة طول بالك، وإذا دخلت سوق النسا رد بالك"، والمراد هنا أن التاجر الناجح يجب أن يكون صبورا حليما قليل الغضب أمام تصرفات زبائنه خاصة ذوي الفضول، وكذلك الذي يدخل عالم النساء ومودتهن لا يلبثن أن يرمينه في حبال لا يستطيع منها خلاصا.

[1] المجذوب عبد الرحمان، القول المأثور، ص29.

إذن من صفات التاجر، معرفة حاجيات السوق، لكي لا يفسد تجارته وتضيع، يقال: "اشتري كأنك بايع" أو"يا شاري كيفاه تبيع"، ويقال في الحث على الشراء الجيد من الأشياء والحيوانات وغيرها، ويقال أيضا: "اشريه واشري لو"، ويقال في التحذير وذم شراء ما هو في حاجة إلى ترقيع أو إضافة كما أن التاجر عليه أن يحسن التصرف والتعامل مع الآخرين، قصد جلب الزبائن، "اشري ما شافت عينك"، وغالبا ما يأتي هذا المثل كجواب من البائع للسائل عن الماشية أو البضاعة، هل هي جيدة أم لا، كما يقال في نصح المشتري بأن يعتمد على نفسه في تقويم البضاعة أو الشاة أو غيرها، لا على رأي الآخرين.

قد تكون التجارة مشتركة بين شخصين أو بين عدة أشخاص، فإن كان الشريكان أو الشركاء متفاهمين فهنا التجارة جيدة، لكن قد تحدث هناك مشاكل بين الشركاء، فهنا يكون أحسن حل لذلك هو فض الشراكة، لأن "الشركة هلكة"، بمعنى أنها تؤدي حتما إلى المشاكل، ولأن "الشركة شركة ولو كان في طريق مكة"، ويقال المثل في التحذير من الشركة في التجارة أو الفلاحة أو غيرها، لما ينشأ عنها غالبا من نزاعات فكلمة الشركة الأولى- بكسر الشين- من الاشتراك، والثانية- بفتح الشين- من الشرك. فالتجارة المشتركة تؤدي إلى الشرك الذي يطوق عنق الإنسان، ولذلك فالمثل يوصي بعدم الشركة، لأنها شرك حتى ولو كانت بالأماكن المقدسة. فهذه الشراكة قد تؤدي إلى مشاكل، حول المال طبعا، خاصة عند كل تعامل تجاري، وعند حساب الأرباح والخسائر، يقال:"شريك في الربح، بعيد على الخسارة"، ويقال فيمن يتهرب من القيام بواجبه فهو قريب إذا كان الخير يناله، وبعيد في غير ذلك.

وفي الأخير نستنتج أن التجارة هي تقليب المال لغرض الربح،وقد أشارت الأمثال إلى صفات التاجر الحقيقي إذ يجب عليه أن يكون لبقا مع الناس، ويحسن التصرف جيدا والحديث معهم، كما أشار كذلك إلى خطورة الشراكة، لأنها تقود إلى المشاكل التي يستطيع الإنسان تفاديها من خلال الابتعاد عنها، عن طريق إنشاء تجارة لوحده، خاصة إذا كان يملك السيولة لذلك.

تتميز الأمثال في وادي سوف بأنها قادرة على الوصول إلى مختلف الجوانب والمجالات وذلك لقدرتها على إيصال الأفكار بطريقة سهلة، وبأنها تنتقل من جيل على آخر، ناقلة الثقافة الشعبية، حيث ان خطاب الأمثال يعبر مجازيا عن واقع الناس، وكيفية العيش التي تعكس على حد بعيد ذهنية المجتمع وتكشف ثوابت بنيوية في نظرته إليها.

- **الأمثال الشعبية في منطقة "الجريد التونسي"**

تشغل الأمثال الشعبية في الجنوب التونسي مكانة متميزة في الكلام إلى جانب الأقوال السائدة واللعب بالكلمات و غيرها. ذلك أن الأمثال كما يقول العرب هي "المنارات التي تضيء الخطب"، فهي حكمة الشعب بالنسبة لهم ووسيلة التعبير عن طبعهم وأخلاقهم، حيث من خلال الاستعانة بمثل يتم إسكات ثرثار وإنعاش محادثة والتوليف بين القلوب...

I- الجانب الاجتماعي:

لاشك أن لكل مجتمع نظاما من المثل والأخلاقيات، والمواقف الوجدانية التي تحكم حركته وتمثل الجزء الباطن من عقله العام، ومن ثم ضم المجتمع التونسي أمثاله الشعبية ليحدد بها الإطار الفكري والاجتماعي العام الذي يؤمن به.

1- مجال الحب:

"عيني وقلبي تشاركوا في محوني" وهو مثل يضرب لمن يشتكي لوعة العشق ولا يستطيع وصال من يحب هي محنته التي سببها عينة التي ترى الحبيب وقلبه الذي تعلق به ولكنه لا يجد للوصال سبيلا[1].

- "حدثني على ما نحب حتى بالكذب"، ويضرب هذا المثل لمن يتعلق بأي شيء من الحبيب، وولعه بسماع أخباره وما يقال عليه حتى بالكذب.
- "ضيعت قلب، وما فاد حبي" وهو مثل يضرب على شدة الحسرة على الحب من جانب واحد.
- اللي حبك حبه ما تفرطش فيه، واللي بيعك بيعه ما تسألشي عليه، يضرب للمعاملة بالمثل في الحب.
- "القليل من الحبيب كثير": يضرب للعاشق يستكثر ما يأتيه ممن يحب حتى وإن كان قليلا وبخس الثمن[2].
- "إلى يحب البحر، يشرب ماه": يضرب لمن يتحمل الأذى ويصبر في سبيل الوصول إلى محبوبه وكسب رضاه.
- "لو كان تحبيني، راكي رديتني": من محبة الأم لابنها أن تنهاه عندما يسيء وان تردعه بالضرب إن لزم الأمر[3].

2- مجال الزواج: كانت الأسرة في الجنوب التونسي تجد الوقت الكافي لإنضاج الأعزب على نار هادئة ثم تشرع في التنفيذ وإذا أبدى بعض التلكؤ بوضع العراقيل والشروط وجد ترسانة من الأمثال في مواجهته قال أحدها :"اللي يشترط ويختار يقعد في الشماتة والعار"، وسخر آخر من الشروط المجحفة فقال:"شرط العازب عالهجالة ولي صبيت وتأخذك عدا شرط واحد" هو أن تكون الزوجة الموعودة غير مطلقة عملا بقولهم لا تأخذ مطلق ولا تسكن معلق أما الهجالة أي الأرملة فقد كانت عرضة إلى المساومات[4].

نبدأ بطرح هذا السؤال: هل كان التونسي راغبا في الزواج؟

وهو سؤال قد تبدو الإجابة عنه سهلة أو بديهية، والحقيقية غير ذلك إذ أن الزواج يهم أطرافا عديدة، ففي الجنوب التونسي مثلا هناك الأولياء وحولهم الأقارب والمحيط الاجتماعي وهناك الأعزب وهناك العزباء. أما الأولياء فقد قال لسانهم عن البنت : "لفعة في الغاره ولا طفلة في الدار" وقال بو البنات : "ما يبات هاني"، و قرر أن "البنت إذا كبرت ما ليلها إلا ذكر ولا قبر" وأضاف "الربيع ربع واللبن قراص واللي عندو طفلة يعطيها لتراس"، ونصح : "إذا وجعتك زرصتك نحيها وإذا كبرت بنتك أعطيها". فالمرأة قبل زواجها عبء ثقيل ومصدر انشغال وأوجاع شأنها شأن الأفعى الكامنة أو الضرس الذي نخره السوس. لذلك دعوا "لا يخلي ولية بلا شاشية". والشاشية هنا رمز للباس الرجل التونسي وإن أصبحت اليوم عرضة للغزو النسائي والسياحي شأنها في ذلك شأن السراويل الأوروبية.

وعن التراس أي الأعزب "وهي كلمة تشير على مقدرة الفتى على حمل الترس للدفاع عن الحومة" قالوا أطهر وبرا وما خصتو كان مرا".

---

[1] ياسين بن رمضان، الموسوعة الجلية للأمثال الشعبية التونسية، دار السحر للنشر،2013، ص19.

[2] محي الدين خريف، الأمثال الشعبية التونسية، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2003، ص 37، 38.

[3] ياسين بن رمضان، المرجع السابق، ص 18، 20.

[4] الحبيب إبراهيم، العقلية التونسية من خلال الأمثال الشعبية، هيليا باك للطباعة والنشر، قصر الهلال، ط1، أفريل 2010، تونس، ص14

واعتبر الزواج قضية تهم الأسرة الموسعة والمجتمع كله فقيل : "تزوج ابن عمي فرحت أنا قلت الكل عمارة بيت واللي خذا الصبع خذ اليد بكلها". واعتمادا على ذلك قيل : "الطهور خبيه والعرس وريه. وقد ذهب المجتمع في حثه على الزواج إلى حد التشهير بالأعزب فقيل : "العازب خو الشيطان" ووجه الشبه بين الشيطان والأعزب هو أن الشيطان" متمرد على الإرادة الإلاهية والأعزب متمرد على الإرادة الاجتماعية خصوصا عند العزوف عن الزواج و كذلك لسهولة الانقياد للشيطان قالوا للحث على الزواج : " ما يقعد وحدوا كان البوم ولا الوجه المشوم".

أما موقف المعنيين المباشرين –أي الفتاة والفتى– فإننا نلاحظ فيه بعض التباين.فهو تأييد مطلق لدى الأولى وتأييد محترز لدى الثاني. قالت الفتاة: "إن شاء الله نعرس ونأخذ مدرس" وقيل:عن تعجلها للزفاف حضرت الما والحطب والراجل ما خطب " "ومشات ترحم جات تتوحم"، حتى إذا وعدت بالزواج القريب قالت: "ما نصدق إلا ما نعنق". وأما الفتى فقد قيل عنه أيضا : "جاب الحطب قبل ما خطب" وقال: " لو يقوي سعدك قال لو تواتوا"، دلالة على رغبة في الزواج لكنه أضاف متذمرا "العروس سبعة أيام أمير وسبعة أيام وزير وبقية عمرو أسير وزاد شهر عسل والباقي بصل.

واشتكى من طول الحياة الزوجية فقال:"المراكيف العلقة تشد ما تسيب وعبر عن الندم جيت تعرس نتهنى نلقى العازب في جنة" وقارن بين من أنفق ماله في شراء الغنم ومن أنفقه للزواج فقال:"اللي شرى غنم ما ندم واللي خذا مرا ماذا يرى"[1].

وأما الأصل العائلي أي ما يدعى بالحسب والنسب، فقد لاحظنا بشأنه نوعا من الإجماع فقيل: "خوذ بنت الأصول لا بد الزمان يطول" وأضيف "خوذ لصيلة ولو على حصيرة"، وأما الحالة المادية لأسرة الفتاة فلا تؤخذ بعين الاعتبار إلا عند الحاجة أي عند وجود عيب بالفتاة فقيل بشأنها:"اللي وجهها يفجعها مال بوها ينفعها" وأنها لكارثة أن تكون بنت الفقير عوراء أو بها عيب[2].

3– مجال الرجل:

"بيت الرجال أفضل من بيت المال" وهو مثل يضرب في قيمته الرجل ومدى أهميته لأن الرجال يأتون بالمال والمال لا يصنع الرجال والرجل هنا ليس بمعنى الذكر وإنما الرجل صفات قيم وشهامة ونبل وجود.

"أكل الرجل على الرجال دين وأكل الرجال على الأنذال صدقة" وهو مثل يقال في تقديم الأمور وحساب ما بعدها.

"راجل في السوق، ولا مال في الصندوق"، يضرب في مدح الرجل العامل المجتهد، الذي يملك فطنة وذكاء في معرفة كيفية التصرف بالمال والسوق والتجارة.

[1] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص15، 16.

[2] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص17.

"الراجل كي يكون فحمة في الدار رحمة"، يضرب لإبراز دور وقيمة الرجل في الحفاظ على الأسرة مهما كانت صفاته و مكانته[1].

"المال فداء الرجال" يضرب في تقديم الرجل وتفضيله على المال.

"الرجال تعرف الرجال والخيل تعرف فرسانها"، الخيل تعرف الفرسان للرجل يعرف أمثاله في الصفات والأخلاق.

"الرجال تتقابل والجبال ما تتقابلش"، يضرب تهديد الرجل لصاحبه بالانتقام منه.

"ولاد الهجاجل قليل منهم، اللي جي راجل"، وهو مثل يضرب لكثرة تدليل المرأة المطلقة لأولادها وتضييعهم

الله يرحمك يا راجل أمي الأول: يضرب إذا كان زوج الأم الثاني سيء المعاملة لربيبه.

"الخيل إذا تلجمت والرجال إذا تحزمت" وهو مثل يدل على الرجال إذا وقفت وتماسكت في الكبائر والمحن[2].

4- مجال المرأة:

- "المرا مراقة مرزاقة": وأصله امرأة كانت تكثر المرق مع الطعام فتذهب المرق طعم اللحم كما يكلف الرجل إنفاقا على الطعام زائدا وكان زوجها يلومها على تبذيرها، فقدمت له طعامه يوما وكان معه كثير من المرق يجري على يدها رزق وفير فقالت له فرحة: "لاريت اللي في الطاقة" أي ما زال الكثير، فطلقها لغبائها وعدم آخذها بنصيحته[3].

والمثل يقال في المرأة الخرقاء التي لا تحسن التصرف في شؤون بيتها.

- "المرا كالتمرة امسحها وكولها"، ويضرب هذا المثل دعوة لرجال لعدم تتبع عثرات المرأة وهفواتها فما من معصوم عن الخطأ فعليه بالصبر والتسامح معها والعفو عنها ويكون ذلك بطيب القول وحسن الفعل بقدر الإمكان[4].
- "المرا تضربها إلا ما تكتفها" وتضرب دلالة على العلاقة الوطيدة التي تجمع المرأة بأبنائها والتي تصعب أن تفارقهم أو تهجرهم كون المرأة إن أصبحت أم يمكن القول المحبة تنطق باسم الأم وما يترتب عن ذلك من مسؤوليات وبالتالي بعد الأبناء نقطة ضعف المرأة وتستطيع السيطرة والضعف عليها بهم[5].
- "النسا والزمان ما فيهمش لمان": يطلق دلالة عن وصف المرأة وحنكتها وكيدها، وضرورة التعامل معها بحذر حتى تأمن غضبها وشرها وربطها بالزمان لأنه متقلب يوم لك ويوم عليك[6].
- "المرا راحتها في لسانها": وتعتبر الثرثرة من عادات المرأة والتي تغضب الرجال من النساء والجدير بالذكر أن المرأة تستمع بالحديث في شتى المواضيع[7].

---

[1] ياسين بن رمضان، المرجع السابق، ص 281.

[2] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 26.

[3] الضاوي موسى، قصص الأمثال الشعبية التونسية، الجنوب الشرقي التو نسي، سلسلة ديوان البادية، ج7، مطبعة تونس قرطاج، أفريل 2010، ص185.

[4] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 27.

[5] ياسين بن رمضان، المرجع السابق، ص 250.

[6] المرجع نفسه، ص 248.

[7] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 27.

- "المرا بلا حزام كي المهراس بلا رزام": ويضرب للمرأة الكسولة التي لا تهتم بشؤون البيت والرجل والأولاد وما فائدة وجودها إذا كانت كسولة وحيث شبهت بالمهراس لأن المهراس لا بد من وجود الرزام وهو عبارة عن قطعة حديدية يتم بها تكسير المواد الموجودة داخل المهراس، فالمرأة كذلك هناك حزام لا بد من وضعه وتمثل في النشاط والحيوية وفطنتها وذكائها والقيام بأعمال البيت[1].
- "إلي ياخذ في المرا خنتورة يعدي عمرو كل يوم عراس وإلى ياخذ في المرا دورة يندب وإعاونه الناس"، له نفس المعنى.
- "خوف المرا من شيب كي خوف النعجة من الذيب": ويضرب هذا المثل للدلالة على أنه أكبر ما تخشاه الشيخوخة والتقدم في السن[2].

II-الجانب الأخلاقي:

تمثل الأخلاق علاقة الإنسان بربه وبالكون الذي يعيش فيه و نظرته إلى نفسه و إلى الاخرين و إلى سلوكه وكيفية ضبطه وصبره ومكانته داخل المجتمع.

1-مجال حب الإنسان للمال:

"ما حبيبك كان جيبك" :وهو مثل يضرب لحب الإنسان للمال وحتى إن تخلى عليه الناس لا ينفعه غير ماله.

"المال يورث الهبال": يضرب لمن يتعلق بالمال لدرجة كبيرة وكثرة المال والدراهم تؤدي بالشخص أحيانا للتهلكة.

"كان عندك درهم في جيبك الكل يولي حبيبك": وهو مثل يضرب لمن يحبه الناس من أجل دراهمه.

"درهم في الصره خير من عشرة على برة"، الصرة ويقصد بها قطعة قماش يلف عليها خيط يوضع فيها المال للحفاظ عليه وهو مثل يضرب لعدم اقتناع الإنسان بما في يديه والإطلاع على مال غيره، وذلك لشدة تمسك الإنسان للمال.

"حط الفلوس في فم المدفع يسكت"، كناية على قيمة وفعل الدراهم بالأشياء، وفيه نوع من المبالغة.

"الفلوس تحي النفوس، وتطهر المنجوس، وترد الشايب عروس"الكلام فيه من الحقائق الكثيرة، ومن المبالغة الأكثر[3].

2-مجال العرفان بالجميل ونكرانه: تعرضت الأمثال الشعبية في الجنوب التونسي إلى ما تتعرض له الأخلاق الجميلة من أزمات وهزات، فنصحت بالوفاء على أساس "اللي يحبك حبو ما تفطرشي فيه" لكنها نصحت بمقابلة الجفاء بالقطيعة ونكران الجميل فقالت: "اللي باعك بيعو ما تسألش عليه" و"اللي باعك بالفول بيعو بالقشور"، و"اللي يهرب منك ما تجري وراه".

---

[1] كمال الزغيدي، امثال شعبية من الذاكرة التونسية، البراق للنشر والتوزيع، مارس 2010، ص89.

[2] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 28.

[3] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 70.

وجعلت الأمثال للذاكرة دورا في الحفاظ على المودة والاعتراف بالجميل فقيل:" من محبتو فيه نسى أسمو واللي سماك أغناك"، كما جعل من تبادل الزيارات أمرا ضروريا فاحتج على من طال غيابه قائلا من" نهار اللي دفنوه ما زاروه" لكنه لاحظ أن الزيارة لا تعني المودة دائما حين يقول الزائر :"لا نحبك لا نصبر عليك"[1].

وتعرضت الأمثال الشعبية التونسية إلى من قل إعترافه بالجميل أو نكرانه بالمرة فنعت ب:"كلا الوجبة وهرب بالماعون": يضرب لناكر الجميل وعدم الاعتراف بالقيمة المقدمة له من طرف الأشخاص الذين قدموا له يد المساعدة[2].

"إلي أصله خسيس، يعيش طول عمره نزيس" "نزيس غير طاهر" وهو يضرب لعدم الاعتراف بالجميل والعشرة، وفيه نوع من الخيانة والغدر.

"الميت ما يقوم والصاحب ما يدوم وقليل الأصل ما عليه لوم"، له نفس المعنى السابق[3].

"الجرح يبرى وتبرى عليه الضميدة": وضرب هذا المثل على إثر قصة وقعت بين أسد وفتاة شابة، يقال أن الأسد قبض يوما على شابة فلم يفترسها بل عاهدها على أن يصفح عنها إن هي قبلته زوجا لها فعاهدته على ذلك وبقيت تعيش معه في الغابة ثم أنها طلبت منه زيارة أهلها فحملها على ظهره وأوصلها إلى مضاربهم وبقي في انتظارها، فلما جاء الليل اقترب الأسد من خيمة أهل زوجته فسمعها تحدثهم عنه شاكرة خصاله، غير أنها تذمرت من نتن ريحه فهو أبخر الفم: فاغتاظ الأسد من ذلك، ولما عادت إليه في الصباح لامها لوما شديدا على إذايته والتشهير به ونكران جميله، ثم قال لها لقد جرحت فأثار كرامتي جرحا غائرا لن تمحوه الأيام لأني سأبقى أذكره ما دمت حيا وأنشد:

الجرح يبرى وتبرى عليه الضميدة * وكلمة السو تنقض وتصبح جديدة**

والمثل يضرب في التحذير من الكلام الجارح وعدم نكران المعروف والجميل فأثار الجرح لا تمحوه الأيام[4].

"ابعثي دينارك واقعد في دارك": والمثل يضرب لمن تغلبه أنانيته وإساءته لمن أحسن إليه ونكران للجميل فتكون سببا في مصائبه، وأصل المثل أن إمرأة توفي عنها زوجها وترك لها بنتا ومالا كثيرا فطرق باب منزلها ذات يوم شاب في مقتبل العمل رث الثياب يطلب صدقة فرقت لحالة وقالت في نفسها:"لعن اله الفقر، فلولا الحاجة ما مد هذا الشاب الوسيم يده للناس!، ثم أطرقت قليلا وسألته إن كان يريد أن يصبر رجلا ذا مال وزوجه ويتخلى عن عادة التسول فوافق دون تردد."

فأخذت منه ثياب التسول واشترت له ملابس جديدة ثم أخذت تزغرد وتشيع في الحي أن ابن أخيها عاد بعد سفر طويل وأنه خطب ابنتها ثم أنها أقامت له عرسا مشهودا وابتنت له منزلا فخما فصار زوج ابنتها الوحيدة فأنجبت له البنت ولدا، فكانت جدة الولد تأتيه كل صباح فقول له "صباح الخير يا ضو الدار" وتضع في يده كل

[1] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص92.

[2] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 122.

[3] كمال الزغيدي، المرجع السابق، ص183.

[4] الضاوي موسى، المرجع السابق، ص57، 58.

يوم دينارا وكانت تسأل ابنتها عن حالها وعن حال زوجها، ولكن الرجل تضايق من حماته مدعيا أنها تكثر من التدخل في شؤونه الخاصة فقال لابنتها "قول لأمك ابعثي دينارك واقعدي في دارك": ولكن البنت لم تستطع أن تبلغ ذلك لأمها فلما ضاق الرجل بحماته ذرعا عمد إلى مسمار غرسه في عتبة المنزل فلما جاءت المرأة أصاب المسمار رجلها، فهرعت إليها ابنتها وأعلمتها بما كان من الرجل الذي أحسنت إليه، فقالت لها أمها تمارضي ودعي لي أمره، فتمارضت البنت فأخذ الرجل يبحث لها عن الأطباء في كل مكان فلم تشف. إلى أن قالت له حماته أنها وجدت لها دواء سهلا وهو أن يطعمها من طعام تسول يجمعه من أربعة عشر منزلان ثم أحضرت له ملابسه الأولى التي أخذتها منه عندما كان متسولا ونزعت عنه ملابس الترف، فأخذ يطوف بالمنازل متسولا فلما جمع ما طلب منه من الطعام طرق باب منزله ليقدم لزوجته دواءها المنتظر ولكن حماته التي كانت في انتظاره صاحت في وجهه وأخذت تستجير بالجيران من هذا المتسول الذي يدعي أنه صاحب البيت واجتمع الجيران فوجدوه هناك وأنكروا هيأته فطردوه وهددوه بالضرب إن هو عاد إلى دعواه، فخرج من ذلك النعيم جزاء حماقته وإساءته لمن أحسن إليه، والنكران للمعروف والجميل الذي قدم له[1].

3- مجال الصبر: هل الشعب التونسي شعب صبور؟ كيف؟ وإلى أي حد؟ أسئلة تبدو غريبة لأول وهلة،فنحن نعرف جميعا أن التونسي مسلم عدا أقلية ضئيلة لم تجد لها من الأمثال إلا مثلين وأردنا بهذه الأسئلة أن نستشف ملامح ذلك الصبر وحدوده وإن كانت له حدوده.

"الصبر ينال" وهو مثل يضرب في تبين أهمية الصبر واستخدم لترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلى الله تعالى فالصبرينال العبد معية الله تعال، وتتجلى أهمية الصبر بأنه ضياء في قلب المؤمن.

"صبري على نفسي ولا صبر الناس عليا": يضرب لحث النفس على الصبر لأنه مهما كانت مكانتك عند أشخاص آخرين إلا أنه هناك حدود للصبر وقد يرى من حولك تذمره وامتناعه منك لذلك يحث الصبر عن النفس.

"صبرت، صبرت حتى سموها الصابرة": ويستخدم هذا المثل دلالة على كثرة صبر المرأة في عز أزماتها دون شكوى أو تذمر ولم تبدي عدم رضا على ما ابتليت به وحتى اقترن اسمها باسم الصبر.

"الصبر مر، ولكنه عواقبه حلوة": ويضرب لحث النفس على حسن الاحتمال دون جزع ودون تذكير النفس أن كل المشقة التي تتحملها هي خطوة في طريقك إلى ما تريد ويعود ذلك كله كون الإنسان يسير في جناحي الصبر[2].

"يا صابر كون صبور وأصبر على ماجرالك"، وأرقد على الشوك عريان حتى يطلع نهارك، وهو مثل يضرب في الحث على الصبر وتحمل المصائب.

"الأيام تمرض وتبري، والصبر دواها" وله نفس معنى المثل السابق[3].

---

[1] المرجع نفسه، ص13، 14

[2] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 99.

[3] ياسين بن رمضان، المرجع السابق، ص 267.

4- مجال الأخلاق:

أ- المحمودة:"الأب خير من الذهب" وهو مثل يضرب لتفضيل الأخلاق على المال وذلك راجع إلى حسن الخلق والكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، وإذا كان الأب يفضل على المال والذهب عند أولاده فهذا أكبر دليل على زرع الأخلاق الحميدة والصفات الحسنة في أولاده[1].

"أعطيني لسانك وما حاجتيش بإحسانك": ومثل يضرب للدلالة على حسن الخلق والكلمة الطيبة ولين الجانب وحسن المصاحبة أمام الملأ وعند الانفراد بالشخص الذي تود نصحه لك ما شئت في عتابه ونصحه[2].

"بيني وبينك أذبحني وقدام الناس لا تفضحني": يضرب للشخص الذي له أخلاق راقية الذي ينصح ويعاتب ويضرب أحيانا إن شاء وهو بمفرده، لكن لا يفضح أمام الناس ولا يذكر عيوبه وأخطائه.

"القلب الحليب عمرو ما يشيب": يضرب في الحث على العفو ونسيان الأحقاد والضغائن ومهما وقع من ظلم فيبقى هذا القلب مسامحا وأبيض.

"قالوا باش تاكل الشوك يا عم الجمل"؟ قالوا بلساني الأرطب يضرب للمتحدث اللبق والإنسان الذي يتحلى بالأخلاق والتربية الحسنة[3].

ب- غير المحمودة:

"الدنيا قش واللي يتنفخ يتنفس": وهو أبسط مثال تطلقه على الأخلاق غير المحمودة وهو الإنسان المتكبر والمغرور فالمتكبر لا يعلم انه مهما ارتفع وتكبر سوف يأتيه يوم يزول كل شيء حوله، مهما علا شأنه وهذا ناتج لعدم استيعابه بأن الكبير والعظيم لا يصغره ولا يضعفه أن يتواضع ويحترم الناس أكثر ما يحترمونه وهو مثل يضرب لمن يتكبر وينفخ ريشه على الناس وهو من الصفات والأخلاق غير المحمودة.

"أمك بصل وبوك ثوم منين ليك الريحة الطيبة يا مشوم": يضرب للدلالة على أن الصفات والأفعال المكتسبة لدى الأطفال غالبا ما تأتي من الوالدين أي أصل الإنسان، ويعامل الوراثة يطبقون، ويفعلون ما تربوا عليه ولا تنتظر أكثر منهم من ذلك، لذلك يضرب هذا المثل في عدم تربية الأطفال وتوجيههم إلى الطريق الصحيح[4].

"تسب ولا انسب": ويضرب هذا المثل في اختلاف بعض القيم باختلاف بعض الأخلاق والسلوكات الفاسدة وقصة هذا المثل: أصل أن قاضيا في إحدى الجهات كان قد مله الناس وسمعه القضاء الشرعي الذي يمثله وقت ذلك، فصار تصرفه حديث مجالس الناس حتى وصل خبره إلى قاضي القضاة فقاضه ما بلغه عن ذلك القاضي وزاره وهو جالس بين الناس يسمع شكواهم. وتقدم المتقاضون يرفعون إلى القاضي مشاكلهم وقاضي القضاة ينظر ويسمع بانتباه والقاضي في حرج من ذلك الزائر إلى أن جاء أحد المتقاضين إلى القاضي وقال له: سيدي القاضي: إن لهذا الرجل الذي بجانبي علي دينا.

---

[1] المرجع نفسه، ص 244.

[2] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 70.

[3] ياسين بن رمضان، المرجع السابق، ص 249-250.

[4] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 37.

فقال القاضي: أيطلب منك أم تطلب منه؟

فقال: بلا هو الذي يطلب مني دينا.

حسنا: ولماذا لا تدفع ما بذمتك؟

ليس لدي من المال الآن يا سيدي ما أدفعه.

وماذا تطلب من المحكمة؟

إنه سيدي القاضي يلح علي في الطلب ويسأل عني من مكان إلى أخر حتى ضايقني فلم أعد أطيق له وجها ولا أسمع له صوتا.

حسنا: قد سمعنا مقالتك، فماذا تريد منه؟

أريد منه أن لا يطلب مني دينه أبدا حتى أتيه أنا بماله.

وماذا تريد أيضا؟

أريد منه إن لاقاني في الطريق أن يسلك طريقا غيره حتى لا يضايقني بنظراته ويفسد علي يومي.

فغضب القاضي من هذا الرجل على أخلاقه وقلة أدبه، ولكنه كظم غيظه بحضرة قاضي القضاة وتململ في مكانه ونظر إلي ضيفه وقد أخرسه الموقف، فبادره قاضي القضاة قائلا: "تسب ولا انسب"[1].

"ذيل الكلب حطوه 20 عام في قصبة، وكي خرج ما زال معوج": ومن بين الأخلاق الغير محمودة طبع الإنسان الذي لا يتغير مهما جار عليه الزمن، حيث اتخذ ذيل الكلب رمزا للقذارة والاعوجاج فشبه به كل من كان ذا طبع سيئ راسخ.

والكلب إذا نال نصيبا من الاحترام،فذلك يكون بفضل مالكه لذلك قيل: "ما تضرب الكلب إلى ما تعرف أماليه".

"البومة بومة ولو يغطسوها في الذهب للكرومة"، له نفس معنى المثل السابق[2].

III- الجانب التعليمي:

مما لا شك فيه أن لكل مجال من مجالات الجانب التعليمي مسلمات يكتسب منها الفرد خبراته ومهاراته ويتعلم ما يخطر له في ذهنه من مكتسبات تعود عليه وعلى صاحبه بالنفع ما دامت لديه رغبة تستحق ذلك، فالإنسان التونسي جعل من الأمثال الشعبية في الجانب التعليمي جملة تصب في العديد من المجالات.

1- مجال السن:

- بعدما شاب أدوه للكتاب "أدوه: ذهبوا به" يقال ويطلق على من طرق باب العلم في سن متأخر أي في الكبر.

[1] الضاوي موسى، المرجع السابق، ص52، 53

[2] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص90، 91.

- الشيب والعيب: يضرب لمن يقوم بعمل سيء في كبره أي من يكون كبير في العمر ويقوم بأعمال لا تليق بسنه.
- تقلوا الركابي، يا شفيت أعدانا: يا شفيت: من التشفي: يضرب ويطلق على الأشخاص وصلوا 'إلى مرحلة الكبر والتقدم في العمر، وتثاقل الأقدام ونقص سرعة الخطى.
- "كبرنا والرجوع لربي": دليل على آخر مراحل النمو وكبر السن وقرب ملاقاة المولى، ودليل على أن العمل الخاص لكل فرد هو الذي ينفعه او يضره عند مقابلة الله[1].

2-مجال التجربة والخبرة:

- "اسأل مجرب وما تسألش طبيب": أصل المثل أن أحد الأطباء شغل معه مساعدا له طيلة عشرين سنة تظاهر خلالها هذا المساعد بالخرس والصمم وأتقن دوره تماما حتى حذق عن مؤجره كل فنون الطب وذات يوم جيء للطبيب بمريض ابتلع ضفدعة فوقعت على كبده، فلم يجد الطبيب بدا من شق بطن المريض لتخليصه من الضفدعة[2].

وكان مساعده يقف إلى جانبه، وعندما هم الطبيب بتناول الضفدعة بملقطه صرخ فيه مساعده قائلا: لا لا تفعل فإن الضفدعة ستخدش كبد المريض بأظافرها فبهت الطبيب وتنحى عن مكانه فجاء مساعده بقضيب من الحديد وحماه وقربه من رجل الضفدعة فرفعتها فوضح تحتها قطنا وهكذا فعل ببقية القوائم ثم تناول الضفدعة بالملقط فلم يصب المريض بسوء. فعجب الطبيب من أمر هذا الخادم وقال، إسأل مجرب وما تسألش طبيب فذهبت مثلا يفيد تفوق التجربة والممارسة على العلم والمعرفة[3].

- "طول العشرة يعلمك الذهب من القشرة": يضرب طول الخبرة يعلمك التجارب و الخبرات .
- "صاحب كلب وما تصاحبش مخازني": ورد هذا المثل في جزء من وصية رجل لابنه حيث قال له قبل موته "صاحب كلب وما تصاحبش مخازني، وخوذ بنت عمك وما تاخذش برانية وإذا لعبت الكارطة ألعبها مع القمارجية، وإذا اسكرت أسكر مع السوكارجية:"قال الولد لجربن نصيحة والدي لأعرف صحتها وكان لحاكم المدينة كلب جعله في جب واسع يرمي إليه المجرمون فيفترسهم فكان ذلك الولد يمر بالكلب كل يوم ويقدم له لحما حتى ألفه ونشأت بينهما موده، ثم أن الولد ربط علاقة مع مخازني السلطان وتزوج إمرأتين بنت عمه وأخرى غريبة عن البلد، ثم ذهب للاعبي الورق فسأل عن كبيرهم ليلعب معه فإذا هو في أسوأ حال يشكو ما لحقه من هم القمار، فأيقن الرجل بعدم صلاح القمار، ثم ذهب إلى الخمارة يسأل عن أكبرهم فوجده على أسوا حال أيضا، فاجتنب الخمر ثم أنه سرق من حديقة الملك جدي غزال أخفاه عند ابنه عمه و اشترى من السوق لحم جدي شبيه به وأعد طعاما دعا له "المخازني" وأعلمه انه أطعمه لحك جدي الملك، فأخفى"المخازني" عظما في جيبه ومن الصباح وشي به لدى الملك، فجلب صاغرا فأنكر فلما سألوا ابنة عمه

[1] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 165.
[2] الضاوي موسى، المرجع السابق، ص19.
[3] الضاوي موسى، المرجع السابق، ص20.

أنكرت ولما سأل زوجته الثانية أكدت انه ذبح جدي الملك، فأمر الملك بتقديم الرجل للكلب المفترس، وفي الصباح وجدوه سليما فلما علم الملك بذلك جلبه ليسأله عن قصته فحدثه بما كان منه مع "المخازني" وزوجته والكلب، وأرجع له جدي الغزال الذي أخفاه عند ابنة عمه فسجن "المخازني" وطلقت المرأة الغريبة ويضرب هذا المثل لمن يبادر باتخاذ التجربة والنصيحة أيضا"[1].

3-مجال النصيحة:

- "كان كلام كبار جاء شوك"، راو الناس تمشي عليه، ويضرب هذا المثل كونه لا يختلف اثنان في كون الكبار أكثر تجربة وحنكة لما هو موجود من تجارب الحياة وهم يسخرون عمرهم للتفكير في مصلحة غيرهم وتعود خبراتهم التي راكموها، إلى التمتع بحكمة وحدس لا يخطئان بهما.
- "إلى يحبك يبكيك وإلى يكرهك يضحك عليك": على الإنسان أن يختار لنفسه أصحابا أخيارا ينصحونه وبشدة عند الخطأ تمضي إليهم حينها تحس بالراحة والحاجة والفرح وأيضا عند الحزن، ويتقربون منك لهمك لأنهم بإرشادهم لك، فهم يريدون بذلك مصلحتك ويضرب أيضا لمن خالف النصيحة[2].
- "ما تدخل يدك في المغاغر ما تلدغك العقارب": يضرب دلالة على أن أغلبية المتدخلين في أمور لا تعنيهم أو تخصهم يكونون عرضة لسماع أشياء وتصرفات لا تروق لهم.
- "لا تدخل سوق بلا مال ولا تدخل عركة بلا رجال ولا تاقف على بير بلا حبال": يضرب بضرورة النظر في عواقب الأمور قبل الدخول أو الفوضى فيها وكما يقال أن من يراقب الأمور قبل الدخول فيها تخلصه من العواقب وعليه أن يقدر ويحسن التقدير في كل ما يوصل له و لتحقيق ذلك يجب إتباع كلام من يفوقك سنا لأنه أكثر تجربة وخبرة منك.
- "إلى ما يسمع كلام كبير الهم تدبيرو": ويضرب دلالة للاقتداء بالكبار وإدراك مدى أهمية الاستفادة من تجاربهم في حياتهم بوصولهم لهذه المرحلة العمرية كان لا بد من الأخذ برأيهم السديد ويلجأون إلى المدرسة الحقيقية لهذه الحياة، حتى نتعلم منهم مواقفهم التي مروا بها في شبابهم، والأخذ بالنصيحة ويحدث العكس عند عدم الالتزام بذلك[3].

4-مجال الموعظة والتحذير:

- "يا ظالم لك يوم": المعنى:لا بد أن يأتي على الظالم يوم ينال فيه عقابه على ظلمه وأصل المثل يروي عن ملك كان له ولدان من زوجتين مختلفتين...وعندما علم بقرب منيته أوصى ولده الكبير ووارث ملكه بأخيه الصغير خيرا...فخرجا يوما للصيد والقنص في البرية فأحتال عليه فأوقعه في بئر وأعلن عن وفاته وجلس على كرسي الملك ولكن الملك العادل لم يمت وبقي في ذلك البئر لا يعرف أمره غير خادمه الذي رجع إليه في غفلة من

[1] المرجع نفسه، ص101، 102.
[2] ياسين بن رمضان، المرجع السابق، ص 168.
[3] المرجع نفسه، ص 173، 174.

الأخ الشرير وظل يجلب له الطعام وهو في بئره لا يغادره حتى مل طول الإقامة في غياهب الجب فترجى خادمه أن يضع له طعاما مسموما حتى ينتهي عذابه ولكن الخادم كان يرفض ذلك دوما...ولكنه ألح عليه فصنع له طعاما فيه سم زعاف...وحمله إليه... وصادف أن كان الملك الظالم يومها في نزهة فلمح الخادم فعرفه وأمر بحرسه فجلبوه إليه فوجد عنده طبق الطعام ووجد رائحته شهية وكان الملك جائعا فتناول من ذلك الطعام فمات لتوه...ففرح ذلك الخادم وأخرج الملك العادل من الجب...وهو يقول: يا ظالم لك يوم: فذهب قوله مثلا معناه آن لكل ظالم نهاية وخيمة والتحذير من فعل الشر وظلم الإنسان البريء وهو مثل يضرب أيضا لوعظ الناس أنه مهما طال الزمان لا بد من إرجاع الحق لأهله[1].

- أعمل في الدنيا تخلص في الدنيا: وأصله إمرأة فقيرة لها ولد وحيد وكانت تسكن به منزلا متداعيا ليس فيه غير حجرة واحدة صالحة للسكن بينما تداعت بقية غرفه ولم تقدر المرأة ولا ولدها حين كبر على إصلاح حال البيت وظل يسكنانه على حاله حتى شب الولد وبلغ مبالغ الرجال فرأت أمه أن تزوجه على ما هم عليه من الفقر والحاجة فعارضها في البداية لضيق المسكن، ولكنها أشارت عليه بأن يقسم الحجرة الوحيدة نصفين نصف لها ونصف له مع زوجته فقبل ذلك...ولكن الزوجة تضايقت من أم زوجها وأشارت عليه بأن ينقل أمه إلى البيت العلوي ولكنه رفض ذلك فألحت عليه حتى أصلح تلك الغرفة العلوية المتداعية وهيأ فيه لأمه مكانا نقلها إليها فقبلت العجوز دون تردد وبقيت على تلك الحال وكان ولدها يأمر زوجته بأن تحمل لها كل يوم طعامها ويوصيها بأن تخصها بأحسن اللحم ولكن الزوجة كانت تحمل ذلك الطعام وما أن يصل نصف المدرج حتى تزدرد قطعة اللحم فلا يصل تلك العجوز منه غير طعم المرق.واستمرت الأيام حتى ماتت تلك العجوز ثم مات ولدها من بعدها وترك ولدا ما لبث أن كبر هو بدوره وبلغ مبالغ الرجال ففكرت له أمه في زوجة وكان ولدا صالحا كسب من تجارته ربحا وفيرا فأصلح المنزل حتى صار قصرا منيفا وتزوج وأسكن أمه بالطابق العلوي وكانت زوجته تحمل إليها كل يوم طعامها وكان يوصيها بأمه خيرا...وذات يوم قالت له بأنها مريضة وطلبت منه أن يحمل طعام أمه بنفسه ففعل...وعندما كان بالمدرج نزل عليه طائر من السماء واختطف قطعة اللحم التي كانت به فنزل مذعورا وحدث زوجته بما وقع له فقالت له إنها ليست مريضة ولكن ذلك الطائر كان يختطف منها كل يوم قطعة اللحم فخافت أن لا يصدقها وأرادت أن يرى ذلك بعينه...فصعد إلى أمه وأخبرها بالأمر فابتسمت وقالت: "يا أوليدي أعمل في الدنيا يخلص في الدنيا" وأعلمته أنها كانت تأكل قطعة لحم حماتها في المدرج وأنها اليوم تدفع ثمن ما فعلته بتلك المرأة المسكينة...وقد أرسل الله هذا الطائر ليأخذ لتلك المظلومة حقها مني.

والمثل يؤكد على حسن معاملة الوالدين لأن عقاب عقوقهما يكون في الدنيا على يدي الأولاد ويضرب أيضا للتحذير من عاقبة الآخرة أمام المولى سبحانه وتعالى[2].

[1] الضاوي موسى، المرجع السابق، ص224.

[2] الضاوي موسى، المرجع السابق، ص27، 28.

5-مجال حظ الإنسان:

ويجرنا الحديث عن مفاهيم القضاء والقدر بالأمثال التونسية إلى منزلة الحظ فيها.وقد أدركنا أنها منزلة رفيعة. فقد قال التونسي كما قال غيره بالحظ السعيد وسمى أبناءه سعيد وسعد ومسعود والأسعد وسعدون وسعاد وسعيدة ومسعودة وسعدية وأم السعد وبركة مباركة ومبروك وبريك ومبروكة مباركة. وإذا قال العربي بالنكد والنحس والشؤم والخبر المشؤوم والشخص المنكود الحظ والحظ العاثر فقد قال التونسي ب: الوجه المشوم والكرية المشومة والراي المشوم والرجل المغبون والمرأة المغبونة[1].

وقد تراوح مفهوم الحظ لدى الأمثال التونسية بين المكتوب والصدفة وعبرت عن الحظ باسم السعد مرة والزهر مرة أخرى والبرج مرة ثالثة (ودخلت على الحظ كلمة فرتونة وهي كلمة إيطالية Fortuna قيل كل حد وفرتونتو).

عبرت عن مظاهر الحظ فقالت إذا جات تجيبها سبيبة وإذا مشات تقطع السلاسل (سبيبة:شعرة) واللي عندو السعد حتى الريح يحطب لو اللي سعدو كبير حتى الريح يقشقش لو وعندو وزهر يكسر الحجر ورأوا في بعض العاهات خيرا حتى إذا استمعوا إلى كلام أخرق أو أغنية سقيمة قالوا سعدك يا لطرش أي هنيئا لك أيها الأصم! أو قصولو يد وجات مليحة للطنبور على أساسا "رب ضارة نافعة"!

وعبرت عن ظواهر النكد عند التقائها او تواترها فقالت : "لوكان فيك السعد يا ام سعيد ما يموتش نهار العيد" و"إذا كان النعش مكسر والحمال أعور يكون الميت من أهل جهنم" و"جا يخدم شواشي تولدو والناس بلا روس" ووقت اللي حاجتي بيك يا وجهي خبشوك القطاطس وأكحل وفحام واسمو سخط الله وهرب من القطر جا تحت الميزاب والحنا حرشة والحنانة عمشا والعروسة طرشة وراسي على الهم كرادغ وهز ساق تغرق لخرى وبررت تواتر تلك المظاهر بزوال الشعر فأكدت بدعابة مرة راس الفرطاس قريب لربي وذلك لزوال الحاجز بين الرأس والصائب لأن المصائب مصدرها السماء! وقالت رضينا بالهم والهم ما رضاش بينا والدق جا في الدربالة. وقد يحدث أن يتعذر التفسير فيكون القياس فهذا كيف الحوت متاكل ومذموم أو كيف الكرومة متاكلة ومذمومة.

جعلت الحظ ملازما للشخص لا يفارقه رمشة عين لكنه يكبر ويصغر ويقوي ويضعف ويتقدم ويتأخر ويعلو ويهبط ويستقيم وينقلب. قالت حنتك في لقدام وسعدك لقدام وقال لو يقوى سعدك قال لو توا توا والدنيا سعود وقالت عمن ترشحت للزواج سعود ما هيش قدود وجعلت الحظ أهم من المال أيضا فقالت كبر النقد ما يكبر سعد ودعن يعطيك سبع سعود وراجل مقدود والحما والحو تحت اللحود إنها حقا سبع سعود! وقالت عن منكود الحظ سعدو مكبوب ونادته يا مكبوب السعد وقال هو عن نفسه عيشة المغبون خبز وزيتون كما قالت مثيلته عيشة المغبونة الرحى والطابونة.

وربطت الحظ بالأبراج الفلكية فقالت اللي برجو بالدلو قاعو ديما مبلول أي ينشأ بوالا. واكتشفت برجا لم يكتشفه الفلكيون فقالت اللي برجو بالسحاق ما يعدي عمرو كان بين الكوانن. فحسن الحظ أو فقدانه سمة قارة لا سبيل إلى تغييرها وقد تطبع الشخص كما تطبع الزمان والمكان أيضا. فجعلت لهذا وذاك علامات وحددت

[1] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص203.

المواطن. أما الشخص فموقع حظه في الناصية والعرقوب.وأما المحل فموقع الحظ في عتبته. لذلك قالت نواصي وعتب والبعض من الذرية والدار على عتبتها والطفلة على عمتها والليلة السعيدة من مغربها تبان.
ونعتت المحل المشؤوم بـ دار الوبا فقالت اللي يعرف الوباويجيها ويموت فيها ما يموت شهيد[1].
واستنكرت أمثال أخرى تلك الأحكام المسبقة فقالت عرس بالدين وقول العروسة عرقوبها شين أو خوذ مرا بالدين وقول عرقوبها شين.
والتونسي متفائل حينا ومتشائم حينا أخر. فهو يدعو الباكورات من ثماره فال معبرا بذلك عن الأمل بأن يكون المحصول طيبا ووافرا ويقول "خذو فالكم من صغاركم" حاسبا أن كلام الصبي يتضمن معاني عفوية تنبئ عن المستقبل. وهو يتحدث كثيرا عن الشوم والمشوم حتى ان الشوم أصبح يعني لديه الرداءة في كل شيء. فيقول "أقعد وحدك يجيك النوم". يجيك بنادم يجيك الشوم وتكثر العمومة في السنين المشومة والعام المشوم يتعدى واراي المشوم ما يتعداش.
لذلك كله دعا على مخالطة المحظوظين عسى أن تنال من حظوظهم نصيبا فقال اللي يخالط المسعدين يسعد.
وإذا كانت الأمثال تنظر إلى "العين" والسحر باعتبارهما واقعا فقالت خذاه بالعين أو خذاه بالنفس فإن نظرها لم يخل من التساؤل والنقد. لاحظت أن العين تصيب الجميل ولا تصيب القبيح وتساءلت علاشي أخذوك بالعين يا معوج الساقين؟ وسخرت ممن يتقاعس ثم ينسب فشله إلى أسباب أخرى فقالت "اللي يخونها ذراعها تقول مسحورة" وهو يشبه قولها "اللي ما تعرفش ترقص تقول لرض عوجة" ونحن نلاحظ نسبة الحالتين إلى المرأة لأن ظاهرة التعامل مع السحر كانت غالبة عليهن.
وقد كان للزوايا- وهي مقامات بعض الأولياء الصالحين أو منسوبة إليهم- تأثير سلبي في أغلب الأحيان لأنها حول القدوة السلوكية إلى قداسة أقرب إلى قداسة الرهبان أو حتى الأوثان. ولعلها من رواسب الماضي السحيق أو تسربات المسيحية أو كليهما. فتحولت تلك المقرات إلى مزارات تقدم فيها الهدايا بشكل وثني واضح.وقد استغل القيمون على تلك الأماكن سذاجة الناس ومشاكلهم الحياتية المستعصية-كالزواج والإنجاب والأمراض- فراحوا يجتذبون الأتباع بالترغيب والترهيب ونسجوا عن مشائخهم الأساطير فقالوا يدو تجمد الما وحولوا قولهم شد في ربي وسيب يديك على قول يا سيدي عبد القادر وارمي روحك من السطح ولسنا ندري إن كان القائل قد جرب ذلك أم كيف السردوكيذن وما يصليش! وقد صبغوا تلك التبعية بصبغة دينية فقالوا اللي ما عندو شيخ شيخو الشيطان.

وإذا تمرد أحدهم فأعلن أن "المكتوب على الجبين لا تبدلوا لا أوليا لا صالحين" معترفا بدور المكتوب قال آخر "الولي الصالح ينفع نفسو" بصرف النظر عن وجود المكتوب أو عدمه وهو موقف يتسم بالكثير من الشجاعة[2].

IV- الجانب الديني:

[1] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص205.
[2] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص206، 207.

هل التونسي من خلال الأمثال- شخص متدين؟ وكيف؟وإلى أي حد؟ أسئلة تتبادر إلى الذهن لأول وهلة. فنحن نعرف جميعا أن التونسي مسلم عدا أقلية ضئيلة لم تجد لها من الأمثال إلا مثلين، ثم إن تلك الأقلية- وهي من اليهود والنصارى- كانت تتبنى أمثالا تؤمن بالله واليوم الآخر. وإذا كان المسلم يقسم قائلا والله فإن اليهودي يقول وربي.

لكننا أردنا بهذه الوسيلة أن نستشف ملامح ذلك الإيمان وحدوده إن كانت له حدود.

وقد اتضح أن الحضور الإلهي يعمر كل مكان ويحرك كل دواليب الحياة لدى التونسي حتى أنك لتجد مشقة لفرز "ما هو لقيصر وما هو لله".

- ✓ يولد المرء بإذن الله زريعة ربي ويسند له اسم لكن يسأل يوما آش سماك ربي؟ وقد رأينا أن بعضهم يعتبر أن المتربي من عند ربي فيكون الاعتماد على الله بصورة كلية أو جزئية حسب المواقف.
- ✓ رأينا في باب العمل وطلب الرزق مواقف تراوحت بين "العاطي ربي وأنت عليك بالحركة" وربي عليه بالبركة وهي توصية تنسب للإرادة الإلهية دور التزكية والمباركة للجهد البشري. وإذا انتقلت لفظة مكتوب إلى لغات أخرى باعتبارها فلسفة حياتية قائمة على التواكل فقد كان ذلك ناجما عن سوء تأويل.
- ✓ وإذا قيل في مضمار الجبر والاختيار "الله يهدي ما خلق" فقد قيل أيضا كل واحد وفعلوا واللي يعمل يلقى وهي أمثال متضاربة تعبر عن مستويات متفاوتة وتنقل حوارا لا يقل حرارة عن مجالات الفقهاء!
- ✓ وقد رأينا في مواقف التونسي من القضاء والقدر والحظ والصحة والمرض والموت ما يثبت إيمانه العميق بالله والبعث والحساب حتى ولو عيب على أحدهم أنه ما يعرف ربي كان ليلة الرعد وصحيح أن التونسي يزداد تعلقه بالله كلما ناء كاهله وقد شهد الخالق نفسه بأن "الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا (سورة المعراج)".

1-الفرائض:

تحدثت الأمثال عن قواعد الإسلام الخمس عدا الزكاة. فقالت: عن الشهادة "الحديث بلا زيادة كيف الموت بلا شهادة" لأنه من الضروري النطق بالشهادتين قبل الموت باعتبار أنها خاتمة المسيرة الحياتية.

تحدثت عن الصلاة وقرنت بها الاستقامة من جهة والأذان من جهة أخرى فقالت:"عن المعنى الأول يصلي ويسبح ويخطف سنين الكلب وهو ينبح" أو فمو يسبح ويدو تذبح وقال لو بكر تأكل السفنج صلى العشا وجا فصلا الأول لم تحل دون أن يواصل النهب كما أنها لم تردع الثاني عن العدوان ولم تمح ما في نفس الثالث من طمع! واعتبرت أن من الناس من يصلي طلبا للحماية الإلهية فقالت "صلي صلاتك يا تبيت لا يغور عليك النيد" وقالت مستغلة صوت المؤذن في القرية فجرا "لقي الدنيا خالية قام فيها" لذان وقالت عمن يأمر بالفرض ولا يقوم به إنه كيف "السردوك يذن وما يصليش"[1].

[1] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص193، 194.

وعلقت على الصوم تعاليق تراوحت بين القبول والامتعاض فقال أحدها محتجا على قلة الصبر "صام نهار من رمضان قال العيد آش ما زالوا؟" بينما قال آخر متبرما على ملاحة رمضان نزيدو نهار ورد ثالث مهدئا الدنيا فانية ولا حال يدوم رمضان البارح والعيد اليوم على أساس أن "بعد العسر يسرا" واستغل الصوم والإفطار ليقول عن معاناة الصائم إذا كان فقيرا صام عام وفطر على جرادة.

وتراوحت تعاليق الأمثال عن الحج بين التنويه والتجريح. قال أحدها مشيرا إلى مصاعب السفر إلى الحج "ما أبعد مكة على بوحمار" وقال: أخر "اللي حج حج واللي عوق عوق" واعتبرت بقية المثال أن الحج فرض تكميلي يكون بعد استيفاء شروط أخرى على رأسها الاستقامة. وجاءت عبارات النقد لمن لم يتحسن-رغم الحج- سلوكهم فقيل عم الحاج حج وأمارة الحج عليه أما الغمزة باقية فيه، والحاج موسى هو موسى الحاج فهو باق على حاله. وأشار أخر إلى من استفحل أمره فقال حج وزمزم ورجع للبلا متحزم وربط أخر بين الحج والتوبة في قوله يا سعد من حج وتاب وحط ولدو في الكتاب. ولا شك أن التناقض كان صارخا بين صفة الحج وسلوكه فأعلنوا محذرين إياك من الحجاج والعجاج والبحر إذا هاج.

أما الزكاة فلم يقع ذكرها في الأمثال التونسية. ولعل ذلك يعود إلى ضبابية تكتنف الزكاة والصدقة في أذهان الناس. ناهيك أن الصدقة- وهي -قل شأنا من الزكاة- وقع ذكرها في قولهم اللي توعدو بالصدقة على باب دارك يبقى وما تحل الصدقة إلا ما يشبعوا مالي الدار.

2-الخير والشر:

رأينا فيما سبق- أن التونسي واقعي لا تغره المظاهر ولا يؤمن إلا بالعمل الناجع. فهو لا يتعلق بالشعارات تعلقه بالعمل ونتائجه. قال اللي يعمل يلقى وكل واحد وفعلوا وهو لا يعير الوعود كبير اهتمام ولا يشبعه التمني فقال كلمة لو كان ما تشبع جيعان وعيش بالمنى يا كمون غدوة الحي نسقيك واللي يستنى خير من اللي يتمنى وحتى الانتظار اعتبره ضربا من الإهانة.

رأينا موقفه من مظاهر التدين وما أبداه إزاءها من احتراز بلغ حد الاتهام حتى أعلن بأنه ماثماشقطوس يصطاد لربي. فهل هذا يعني أن التونسي لا يميز بين الخير والشر؟ أو أنه لا يحسب لهما حسابا؟

إنه على العكس من ذلك يحلل الخير وثماره والشر وعواقبه. وحلل ذلك على صعيد الدنيا والآخرة. قال: أطعم الفم تستحي العين وسبق الخير تلقى الخير" راجيا أن يعامل بالمثل.لكنه كان يدرك ان ذلك لا يحصل فأضاف "أعمل الخير في أهلو وفي غير أهلو حتى تلقى أهلو" وإذا قال:"بعضهم ما يعطي خيرو لغيرو كان المهبول""ومهبول من يعطي خيرو لغيرو" فقد كانوا يقصدون البنين والبنات خشية تبديد الثروة العائلية. لذلك أكدوا فاعل الخير ما يندمش وزيادة الخير ما فيها ندامة واعمل الخير وأنساه حتى لا يتحول العطاء إلى من جعلوا فعل الخير عملا تلقائيا فقالوا اللي يعمل الخير ما يشاورش وختموا ناظرين إلى الآخرة سعدك يا فاعل الخير.وحتى إذا لم يتمكن من الفعل فقد قال الله يسمعنا على بعضنا الخير[1].

[1]الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص194، 195.

أما كلمة شر فقد رأينا أنها تعني باللهجة في الجنوب التونسي الجوع. فقيل:"اللي تكثر صنايعو يموت بالشر". أما الشر- نقيض الخير- فلا وجود لمرادف له باللهجة التونسية. وإذا كانت احتلت مكانها في العقود لأخيرة فقيل يعمل في الشر فإنها لم تجد بعد الوقت الكافي لتدخل الأمثال التونسية. وقد حاولنا تبين مرادفها على سبيل الكفاية من خلال ما تعبر عنه من المواقف.

قالوا بشأن تجاوز الحدود "حدك المسقي اما المسفوف يغصص" وقالوا: عمن يلحق الأذى بلسانه "مادوا الفم لبخر كان السواك الحار" وقول:"ما تحب تسمع ما تكره" وقالوا: عن السرقة اليد الخفيفة "تستاهل القص" وعمن يلحق الأضرار بالغير "اللي يزرع الشوك يحير في حصادو" وعمن يسطو على متاع الناس "اللي يأكل زرع الناس يعمل زرعو على الثنية" ونعتوا الانحراف بأنه عوج "يزوك منو البقر أو ما قالش بيه ربي" ودعوا على من يطرد الطائر الصغير من عشه "طوير في عشو نش الله من نشو" (طرد الله من طرده) وتبرأوا من تلك التصرفات قائلين:"الله لا يجعلنا جرة".

وأما التوبة عن تلك لأفعال وغيرها فهي لدى الأمثال التونسية محل احتراز. فالتوبة صعبة وهي تحتاج إلى دليل! لقد اعترف بها المثل القائل يا سعد من حج وتاب وحط ولدوا في الكتاب إذ أقام على توبته الدليل.لكنه قال من جهة أخرى عم الحاج حج وأمارة الحج عليه لكن الغمزة باقي فيه. فهو الدليل المعاكس.

3-الإيمان:

تعبر الأمثال في الجنوب التونسي عن إيمان عميق بالله التحم بوجدانه ولسانه. يكفي أن نذكر أن كلمة الله ورد ذكرها 32 مرة وان كلمة ربي وردت بها 26 مرة عدا أمثال ذكر فيها الله تعالى بأسمائه الحسنى كالخالق والعاطي والفتاح والرزاق والجبار. وعدا أمثال أخرى تبدأ بالدعاء يعطيك- يعطينا- لا يعطينا- لا يويرينا... والعبارة التي يودع بها التونسي ما يراه شططا أو انحرافا هي اعمل ربي في بالك ولعل أبرز ما ورد في هذا الشأن قوله : "الله وعباد في كل بلاد" و"الناس بالناس والناس بالله".

وتدل على إيمانه بالرسالة المحمدية النسبة المئوية العالية التي كان فيها اسم محمد ومشتقاته من الحمد تسود بقية أسماء كما بينا سابقا. وإذا نظرنا في غيرها من الأسماء وجدنا أنها تنتمي في أغلبيتها الساحقة إلى التراث الإسلامي. وليس أقرب إلى الإنسان من أبنائه وإن ما يسند إليهم من الأسماء إنما هو صدى وجدانه. ولا نستثني أسماء الإناث. والتونسي يؤمن بكل الرسل والأنبياء باعتبار ذلك الإيمان ركنا من أركان الإسلام فأسند أسماء إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء إلى أبنائه.لكننا نلاحظ أنه إذا استعمل كلمة النبي فهو يقصد محمدا – صلى الله عليه وسلم- دون سواه فقال زيارة النبي ثلاث أيام استنادا إلى حديث نبوي وإذا كان ذلك يدل على أن التونسي يعتنق الاتجاه السني فإننا نلاحظ أيضا أن القسم الشعبي ورأس محمد يكاد يبلغ لدى العوام قولهم والله ونلاحظ أيضا أنه قد يتحول أحيانا- ولدى النسوة المسنات خاصة- إلى قسم يلفت الانتباه وهو والنبي والسيد علي[1].

[1] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص196، 197.

يؤمن الإنسان في الجنوب التونسي بأن يوم الحساب آت لا ريب فيه. لذلك ألقى السؤال التعجيزي يا قاتل الروح وين تروح؟ وقارن بين ما يسود المجتمع من مظاهر الحيف فقال الدنيا بالوجوه ولآخرة بالفعايل ونعت كل متجاهل لتلك الحقيقية بأنه يأكل الدنيا ويتحسر بالآخرة ونظر إلى السماء في ثقة واطمئنان قائلا ربي من فوق يخلص الحقوق وحذر اللي يبزق على السماء يرجع على وجهو.

وقد ورد اسم الجنة في الأمثال التونسية مرتين قالاحدهما:"جيت نعرس نتهنى نلقى العازب في جنة" وقال الثاني:"مولى السبسي في الجنة وملى النفة بحذاه" معتبرا أن تناول التكروري- أي الحشيش- إحدى الحسنات التي سوف تدخله الجنة. ونحن نشتم من هذا المثل رائحة السخرية.

كما ورد اسم جهنم مرتين أيضا.جاء في الأولى "إذا كان النعش مكسر والحمال اعور يكون الميت من أهل جهنم" وجاء في الثانية "اللي يدق على باب جهنم يدق بحلقة ذهب" نهيا عن اكتناز الذهب.ذلك أن التونسي يعتبر مازاد عن الحاجة من المال كفرا فقال الصغار يجب لهم مال كافر وصحة حافر ولمح على جهنم حين رد على قولهم:"آخر الطب الكي" فقال:"ما يكوي بالنار كان العزيز الجبار".

وتحدثت الأمثال عن الملائكة وإبليس والشيطان في مناسبات عديدة سبق ذكرها حسب سياق المواضيع.

التونسي يرى أن الدين عبادة وعمل. رأينا ذلك عند الحديث عن الفرائض. وهو لا يقبل التناقض ويرفض أن يقتصر الدين على التعبد أو التأويل الذي يرى فيه تنصلا من الواجبات فقال على لسان بعضهم حرام عليكم حلال علينا وقوم بالفرض وأنقب لرض وقد ذهب بعض الدارسين لهذا المثل الأخير على اعتباره وعزا وراح يؤول عبارة أنقب لرض بأنها تعني خدمة الأرض. وذلك غير صحيح. لأن المثل كله تشهير بمن يقولون ذلك على غرار أمثال كثيرة أخرى كقولهم أرم روحك في البير وقول الملايكةدزنيأو خوذ مرا بالدين وقول عرقوبها شين. فليس كل فعل بصيغة الأمر يعني أمرا أو وعظا إذ يقال "أفعل" والمقصود لا تفعل "والمعنى الحقيقي للمثل: لا تقم بالفرض ثم تفسد في الأرض".

4-القضاء والقدر:

الأمثال في الجنوب التونسي لا تفصل – في معظمها على الأمثال واد سوف- بين إرادة الإنسان و الإرادة الإلهية. قالت:"الطبيب يداوي والفرج على الله" وقالت:"اللي يعمل بيدو ربي يزيدو""والله وعباد في كل بلاد" ولخصت ذلك في قولها:"الناس بالناس والناس بالله" وهو ما يشبه المثل العربي "يد الله فوق الجماعة".

لكن هذا التوازن ليس محترما دائما إذ يختل عند الشدة أي حين يحس المرء بأنه قد غلب على أمره. عندئذ يستغيث داعيا الله لا يطيعنا ما يغلبنا وربي يرحمنا وربي من فوق يخلص الحقوق وربي يقيد العفارت"واللي معاه ربي ما يغلاب""ويا قاتل الروح فين تروح""والله يلطف بينا وشد في ربي وسيب يديك" وإذا حلت بأحدهم مصيبة قيل له أطلب اللطف وقد علق الطرف الآخر عن تلك المواقف قائلا:"ما يعرف ربي إلا ليلة الرعد"[1].

[1] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص198، 199.

وعموما فإن الإرادة الإلهية المباشرة تختلف كثافة حضورها باختلاف الأوضاع لكنها حاضرة ومحترمة دائما. فقالوا: "خاف ربي وخاف من اللي ما يخافش ربي" "واللي يبزق على السما يرجع على وجهو "وختمو" ربي يكبرنا في طاعتو".

لكن الأمر لا يتوقف عند هذا الحد. وإذا كنا قد ذكرنا أمثالا بها اسم الله مقترنا بالإنسان فهناك أمثال كثيرة تشير على الحضور الألهي المفرد باعتباره قدرا محتوما أحادي الجانب وقد تبين لنا من خلال فحص تلك الأمثال تعلق التونسي بمفهوم القضاء والقدر بمعناه التقليدي تعلقا جعل للكون والحياة سننا لا تتبدل ولا يريد أن تتبدل. قال:"كل قوة للضعف ترجع""وكل من سمن يهزل""وكل من طار ينزل""والدنيا قش""واللي يتنتفخ والقمح يدور يدور ويرجع لقلب الرحى""وكيف الفرطوط يطير يطير ويجي في النارو""والدنيا دالة بدالة واللازم لازم" أي لابد مما ليس منه بد.

إنها أحكام قامت لدى التونسي مقام القانون الكوني الذي لا يقبل الجدال ولا سبيل إلى تغييره لأنه يقوم على أساس الإرادة الألهية ليشمل الإنسانية.

ثم تنتقل النظرة من الكل إلى الجزء ومن الإنسانية إلى الإنسان. فيتحول الأمر إلى جبرية فردية عبر عنها بـ المكتوب فقيل : المكتوب على الجبين لا زم تشوفو العين" و"اللي ما يكتب يصعب" و"مكتوب حد ما ياخذو حد" و"الخطاب أربعين والمكتوب واحد" هذا المكتوب: كما نلاحظ يشمل كل ميادين الحياة وحتى أن بعض العلاقات بين الناس بعضها مقرر سلفا. من ذلك أنه مكتوب في السما الحما ما تحب الكتة والكنة ما تحب الحما وقد جاءت أخرى لتفصل الأمر تفصيلا. فقالت لتستدل على أن الإنسان مسير موش مخير، "إذا رادلك ربي بالشفا يعرضك الطبيب في الثنية""ورزق حد ما يفكو حد""واللي ليك ليك واللي خاطيك خاطيك""ولو كان تجري كي الغزال في المجهودةوتشابط أفي السما بيديك ما تأكل إلا ما يكتب لك""وما تكسب إلا ما يعطيك""وإذا عطاك العاطي لا تشاطي لا تباطي""والعاطي ربي""والقسم على ربي يقدر الخير" وإذا لم يكن الخير وكانت الورطة قيل:"يخلصها اللي ما ينام الليل" لكننا نلاحظ أن هذه الأحكام تطلق عند الشدة حتى أننا لم نعثر على مثل واحد ينوه بالقضاء والقدر عند نجاح أو رخاء رغم قولهم:"اللوم بعد القضا بدعة" فقالوا:"اللي في جرتو لرياح مما يرتاح""واللي في وقتو ما يتلام وحال القضا حال الصبر""ووقفت الزنقة للهارب والحال حال الله".

فهي تأكيدات لا تدل على اقتناع مطلق بقدر ما هي أقوال تبرز الفشل أو تخفف من وطأته.

وعلى كل حال فقد جاءت أمثال أخرى لترد على أنصار المكتوب أو التوجيه الفوقي المطلق فقيل:"فتحوا أفامهم للذبان وقالوا قضاء الرحمان""وارم روحك في البير وقول الملايكةدزتني""وحط كوزك في الحدرة وقول كبو ربي وآش لزو حتى الواد يهزو""واللي يعرف دار الوباويجيها ويموت فيها مايموت شهيد" واستنتج "اللي غاب غابسهمو" وذلك معارض طبعا لقولهم "مكتوب حد ما ياخذو حد"[1].

[1] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص199، 200.

وسعت الأمثال أخرى إلى التوفيق بين أتباع الجبر وأتباع الاختيار فعللت الفشل بالتقاء عوامل الجبر وعوامل الاختيار وقالت:"شوية م الحنا وشوية من رطابة ليدين""والبير غارق والحبل قصير""والثنية طويلة والبغل هرقال" وختمت "شي من الله وشي من عبد الله" وقالت:"ساعة القضاء ليلها غفلة" معتبرة أن القضاء يحل حين تصاحبه الغفلة واستنتجت يجيكالبلا يا غافل.

أما موقف الإنسان التونسي من القضاء والقدر فقد لخصه قوله "حال القضا حال الصبر" أي أن الصبر يجب أن يكون على قد المصاب ولكن الأمر لم يكن كذلك دائما. لقد أشارت الأمثال بالصبر علاجا لبعض الحالات لكنها تمردت على أوضاع أخرى. قالت من جهة الصابر ينال وصبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك ومدحت الجمل قائلة الجمل صبوري وعابت على بعضهم قلة الصبر فقالت لحمة المزعوم ما تطيبش وقال لو يكبر سعدك قال لو توا توا وصام نهار من رمضان قال العيد آش ما زالوا وهبيل بن هبيل من يحسب الصابة وهي قصيل وأكدت أن المليح يبطا وان الفرح درجة درجة وان اللي يستنخيثر م اللي يتمنى لكنها ضاقت ذرعا بالصبر فقالت عيش بالمنى يا كمون غدوة الحي نسقيك واستناني يا علي بعشاك ودوحي يا مباركة بحمد فاعتبرت ان من الحالات ما لا يحتمل الصبر والانتظار حين يكون العقرب في الكم والطبيب في بغداد فإن للصبر حدودا وإن من الانتظار ما يعتبر إهانة لأنه يخل بالكرامة فقالت... ثالث هانة اللي يقول استنى حتى انجيك أنا.

قال: أحدهم إن "الهم قد يملأ النفس تفيض. فماذا يفعل من طفطف الهم على قلبو؟" وبما ذا نجيب من قال رضينا بالهم والهم ما رضاش بينا؟ لذلك قيل إذا غلبك الوقت أضحكوا لأن كثر الهم يضحك وعلى كل حال فإن الهم فيه ما تختار فاختر لنفسك أخف الهموم!

وقد لاحظنا ميل الإنسان في الجنوب التونسي إلى المحافظة كما في واد سوف على الوضع القائم- باسم المحافظة على العادات والتقاليد- وخشيته من التغيير. وقد يكون ذلك خوفا من المستقبل وإذا قال مرة تبديل السروج فيه راحة فقد كان ذلك بعد قوله بدل هندية بتفاحة وقال الله لا يغير لنا حال وجاء منه الدعاء لا يوريك غيار وقال تأسفا دوام الحال من المحال على أساس شد مشومك لا يجيك ما أشوم فتقول بعدئذ كانت تشخر زادت بف ويندرج ذلك التحفظ ضمن كراهية التونسي للمغامرة إذ يقول ميات خطوة ولا تنقيزة وما تدبل ما إلا ما توجد ما واللي يبدل لحية بلحية يشتاقهم لثنين وقد أبدى إعجابه بمن يحافظ على هيئته فقال غنه كيف مشموم الزاني لا يطيح لا يذبال[1].

V- الجانب الاقتصادي:

حضي الجانب الاقتصادي بالجريد التونسي بكل نشاطاته، حيث كان له نصيب وافر من الأمثال الشعبية التي تناولته بكل أبعاده وحيثياته، وذلك في عدة مجالات حيث نجد أمثال في العمل والتجارة وغيرها من الأمثال الشعبية التي لعبت دورا كبيرا في المجتمع التونسي.

[1] الحبيب إبراهيم، المرجع السابق، ص202، 203.

1- مجال العمل:

"يوفى مال الجدين وتبقى صنعة ليدين": وأصل المثل يروي عن ملك كان له ولد وحيد يحبه كثيرا ويوفر له كل ما يشتهيه من ملذات هذه الدنيا، حتى كبر ذلك الولد وأراد أن يتزوج فتاة أعجبته ولم تكن من أبناء الملوك فأستاء الملك لذلك ولكنه لم يستطع أن يرفض لابنه الوحيد طلبه واستدعى والد الفتاة ليخطب ابنته فحضر إليه الرجل دون تردد، ولما علم طلبه قال له: أما أنا فقد وافقت وأما ابنتي فلا بد من استشارتها... فبعث الملك في طلب الفتاة وعرض عليها الأمر، فقالت أريد أن أعرف مهنته أولا. فقيل لها بأنه أمير ابن الملك وله من المال خزائن لا تحصى فقالت: يوفى مال الجدين وتبقى صنعة ليدين.

أما أنا فقد عاهدت نفسي على ألا أتزوج إلا من كان يحذق حرفة أو عمل يده فأغتاظ الملك وهم بطردها ولكن ابنه ترجاه أن يتعلم صنعة حتى يرضي فتاته...فقبل الملك مكرها...وتعلم الأمير صناعة النسيج ومبهر في صنع الزرابي فرضيت به الفتاة وتزوجها...وكان الأمير يوما في جولة في المدينة فوقع بين يدي اللصوص ولبس معه حرس يحمونه فأخذ إلى دهليز ليسلب ماله ويقتل ولكنه ترجى مختطفيه أن يبقوا على حياته وأقنعهم بأنه سيصنع لهم أفخر الفرش لتباع بأغلى الأثمان فرضوا بذلك ووفروا له ما طلبه من لوازم الصناعة وأنتج لهم زربية فاخرة و حملها إلى السوق فلم يشترها أحد، فأشار عليهم أن يحملوها إلى الملك فهو يعرف قيمتها. ففعلوا فأعجب الملك بها وأخذ يتفحصها فوجد عليها كتابة ترشد على مكان حجز ابنه فقبض على اللصوص وخلصه منهم وقال لقد كانت تلك الفتاة على صواب وردد: "يوفى مال الجدين وتبقى صنعة اليدين".

والمثل يضرب للحث على تعلم الحرف فهي أحسن للمرء مما عسى أن يرثه عن أبائه أو جدوده من رزق أو مال[1].

- "إخدم بقفيز وحاسب البطال": "قفيز جمع أقفزة وهو مكيال تكال به الحبوب وغيرها" وليس العاطل من لا يؤدي عملا فقط ولكن من يؤدي عملا في وسعه أن يقوم بما هو أجل منه.
- "اخدم باطل ولا تجلس عاطل": يضرب للعاطل عن العمل، وحثه على ذلك حتى لو كان ذلك بدون أجر.
- "اخدم تتقدم، أقعد تندم" العمل يدفع الإنسان إلى الأمام ومعرفة الأشياء، أما الجلوس لا ينفع بل يؤدي إلى أشياء أخرى "الفساد، الانحراف وإلى غير ذلك..." قد يندم عليها الإنسان.
- "اخدم على روحك تعيي لوحك"، اللوح مجمع الكفين ويكون للكيل ويضرب هذا المثل في رغبة الإنسان بتقمير بيته وقضاء الاحتياجات اللازمة من ضروريات الحياة، وكل هذه الأشياء لا تأتي من فراغ بل تحتاج إلى يد عاملة تعمل حتى تكسب المال.
- "أعمل حتى تكل ولا تحط روحك للذل": يضرب هذا المثل للحث على الاجتهاد في العمل ليرفع الإنسان بنفسه شأنه، وحتى لا يمد يده إلى الناس فشخص يعطيه وأخر يهينه ويذله.

[1] الضاوي موسى، المرجع السابق، ص236، 237.

- "شاقي ولا محتاج"، الشقاء هنا، هو العمل من اجل سد الحاجة والراحة هنا هو الجلوس على الحيط، عاطل على العمل ويضرب هذا المثل للإنسان الذي يشقى مهما كانت طبيعة العمل وعدم الرغبة في الجلوس والراحة[1].

2- مجال الادخار:

- "المخباشي لدهرو، العصا لظهرو": ويضرب هذا المثل للشخص الذي لا يدخر للمستقبل شيئا، ولا يضرب حساب ما تخبأه له الأيام من قساوة لذلك لا بد أن ينال عقابه.
- "أيام الشتا جات اللي ما غزلت عريانه باتت": يضرب للإنسان الذي لا يعمل حسابا لأي شيء، فشبهت الحاجة هنا التي يجب أن تدخر بأيام الشتا الباردة التي تحتاج للقوت والغطاء والأكل والدفء.
- "اللي يصرف وما يحسب يفلس وما يدري": يضرب في ذم التبذير وكثرة الصرف ولا يعمل حسابا للإفلاس ويقابله المثل الذي يقول من خاف سلم[2].

3- مجال القناعة:

- "نلحس مسني ونبات متهني": وأصل المثل أن فأرا كان يعيش في دكان حلاق وكان يقتات من بقايا الزيت الذي يصبه الحلاق على المسن لشحذ موساه وكان ذلك الفأر هزيلا لقلة رزقه داخل ذلك الدكان فمر به يوما فأر يعيش في الدكان المجاور فرق لحاله وأخذ يحدثه عما يجده في دكان صاحبه من الخيرات كثيرة... ففيه الجبن الشهي والخبز اللذيذ والحلويات وغيرها... ثم إنه اقترح عليه. فوافق ذلك الفأر الهزيل ورافق صديقه إلى الدكان المجاور. وما كان الفأر يستقر تحت إحدى الخزائن حتى سمع صوتا غريبا لم يألفه من قبل فنظر إلى صاحبه فوجده قد اختفى داخل مغارة قريبة وأشار عليه بالصمت ولزوم مكانه وقال له بصوت خافت عن ذلك الصوت هو صوت القط عدو الفئران وحذره من مغادرة مكانه، فإن القط يترصد الفئران. فإن قبض على أحدنا فهو يمزقه شر تمزيق ويفترسه دون شفقة أو رأفة... وبقي الفأران على ذلك الحال حتى الصباح... لم يكحل النوم عينيهما ولم يذوقا من تلك الخيرات شيئا... وحين انصرف القط عن المكان عاد الفار إلى دكان الحلاق مسرعا وهويردد:"نلحس مسني ونبات متهني" فصار قوله مثلا مفاده ان القناعة مع راحة البال واطمئنان الضمير خير من غنى يتبعه خوف ورعب[3].
- "كراع دجاجة تقضي الحاجة": وهو مثل يضرب للقنوع الذي يكتفي بالقليل، وليس بالضرورة أن تذهب إلى القول بأن الأشياء الثمينة أفضل من البسيطة فكم من صغير يبدو أفضل من الجليل وكراع الدجاجة على بساطتها لها من الأهمية ما به تكون أرقى منزلة، فليس كل الجسوم الضخام تهاب.

[1] محي الدين خريف، المرجع السابق، ص 73، 74.
[2] ياسين بن رمضان، المرجع السابق، ص 51.
[3] الضاوي موسى، المرجع السابق، ص201.

- "قرد موالف ولا غزال شارد": شرد البعير إذا نفر وذهب في الأرض وفرس شرود هو المسقصي على صاحبه وهو مثل يضرب للرضا بما لديك ولو كان قليلا أفضل لك من اغترارك بما عند غيرك، وهو يركز أيضا على الطبع الذي حيل عليه الإنسان،فالألفة خير من الهجران وبما أن الإنسان مدني بالطبع فالطبع يغلب التطبع ويعني أن تقبل شخصا اعتدنا عليه كما هو بجميع عيوبه وتقدمه على شخص غريب لا نعرف طباعه.
- "دينار في العتبة، ولا عشرة في قطعان الرقبة": ويضرب هذا المثل للاكتفاء ولو بالقليل، ويقابله المثل القناعة شبعة.
- "نخالتي ولا قمح جارتي" ويضرب للقناعة بما تيسر[1].
- "عظمة اليوم خير من دجاجة غدوة"، له نفس المعنى.

4- مجال الحكمة:

- "البناي يبني، ومولى الدار يعرف وين يحط الباب": يضرب مثلا للعالم بالأمر المجرب له.
- "إلى سروالوا حلفاء ما يقربش النار":يضرب مثلا للرجل الذي يقوم بعمل ولا يعرف ما في عاقبته من المضرة ويضرب للشخص الذي يعرف مضرة شيء معين ويحاول الابتعاد عنه لأنه يؤدي للهلاك.
- "إذا غابو كبارنا، غاب دبارنا"، وهو مثل يضرب لمن جرب الأمور وعرفها وبحكم أن الشخص الكبير يكون في معظم الحيان لديه فكرة وتجربة سابقة عما يجري حوله أكثر من الشخص الذي يصغره سنا ويقابله المثل الذي يقول إلى فاتك بليلة فاتك بحيلة.
- "كول ووكل، وأعقل وإتوكل": قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم... "يا رسول الله أترك وأعقل وأتوكل أو أعقلها وأتوكل؟ قال:بل أعقلها وتوكل" رواه الترمذي وإن كان عدة بعض العلماء ضعيف، قدثبت في الكتاب والسنة الصحيحة الحث على الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله فمن أخذ بالأسباب واعتمد فقط وألغى التوكل على الله فهو مشرك ومن توكل على الله وألغى الأسباب فهو جاهل مفرط مخطئ، والمطلوب شرعا هو الجمع بينهما، يضرب للحث على السعي في الأسباب المباحة والتوكل على الله.
- "بات بلا عشاء وأصبح بلا دين":ويضرب للشخص الصبور الذي يصبر على تحمل الجوع وقله المال حتى ولو أدى ذلك إلى التفريط في الأكل إلا أن الأكل يحتاج مال والمال غير موجود،حتى ينام مرتاح بلا دين[2].

من خلال دراسة الأمثال الشعبية في الجريد التونسي توصلت إلى أن الامثال لها أبعاد التي تظهر عليها في الجوانب الاجتماعية و الاخلاقية ....حيث عبرت العديد من الأمثال عن ثقافة المجتمع التونسي ،كما تضمنت المفاهيم التي توضح و تحدد نمط تفكره و انفعالاته و معتقداته.

[1] ياسين بن رمضان، المرجع السابق، ص 256، 257.
[2] المرجع نفسه، ص 143، 144.

✓ **أوجه الشبه والاختلاف بين أمثال منطقي وادي سوف والجريد التونسي: "موازنة الأمثال":**

ربما السؤال الذي نراه جديرا بالطرح هنا في ما تتمثل أوجه الشبه والاختلاف في أمثال المنطقتين، إذا ما عقدنا موازنة فعليه بينهما؟ ولكي نجيب على هذا الإشكال، سنحاول حصر أهم مواطن التشابه، وأوجه الاختلاف الواردة في أمثال المنطقتين في الجدول التالي:

أوجه الشبه	أوجه الاختلاف
– اتفاق المواضيع التي تناولتها الأمثال وهي انعكاس للواقع المعيشي. – اتفاق ظروف قول المثل وكذلك شروط طردها أو طردها في الوقت المحدد. – كل الأمثال التي تطرح لها مورد ومضرب أو لها معنى – القصد من الأمثال أو الهدف منها أنها وسيلة لتوصيل معلومة ما. – اشتراك الأمثال في البناء الهيكلي في غالب الأحيان. – إتصافهما بنفس الخاصية الجمالية والغنية. – تحتل النساء الصدارة الأولى في قولها. – الهدف من المثل هو وسيلة لنقل تجارب الفرد سواء كانت مفرحة أو محزنة.	– اختلاف التسمية التي تطلق على المثل في المنطقتين ففي وادي سوف يعرف باسم "المعاني" أما في منطقة الجريد التونسي فيسمى "المثل". – اختلاف نطق الأمثال في المنقطين ففي وادي سوف ينطق المثل بسلامة أما في الجريد التونسي فينطق مفخم، قوي ومتين العبارات. – تباين صياغات بعض المثال ومعانيها أحيانا في المنطقتين، وهذا أمر يعود إلى عوامل بيئية واجتماعية متنوعة.

من خلال الجدول السابق الذي يمثل أوجه الشبه والاختلاف بين المنطقتين نجد أن كلا المنطقتين تندرج ضمن منطقتا الجنوب، فالمناخ قاري وجاف، قليل الأمطار تغلب الحرارة في معظم فصول السنة، في الصيف تسوده رياح السمومو "الشهيلي" الأرض تغلب عليها الكثبان الرملية المتنقلة مما يجعل الحياة صعبة في هذه المنطقة فالماء قليل واستخراجه من باطن الأرض بمشقة كبيرة لساكن هذه الأرض قديما، وسكان هذه المناطق خضعوا للحكم وللخلافة الممثلة في والي القيروان التابع للخليفة في دمشق ثم في بغداد في عهد الأغالبة وكانوا جزءا في دولة المرابطين والموحدين وفقي عهد الحفصيين ثم اعترفوا بالخلافة العثمانية فكانوا تابعين لباي تونس وباي الجزائر.

أما التنظيم العائلي حيث تتألف الأسرة الجنوبية في كلا منطقتي الدراسة من عائلتين زواجيتين تربطهما علاقة دموية في الغالب، ويعيش اعضاؤها في وحدة سكانية ذات إقامة أبوية يمثل مؤسسها الرئيس في الغالب الجد ذو السلطة على الأبناء، وهو ما يعرف بالنظام القيادي وهو نموذج التماسك والأمن والاستقرار.

وبالنسبة للمنازل فهي تجتمع في قرى منفصلة على نفسها في شكل حلقة مسورة، مفتوحة على دروب صغيرة واسعة، متداخلة ما يعرف بالعرش،

المعتقدات الشعبية: يشغل الاعتقاد حيزا كبيرا عند سكان منطقتي الجريد وسوف، خاصة عند فئة النساء فالاعتقاد عندهم يمثل جزءا من مقومات شخصياتهم وعنصرا من عناصر ثقافتهم فمن جملة هذه الاعتقادات والتي ما تزال حية إلى يومنا هذا نجد الاعتقاد بالأولياء الصالحين، الذين يخضعون بتبجيل وتقديس الجميع إلى درجة كبيرة جدا، لأنهم يعتبرون رجالا مقربون إلى الله، ينصفون بقدرات عجيبة ويقومون بأفعال خارقة حتى بعد مماتهم.
العادات والتقاليد الشعبية: تمتاز منطقتا الجريد وواد سوف على غرار المناطق الجنوبية الأخرى، بمجموعة من العادات والتقاليد التي يتناقلها ويتوارثها أفرادهما جيلا عن جيل ذلك لأنها تعد ذخيرة شعبية ومعرفية، ورمزا للأصالة والثقافة الجنوبية، فمن جملة هذه العادات والتقاليد والتي ما تزال تمارس في المنطقتين، نذكر عادة إحياء المناسبات والعياد الدينية كعاشوراء والمولد النبوي الشريف وغيرها، وذلك بتحضيرات وممارسات مميزة ففيها يتم إعداد أكلات واطباق تقليدية مثل الكسكس باللحم والفطائر التي يتم توزيعها على الزائرين والزائرات بالإضافة إلى زيارة أضرحة الأولياء الصالحين في هذه المناسبات السعيدة.

ثانيا: دراسة أمثال المنطقتين على مستوى الصياغة اللغوية

- إن الأمثال الشعبية التي جمعناها من أفواه روايات مختلفة بين منطقتي وادي سوف والجريد التونسي، والتي تتناقلها الأجيال خلفا عن سلف، هي أمثال بمقدورنا أن نقول بأنها تنصب على كل شيء وعلى كل فعل وخلق، فللجانب الاجتماعي أمثال، وللجانب الأخلاقي أمثال، وللديني أمثال... وقس على هذا الكلام.

كما أن هذه الأمثال هي نفسها تقريبا في كلا المنطقتين، إذ أن معانيها واحدة، وإن اختلفت الكلمات، وتباينت العبارات التي تستعمل في التعبير عنها اختلافا بينا.

وهذا الاختلاف يعود بطبيعة الحال، إلى عوامل بيئية كالموقع الجغرافي، لكل منطقة، وأخرى اجتماعية كالاختلاف في اللهجات، وغير ذلك من العوامل.

يقال في منطقة وادي سوف على سبيل المثال: "أخطب بنات الأصول علاش الزمان إدور"

وفي منطقة الجريد التونسي يقال "عليك ببنات الأصول راهوا الزمان يطول"

فالمعنى واحد وهو انه على الشخص أن يتزوج من بنات الأصول كما يقال أيضا في التفضيل والترغيب على البنات التي تكون أخلاقها حسنة.

ونفس الشيء بالنسبة للمثال التالي:

حيث يقال في الجريد التونسي: "المحبة صحبة والنية ما ثماش" أما في واد سوف يقال "أصحاب أصحاب ونية ما تنصاب". نلاحظ هو أن صياغة هذا المثل تختلف في كلا المنطقتين إلا أن المعنى واحد.

ويحدث أحيانا أن نجد الصياغة واحدة لمجموعة من الأمثال في المنطقتين والمعنى يختلف، والمعروف أن العامية في الجنوب التونسي هي قريبة من العامية السوفية وبعض المناطق الأخرى في الجزائر تلك التي لها حدود، مع تونس، سوق أهراس، عنابة، تبسة...، والميزة التي تميز الدارجة التونسية أنها في نطقهم للحروف ينطقونها بالفصحى فهم يستخدمون الفصحى في معظم كلامهم.

- وما يلاحظ على هذا الأمثال أن اللغة الفنية خرجت على لغة أخرى موازية وقد تتفاعل الدارجة مع الواقع كما نراه في المثل لتكون بديلا للغة الفنية لبساطتها وطلاوتها وعذوبتها وهي بعيدة عن التصنع ووليدة اللحظة ومما يلاحظ أيضا انه يمكن للأمثال أن تتماثل وتتجاوز وتتفاعل وتتنافر، وربما يجمعها خيط ناظم وهو الصدقية التي تعبر عن الماضي، والراهن بالمستقبل...إذن هي كونية وهذا في ما يخص اللهجة.
- أما على مستوى اللفظ: فإن الأمثال الشعبية ليست مجرد كلمات محيرة أو جمل معقدة، تقال في بعض الأوقات عن معناها، بين الأخوة والأصحاب أو الأقارب بل هي ألفاظ وعبارات ذات معان ودلالات تكشف عن كواليس مجتمع من المجتمعات من كافة النواحي والمجتمعات، فلو أمعنا النظر في المصطلحات والألفاظ المشكلة للأمثال بين منطقتي وادي سوف والجريد التونسي، نجدها ألفاظا مرتبطة بالبيئة الصحراوية القديمة، ذات الملامح والسمات الخاصة، نذكر على سبيل المثال الألفاظ التالية: دبوزر "قارورة"، البرمة "القدر" القصعة "إناء الطعام"، عزوز "العجوز"...إلخ.

وهذا يدل على انعكاس الواقع الصحراوي في شتى مجالاته من خلال الأمثال التي تطرقنا إليها في الجوانب منها الاجتماعية، السياسية التعليمية، الأخلاقية، الاقتصادية، ومن بين هذه الانعكاسات ارتباط بعض المثال المشكلة لمدونتها بالجانب الاجتماعية من جميع نواحيه، تأثير الطابع التعليمي والديني والثقافي على الأمثال وذلك من خلال الألفاظ.

- كما نرى أن اللفظة والكلمة تميل إلى عطف القلوب وإمالتها لأنها تحفز الفرد، كما تحفز الجماعة بأبعادها الجمالية وتعمل في النفوس لأنه لها جرسا موسيقيا وهي منفلتة في مواضع ومكثفة في أخرى تشتغل على جهاز البديع بما فيه من محسنات، والاختلاف بين المثلين يكمن في طريقة صياغة كل منهما باللهجة المحلية للمنطقة التي ينتمي إليها على الرغم من أن الموسيقى اللفظية لكل منهما، حيث يظهر تناغم بين ألفاظ المثل وتناسق بين جمل وتجانس وقد أتت موسيقى كلا المثلين على السجع والفاصلة والأحرف المتجانسة والكلمات.
- وبخصوص الكلمة نعلم جيدا ما تعنيه الكلمة وهي العبارة التامة في المثال، مثل أعمل كيف جارك ويقابله دير كيما جارك فكلمة اعمل في اللهجة التونسية وتسمى عندهم بالدارجة يقصد بها فعل أمر جاءت على وزن أفعل وكما أشار إليه البحث من قبل فاللهجة التونسية تعتمد على الفصحى في معظم كلامهم في لهجاتنا المحلية نقول دير بمعنى أفعل كذا.
- وما نستطيع ان نقوله عن المثل التونسي "لو تهبط بير وتطلع بير وتصرفق كيف جناح الطير إلي رايدوا ربي لا بد يصير"، إن هذا المثل تكمن قيمته أن الإنسان محكوم في الحياة على مقولة القضاء والقدر.

خلاصة الفصل:

مما تقدم نصل إلى أن في تصنيف الأمثال الشعبية مهما حاولت تحري الدقة فإني لا أستطيع الوصول إلى فصل دقيق بين مضمون بعض الأمثال، وهذا راجع لسبب تداخلها وبمعنى أصح تداخل مواضيعها.

وكثيرا ما يكون المثل متعدد المواضيع مزدوج المضمون، الأمر الذي يصعب الفصل في جزئياته، ولهذا فإن المتناول لجهدي قد يجد بعض التداخل في التصنيف الذي اعتمدته في مادة جمع الأمثال الشعبية، ولعل هذا التداخل ناجم عن حضور المثل وتداخله في الحياة اليومية للأفراد وفي ذلك وجدت أن المثل يسجل حضوره بقوة في كلا المنطقتين وبخاصة بين الطبقات الشعبية التي جعلت منه في حياتهما اليومية — إن صح لنا هذا التعبير– مما جعل ترديد المثل بحسب توافق الحالة التي يردد فيها متواصلا دون انقطاع بيد ان ذلك أي الحضور هذا للمثل في حياة هؤلاء يعني انهم متمسكون بعد بالجانب الروحي وبالأمثال المتحكمة في حياتهم كونهم ما زالوا لم يتأثروا بقوة التحولات الجديدة التي أثرت في كلا المنطقتين.

و وصلنا في الأخير إلى أن أمثال منطقتي وادي وسف والجريد التونسي تشترك في أمور وتختلف في أمور أخرى وهذا راجع لطبيعة البيئة.

بعد تصنيفنا لهذه الأمثال الشعبية التي تم جمعها من منطقتي وادي سوف والجريد التونسي نلاحظ بأنها أمثال تطرقت لمواضيع شتى وبصياغات متنوعة فلم يفت شيء إلا وصيغت حوله أمثال ففي الجانب الاجتماعية أمثال وفي الجانب الأخلاقي والسياسي والتعليمي أمثال وهلم جر من هذا القبيل.

كما أن هذه المواضيع استمدت مادتها من صلب الحياة اليومية والاجتماعية ومن كل ما أحيط بالإنسان وشد ذهنه إليه، فعمل على تشكيله في قوالب مختلفة عبرت عن ما يخطر في ذلك، فهي إذن تمثل أنموذجا عن عالم الموروث الشفوي وعينه من بين كم هائل، تعكس غنى منطقتي وادي سوف والجريد التونسي بفنون القول الشعبية، التي ما تزال بحاجة إلى أيدي أمينة تنفض الغبار عنها وتحفظها، ولتكون خير زاد يدخره السلاف في أذهان الأخلاق، وتتوارثه الأجيال وتصونه من الضياع والاندثار في عالم غيرته التحولات وأثرت عليه تداخل الثقافات.

وبالإضافة إلى ذلك إن أمثال منطقتي وادي سوف والجريد التونسي، تشترك في أمور وتختلف في أخرى، فلا نجد في أمثالهما مواطن اختلاف شاسعة بل وتكاد تكون نفسها، وذلك من حيث الشكل والمضمون معا.

وبرغم ما سجلناه من اختلافات طفيفة،تبقى هذه المثال في مجملها تمثل صورة من صور المخزون الثقافي لكلا المنطقتين.

خاتمة

وبعد ما سرنا شوطا بقدر ما نستطيع في مجال الأمثال الشعبية لمنطقتي وادي سوف والجريد التونسي وبعد تحليل تلك الأمثال، والموازنة بينها، توصلت إلى جملة من النتائج أهمها:

- أن منطقتي وادي سوف والجريد التونسي من خلال الإطار العام لمنطقتي البحث تزخران بموروث شعبي ضخم وثقافة شعبية هائلة أنتجها تعاقب حقب تاريخية مختلفة، وتراكم فترات زمنية متلاحقة، لخصت جهودا جماعية وخبرات مشتركة لذوي الفكر ومدركي فن القول.
- تمثل الأمثال الشعبية بالنسبة للمنطقتين إحدى صور التراث والمخزون الشعبي اللامادي الذي يتناقله الأخلاف عن الأسلاف.
- تختلف تسمية المثل وأحيانا صياغته ومعناه من منطقة إلى أخرى، تبعا لتأثير العوامل الجغرافية والاجتماعية الخاصة بكل منطقة.
- تعكس الأمثال الشعبية التي اعتمدتها في البحث من خلال دراسة الجوانب المختلفة صور المجتمع السوفي والمجتمع التونسي التي يمكن إيجاز القول فيها على النحو الآتي:

✓ الجانب الاجتماعي من خلال المجالات التي تطرقت إليها نستنتج أن المنطقتين تزخران بأمثال شعبية بارزة تلعب دورا فعالا وخصبا في نشر مشاعر الحب والصدق والتعاطف والحنان والود بين أفراد المجتمع .

✓ أما الجانب الأخلاقي فهناك أخلاق محمودة حسنة، تعود على صاحبها بالنفع من خلال صبره على التحمل في الوسط الذي يعيش فيه، وكذلك من خلال نصحه للناس بالالتزام بالأعمال الحسنة والابتعاد عن الشر، واكتساب المال الحلال. أما الأخلاق المنبوذة فهي التي تعود على صاحبها وعلى المجتمع بالضرر جراء الأفعال أو الأعمال السيئة كالكذب والنفاق والخيانة وغيرها.

✓ الجانب التعليمي برز من خلال اكتساب الخبرات والممارسات والعادات، بالموعظة والتحذير والتقرير وغيرها من الأساليب.

✓ وفي الجانب الاقتصادي تدعو الأمثال إلى ضرورة السعي لكسب الرزق الحلال، وتثمين العمل أيا كان نوعه مع حسن التصرف في الإنفاق والاستهلاك.

✓ وأخيرا الجانب الديني الذي يعنى بالممارسات والشعائر التي يهتم بها كل فرد ما دام مجتمعنا السوفي أو مجتمع الجريد التونسي متمسكا بدينه مؤمنا بقضاء الله وقدره والعبادات التي فرضها الله على عباده ويتحلى بالفضائل التي تعتبر فطرية عند كل فرد شعبي مسلم.

- أما العلاقة بين الأمثال الشعبية في كلا المنطقتين تتمثل من خلال ذكر أبرز العوامل التي تفسر أوجه الشبه الكثيرة واوجه الاختلاف القليلة:

أ- أوجه الشبه: القرب الجغرافي، التاريخ المشترك، المرجعية الحضارية المشتركة، التعايش الطويل بين الشعبين، العادات والتقاليد، المصير الواحد.

ب- أوجه الاختلاف: وهي قليلة جدا والتي تتمثل في الصياغة اللغوية من ناحية اللهجة واللفظ واختلاف بعض الجمل والكلمات.

- إن كان التراث الشعبي بهذه الأهمية، فإن العناية به والحرص عليه أصبح واجبا مهما وتقنينه وتمحيصه أصبح مهمة الأفراد والهيئات والمؤسسات، خاصة كما عرفنا أنه إنتاج شفوي يعتمد على الدقة والتركيز لأنه يحملنا المزيد من المسؤولية في جمعه ودقة تدوينه.
- وفي الأخير نرجو أن نوفق ونفيد ونوضح ما كان غريبا وإن لم نفلح ونصيب، نكون على الأقل قد كشفنا الستار عن موضوع المثل الشعبي، ونود بالفعل أن يكون نقطة انطلاق لأبحاث لاحقة من شأنها أن توسع أفق الدراسة والتنقيب، وما نرجوه أن يجد القارئ نصيبا يضيفه إلى رصيده الثقافي حول التراث الشعبي بوادي سوف أو مجتمع الجريد التونسي والذي يستحق كغيره المحافظة عليه وإحيائه والله الموفق.

الملاحق

أ- مدونة الأمثال الشعبية السوفية

ب- مدونة أمثال الجريد التونسي

ج- الصور

أولا: الأمثال الشعبية في منطقة واد سوف على مستوى الجوانب والمجالات

I- الجانب الاجتماعي

1- مجال الحب

- الحب يطيح على عود يابس.
- الحب أعمى.
- الحجرة من عند الحبيب تفاحة
- كل شيء بالسيف غير المحبة
- الحب الأول ما يتحول
- الحب من الشوارب والقلب هارب
- إذا حبك القمر النجوم تشطحلك

2- مجال الزواج

- ازواج ليلة دبارتوا عام
- خوذ بنت الناس إذا مالقيت لهنا تلقى لخلاص
- وين بنت عمي نلقى همي
- شوف لمرا وأخطب بنتها
- العريس يعرس والميشومة تتهرس
- الخطابة عشرين والمكتوب واحد
- المحبة فرايس لو كان على عود يابس
- كل شيء بالسيف غير الحب بالكيف
- "المغصوبة ما تركح ومولاها ما يربح"
- الفرح ليلة والشقا طول الدهر
- ما تحسبش الزوج فرح وتفاح راه بكا ونواح
- ما تشوف زين الطفلة حتى تشوف الفعايل
- قص اللحم على المفصل وادي بنت الأصل
- خوذ طريق العافية ولو بعدت وخوذ بنت العم ولو بارت
- بنت عمك كي لعسل في فمك

3- مجال الرجل

- رجال تتلاقى والجبال ماتتلاقاش
- الرجل وقت الشدة يبان
- الرجل عند كلمته

- الرجل يربطه لسانه
- الرجل رجال ولو خصهم المال
- الرجل وين ديره يندار
- الرجل بلا مال ما يسواش كي الدلو لمقعور يهبط ويطلع بلاش
- الراجل عيبه جيبه
- الرجلة ماهي بالكذب ولمين وماهي بالعظم الخشين
- الرجال تعرفها في الحزة
- والرجالة كي تتحزم
- دار الرجال مبنية ودار النساء مخلية

4- مجال المرأة

- المرأة بعايد والكنز أرض وحدايد
- المرا قبرها راجل
- النساء نساء واللي يتبع رأي النساء نساء
- النساء ياسر والقربة يابسة
- النسيبة ذيبة
- البايرة قالت الرجال عميوا
- البايرة قالت بي سحر
- البايرة قالت سعدي منحوس
- لا في الشتاء دفا ولا عند النساء وفاء
- تفكري يامرا من تسالي

II- الجانب الأخلاقي

5- مجال الصبر

- اصبر يا صابر تنال الخير
- اللي يصبر ينال الخير
- اصبر على جار السوء يارجلينصاب
- اصبر على رزقك يجيك
- الصبر مفتاح الجنة
- أكل عام بالبصل تاكل عشرة بالعسل
- صبري على روحي ولا صبر الناس عليا
- ارقد على الشوك عريان حتى يطلع نهارك

- طول ابل يهدم الجبال
- مكانش اللي بنا قصر في عام
- صام صام وفطر على جرادة
- ما دام واد على مجراه
- اقنع بالشلاكة حتى ايجيكالصباط
- اللي شاهي العسل يصبر على قرصان النحل

6- مجال العرفان بالجميل ونكرانه

- احسبني وكل سهمي
- كلا الضواقة وكسر الماعون
- إنا باللحمة لفمه وهو بالمشهاب لعيني
- يحفروله في قبر أمه وهو هارب بالفاس
- أعطيه كسرة يطلب عشرة
- بعد ما شبع قال مالح
- علمناهم في الوضوء، سبقونا للجامع
- منين كان يفتل ويكسكس، كانت الناس عليه تحوم
- شاف الجديد لاح البالي
- شاف قمح الناس بزع شعيره
- كي كان حي، مشتاق تمره، وكي مات علقوله عرجون
- ياكلوا الغلة ويسبوا الملة
- أطعم الكرش تستحي العين
- الطير الحر يشكر مباته.
- الرزق اللي تتعشى فيه ليلة، ما توده بخسارة
- اللي تكبر بيه لا تكبر عليه
- لا تأكل خوك ولا تعقب عليه جيعان.

7- مجال حب الإنسان للمال:

- إذا شبعت الكرش تقول للراس غني
- إذا تعاركوا الطواحين خاف على دقيقك
- تفكري يا مرا من تسالي
- إذا غلت البرمة لمن يعطي مغرفة
- إذا عطفت إحلب

- جاء من تالي وقال يا مالي
- الجهد يعلم النطح
- شاقي ولا محتاج
- شبع في العام ركيزة
- العين لتشوف منين تاكل
- واش تاكل يا جدي من نوار
- مد رجلك على قد فراشك

8- مجال الأخلاق

الأخلاق المحمودة

- الدنيا بالوجوه والآخرة بالفعايل
- الراي خير من لفتان
- اللي ما ينفه يدفع.
- البل تمشي على أكبارها
- اللي لفظ كلمة يتم عملها
- البيت لمغلق أماليها يباتوا يرفسوا
- بات على غيض ولا تبات على ندم
- الراي خير من لفتان

ج-الأخلاق المنبوذة:

- يموت الصيد وما تنساش زهرته
- ادي وجيب وشارك الناس في أموالهم
- البقرة إذا غرقت تكثر سكاكينها
- بات ليلة مع الجيران صبح يقرقر.
- إذا كان الغراب خبيرك يكون الشط مقيلك
- زوى في البيضة
- سارق البيضة يسرق حتى الجمل
- السارق يغمزوه مرافقه

III- الجانب التعليمي

5- مجال السن، التجربة والخبرة

- عينك ميزانك
- دير اللي يصلح بيك

- اللي فاتك بليلة فاتك بحيلة
- خوذ راي الكبير تسلك على خير
- اللي غاب كبيره غاب دبيره
- ما يحس بالجمرة غير اللي عافس عليها

6- مجال النصيحة، الموعظة والتحذير

- ما تدير يديك في الغار ما تلدغك عقرب
- دير اللي عليك والباقي على ربي
- دير الخير ما تخيبش بيك
- الباب اللي يجيك منه الريح سده واستريح

7- مجال حظ الإنسان

ج-الإنسان ذو الحظ

أصحاب السعد تحطبلهم الريح

- أهل لعقول في راحة
- الزين بعد هذا نقول نكفر
- طيور البحر ما توالف البير
- المغرف تعرف لمن تغرف
- اليد الطويلة تلحق العرجون

د- الإنسان معدوم الحظ:

- اتبشم قبل العيد بليلة
- جعان طاح في تشيشة
- أم الذليل لا تفرح ولا تحزن
- بعد ما شاب عملوله حجاب
- بعد ما تخذ عملولهمكحلة
- ربي كيف يعذب النملة يعمللها جنحين
- الربح للركبة والخسارة للضبوط
- الحمام لمكسر ينزل على البرج الخالي
- عمشي في دار العميان تسمى كحلة لنظار
- العرس دام والعمياء تكحل في عينها
- ليلة عرسه غابت القمر
- عام عرس ليتيمه غاب العطار من المدينة

- كيف الزير المتكي لا يضحك لا يبكي
- كيف القرعى تفخر بسوالف خالتها
- كل مهمومة شادة احزامها
- اللي في جرته الريح ما يرتاح
- لاحوه بنات عمه لقوه السابيات
- لا من فاطن بيك يا مكحلة في الظلمة
- ليلك طويل يازغراتان
- إلى ما خضت ولا زبدت اتقول الربيع ما زال
- اللي ضاري يمشي بالحفا ينسى صباطه
- ما يجي عمي إلا يشبع الهم مني
- من ظنيت ما كليت عبار وافي ولا شربت ما صافي

8- المجال السياسي:

- جا كراي صبح من موالي الدار
- جاي يتسكن عاد يتمكن
- الداب راكب على مولاه
- ركبوني وحدثوني وسوقوبيا لن نطيح.
- أدهن السير يسير
- إذا حبك القمر النجوم تباعا
- اللي ضاق البنة ما عاد يتهنى
- بلاش ما يحلاش
- كلب نبح لا عض ولا جرح
- اضربني وبكى وسبقني وشكى.
- غيب ياقط ألعب يا فار
- أخطاني يا قط وانشاء الله نتخبط
- أعطيني مالك وألا نسود حالك
- راس الفرطاس اقرب لربي
- يروح المجرم في جرة المحرم
- الظلم ما يموت سالم
- الله يهلك الظالم بالظالم

IV- الجانب الديني

القضاء والقدر:

- كل شيء بالمكتوب
- المكتوبة في الجبين لا تشوفه العين
- إلي ماهيش الكاتبة من الفم تطيح" ويقال لمن قام بعمل ما ولم يصل إلى النتيجة لسبب ما.
- تسبب يا عبدي وأنا نعينك
- الموت كي تجي ما تشاورش
- الموت موت وحدة والأسباب مختلفة
- ناكلو في القوت ونستنوا في الموت
- الموت غطاء من ذهب.
- كل حي قسمته معاه
- الصبر للعبد جبر
- اللي خلق ما افرط
- اللي عطاه ربي ماينحلاش العيد
- إللي في عمره مدة ما تقتله شدة
- الكاتبة تجيك ولا تروحلها
- كل شيء يجي صغير ويكبر غير الموت تجي كبيرة وتصغر
- سلاح المؤمن نسيان الهموم.
- فارح وحزين إلى يوم الدين

V- الجانب الاقتصادي

4- العمل:

- اخدم يا صغري لكبري واخدم يا كبري لقبري
- الشغل لمليح يطول
- اخدم على روحك تعجب الناس
- اللي عينو يفلس يبني ولا يعرس
- اخدم يا الشاقي للباقي
- اخدم باطل ولا تقعد عاطل
- تعلم صنعة وخليها
- يفنى مال الجدين وتبقى صنعة اليدين
- اللي زرع حصد واللي حصد درس

- اللي تخدمو طيعو
- اضرب ذراعك تأكل لمسقي

الزراعة:

- الحرث بالدوام والصابة بالأعوام
- الصابة بكري ولا روح تكري
- الشتا ظلمة والربيع منام، الصيف صيف والخريف هو العام
- الجرح اللي مايجينيش في الصيف واش نعمل به
- حصل يالفاس في الراس خلي الخماس يشقى
- الشركة هلكة

التجارة:

- شاري الحوت في البحر
- إذا دخلت التجارة طول بالك، وإذا دخلت سوق النسا رد بالك
- اشتري كأنك بايع
- يا شاري كيفاه تبيع
- اشريه واشري لو
- اشري ما شافت عينك
- الشركة هلكة
- الشركة شركة ولو كان في طريق مكة
- شريك في الربح، بعيد على الخسارة

ثانيا الأمثال الشعبية في منطقة الجريد التونسي على مستوى الجوانب والمجالات

I- الجانب الاجتماعي:

5- مجال الحب:

- عيني وقلبي تشاركوا في محوني
- حدثني على ما نحب حتى بالكذب
- ضيعت قلب، وما فاد حبي.
- اللي حبك حبه ما تفرطش فيه، واللي بيعك بيعه ما تسألشي عليه.
- القليل من الحبيب كثير.
- إلى يحب البحر، يشرب ماه.
- لو كان تحبيني، راكي رديتني.

6- مجال الزواج:

- اللي يشترط ويختار يقعد في الشماتة والعار
- شرط العازب عالجهالة ولي صبيت وتأخذك على شرط واحد
- لا تأخذ مطلق ولا تسكن معلق.
- لفعة في الغاره ولا طفلة في الدار
- بو البنات ما يبات هاني
- البنت إذا كبرت ما ليلها إلا ذكر ولا قبر
- الربيع ربع واللبن قراص واللي عندو طفلة يعطيها لتراس
- إذا وجعتك زرصتك نحيها وإذا كبرت بنتك أعطيها
- تزوج ابن عمي فرحت أنا قلت الكل عمارة بيت واللي خذا الصبع خذ اليد بكلها.
- الطهور خبيه والعرس وريه
- العازب خو الشيطان
- ما يقعد وحدوا كان البوم ولاالوجه المشوم.
- إن شاء الله نعرس ونأخذ مدرس
- حضرت الما والحطب والراجل ما خطب ومشات ترحم جات تتوحم
- ما نصدق إلا ما نعنق.
- جاب الحطب قبل ما خطب
- يقوي سعدك قال لو تواتوا
- العروس سبعة أيام أمير وسبعة أيام وزير وبقية عمرو أسير
- شهر عسل والباقي بصل.

- المرا كيف العلقة تشد ما تسيب
- جيت نعرس نتهنى نلقى العازب في جنة
- اللي شرى غنم ما ندم واللي خذا مرا ماذا يرى.
- خوذ بنت الأصول لا بد الزمان يطول
- خوذ لصيلة ولو على حصيرة
- اللي وجهها يفجعها مال بوها ينفعها

7- مجال الرجل:

- بيت الرجال أفضل من بيت المال
- أكل الرجل على الرجال دين وأكل الرجال على الأنذال صدقة
- راجل في السوق، ولا مال في الصندوق
- الراجل كي يكون فحمة في الدار رحمة
- المال فداء الرجال
- الرجال تعرف الرجال والخيل تعرف فرسانها،
- الرجال تتقابل والجبال ما تتقابلش
- ولاد الهجاجل قليل منهم، اللي جي راجل،
- الله يرحمك يا راجل أمي الأول
- الخيل إذا تلجمت والرجال إذا تحزمت

8- مجال المرأة:

- المرا مراقة مرزاقة
- المرا كالتمرة امسحها وكولها
- المرا تضربها إلا ما تكتفها
- النسا والزمان ما فيهمش لمان
- المرا راحتها في لسانها
- المرا بلا حزام كي المهراس بلا رزام
- إلي ياخذ في المرا خنتورة يعدي عمرو كل يوم عراس وإلى ياخذ في المرا دورة يندب وإعاونه الناس
- خوف المرا من شيب كي خوف النعجة من الذيب.

II- الجانب الأخلاقي:

5- مجال حب الإنسان للمال:

- ما حبيبك كان حبيبك
- المال يورث الهبال

- كان عندك درهم في جيبك الكل يولي حبيبك
- درهم في الصره خير من عشرة على برة
- حط الفلوس في فم المدفع يسكت
- الفلوس تحي النفوس، وتطهر المنجوس، وترد الشايب عروس

6- مجال العرفان بالجميل ونكرانه

- اللي يحبك حبو ما تفطرشي فيه
- اللي باعك بيعو ما تسألش عليه واللي باعك بالفول بيعو بالقشور، واللي يهرب منك ما تجري وراه.
- من محبتو فيه نسى أسمو واللي سماك أغناك
- من نهار اللي، دفنوه ما زاروه
- لا نحبك لا نصبر عليك.
- كلا الوجبة وهرب بالماعون
- إلا أصله خسيس، يعيش طول عمره نزيس
- الميت ما يقوم والصاحب ما يدوم وقليل الأصل ما عليه لوم
- الجرح يبرى وتبرى عليه الضميدة.
- ابعثي دينارك واقعدي في دارك

7- مجال الصبر:

- صبري على نفسي ولا صبر الناس عليا
- صبرت، صبرت حتى سموها الصابرة
- الصبر مر، ولكنه عواقبه حلوا
- يا صابر كون صبوري وأصبر على ما جرالك، وأرقد على الشوك عريان حتى يطلع نهارك
- الأيام تمرض وتبري، والصبر دواها

8- مجال الأخلاق:

ت- المحمودة:

- الأب خير من الذهب
- أعطيني لسانك وما حاجتيش بإحسانك
- بيني وبينك أذبحني وقدام الناس لا تفضحني
- القلب الحليب عمرو ما يشيب

ث- غير المحمودة:

- الدنيا قش واللي يتنفخ يتنفس
- أمك بصل وبوك ثوم منين ليك الريحة الطيبة يا مشوم

- تسب ولا انسب
- ذيل الكلب حطوه 20 عام في قصبة، وكي خرج ما زال معوج

III- الجانب التعليمي

مجال السن:

- بعدما شاب أدوه للكتاب
- الشيب والعيب
- كبرنا والرجوع لربي

مجال التجربة والخبرة:

- اسأل مجرب وما تسألش طبيب
- طول العشرة يعلمك الذهب من القشرة
- صاحب كب وما تصاحبش مخازني

مجال النصيحة:

- كان كلام كبار جاء شوك، راو الناس تمشي عليه
- إلى يحبك يبكيك وإلى يكرهك يضحك عليك
- ما تدخل يدك في المغاغر ما تلدغك العقارب
- لا تدخل سوق بلا مال ولا تدخل عركة بلا رجال ولا تاقف على بير بلا حبال
- إلى ما يسمع كلام كبير الهم تدبيرو

مجال الموعظة والتحذير:

- يا ظالم لك يوم
- أعمل في الدنيا تخلص في الدنيا

مجال حظ الإنسان:

- الوجه المشوم والكرية المشومة والراي المشوم والرجل المغبون والمرأة المغبونة.
- إذا جات تجيبها سبيبة وإذا مشات تقطع السلاسل
- اللي عندو السعد حتى الريح يحطب لو اللي سعدو كبير حتى الريح يقشقش
- عندو زهر يكسر الحجر
- سعدك يا لطرش قصولو يد وجات مليحة للطنبور
- لوكان فيك السعد يا ام سعيد ما يموتش نهار العيد
- وإذا كان النعش مكسر والحمال أعور يكون الميت من أهل جهنم
- وجا يخدم شواشي تولدو والناس بلا روس ووقت اللي حاجتي بيك يا وجهي خبشوك القطاطس
- وأكحل وفحام واسمو سخط الله وهرب من القطر جا تحت الميزاب

- والحنا حرشا والحنانة عمشا والعروسة طرشا وراسي على الهم كرادغ وهز ساق تغرق لخرى
- اللي برجو بالدلو قاعو ديما مبلول
- اللي برجو بالسحاق ما يعدي عمرو كان بين الكوانن
- نواصي وعنتب والبعض من الذرية والدار على عتبتها والطفلة على عمتها والليلة السعيدة من مغربها تبان.
- اللي يعرف الوبا ويجيها ويموت فيها ما يموت شهيد.
- عرس بالدين وقول العروسة عرقوبها شين أو خوذ مرا بالدين وقول عرقوبها شين.
- خذو فالكم من صغاركم
- أقعد وحدك يجيك النوم
- تكثر العمومة في السنين المشومة
- العام المشوم يتعدى واراي المشوم ما يتعداش.
- اللي يخالط المسعدين يسعد.
- اللي يخونها ذراعها تقول مسحورة
- يدو تحمد الما
- اللي ما عندو شيخ شيخو الشيطان.
- المكتوب على الجبين لا تبدلوا لا أوليا لا صالحين

IV- الجانب الديني:

- المربي من عند ربي
- العاطي ربي وأنت عليك بالحركة وربي عليه بالبركة
- لله يهدي ما خلق
- كل واحد وفعلوا واللي يعمل يلقى

- الفرائض:

- يصلي ويسبح ويخطف سنين الكلب وهو ينبح أو فمو يسبح ويدو تذبح
- كيف السردوك يذن وما يصليش.
- صام نهار من رمضان قال العيد آش ما زالوا؟
- لا حال يدوم رمضان البارح والعيد اليوم
- ما أبعد مكة على بوحمار
- اللي حج حج واللي عوق عوق
- عم الحاج حج وأمارة الحج عليه أما الغمزة باقية فيه
- الحاج موسى هو موسى الحاج
- حج وزمزم ورجع للبلا متحزم

- يا سعد من حج وتاب وحط ولدو في الكتاب
- إياك من الحجاج والعجاج والبحر إذا هاج.
- اللي توعدو بالصدقة على باب دارك يبقى وما تحل الصدقة إلا ما يشبعوا مالي الدار.

الخير والشر:

- اللي يعمل يلقى وكل واحد وفعلوا
- قال أطعم الفم تستحي العين وسبق الخير تلقى الخير
- أعمل الخير في أهلو وفي غير أهلو حتى تلقى أهلو
- ما يعطي خيرو لغيرو كان المهبول ومهبول من يعطي خيرو لغيرو
- فاعل الخير ما يندمش وزيادة الخير ما فيها ندامة واعمل الخير وأنساه
- اللي يعمل الخير ما يشاورش
- سعدك يا فاعل الخير.
- الله يسمعنا على بعضنا الخير.
- اللي تكثر صنايعو يموت بالشر.
- حدك المسقي اما المسفوف يغصص
- الفم لبخر ليه كان السواك الحار
- قول ما تحب تسمع ما تكره

الإيمان:

- قاتل الروح وين تروح؟
- ربي من فوق يخلص الحقوق
- اللي يبزق على السماء يرجع على وجهو.
- جيت نعرس نتهنى نلقى العازب في جنة
- مولى السبسي في الجنة وملى النفة بحذاه
- النعش مكسر والحمال اعور يكون الميت من أهل جهنم
- اللي يدق على باب جهنم يدق بحلقة ذهب
- الصغار يجب لهم مال كافر وصحة حافر
- ما يكوي بالنار كان العزيز الجبار.
- حرام عليكم حلال علينا
- قوم بالفرض وأنقب لرض
- أرم روحك في البير وقول الملايكة دزني أو خوذ مرا بالدين وقول عرقوبها شين

القضاء والقدر:

- الناس بالناس والناس بالله
- ما يعرف ربي إلا ليلة الرعد.
- خاف ربي وخاف من اللي ما يخافش ربي واللي يبزق على السما يرجع على وجهو وختمو ربي يكبرنا في طاعتو.
- يريد أن تتبدل. قال كل قوة للضعف ترجع وكل من سمن يهزل وكل من طار ينزل و
- الدنيا قش واللي يتنتفخ يتفش
- القمح يدور يدور ويرجع لقلب الرحى وكيف الفرطوط يطير يطير ويجي في النار
- الدنيا دالة بدالة واللازم لازم
- اللي ما يكتب يصعب ومكتوب حد ما ياخذو حد
- الخطاب أربعين والمكتوب واحد هذا المكتوب
- مكتوب في السما الحما ما تحب الكنة والكنة ما تحب الحما
- مسير موش مخير
- إذا رادلك ربي بالشفا يعرضك الطبيب في الثنية
- رزق حد ما يفكو حد
- اللي ليك ليك واللي خاطيك خاطيك
- ما تأكل إلا ما يكتب لك وما تكسب إلا ما يعطيك وإذا عطاك العاطي لا تشاطي لا تباطي
- العاطي ربي والقسم على ربي يقدر
- اللي في جرتو لرياح مما يرتاح واللي في وقتو ما يتلام
- حال القضا حال الصبر ووقفت الزنقة للهارب والحال حال الله.
- فتحوا أفامهم للذبان وقالوا قضاء الرحمان
- ارم روحك في البير وقول الملايكة دزتني
- حط كوزك في الحدرة وقول كبو ربي وآش لزو حتى الواد يهزو
- اللي يعرف دار الوبا ويجيها ويموت فيها مايموت شهيد
- اللي غاب غاب سهمو
- مكتوب حد ما ياخذو حد.
- شوية م الحنا وشوية من رطابة ليدين والبير غارق والحبل قصير والثنية طويلة والبغل هرقال
- شي من الله وشي من عبد الله
- ساعة القضاء ليلها غفلة
- يجيك البلا يا غافل.

- حال القضا حال الصبر
- الصابر ينال وصبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك
- الجمل صبوري
- لحمة المزعوم ما تطيبش
- لو يكبر سعدك قال لو توا توا
- صام نهار من رمضان قال العيد آش ما زالوا
- هبيل بن هبيل من يحسب الصابة وهي قصيل
- المليح يبطا و الفرح درجة درجة وان اللي يستنى خير م اللي يتمنى
- عيش بالمنى يا كمون غدوة الحي نسقيك واستناني يا علي بعشاك ودوحي يا مباركة بحمد
- ثالث هانة اللي يقول استنى حتى انجيك أنا.
- رضينا بالهم والهم ما رضاش بينا
- تبديل السروج فيه راحة
- بدل هندية بتفاحة
- الله لا يغير لنا حال
- دوام الحال من المحال
- شد مشومك لا يجيك ما أشوم
- ميات خطوة ولا تنقيزة
- اللي يبدل لحية بلحية يشتاقهم لثنين
- كيف مشموم الزاني لا يطيح لا يذبال.

V- الجانب الاقتصادي:

5- مجال العمل:

- يوفى مال الجدين وتبقى صنعة ليدين
- إخدم بقفيز وحاسب البطال
- اخدم باطل ولا تجلس عاطل
- اخدم تتقدم، أقعد تندم
- اخدم على روحك تعبي لوحك
- أعمل حتى تكل ولا تحط روحك للذل
- شاقي ولا مرتاح

6- مجال الادخار:

- المخباشي لدهرو، العصا لظهرو.
- أيام الشتا جات اللي ما غزلت عريانه باتت
- اللي يصرف وما يحسب يفلس وما يدري

7- مجال القناعة:

- نلحس مسني ونبات متهني
- كراع دجاجة تقضي الحاجة
- قرد موالف ولا غزال شارد
- دينار في العتبة، ولا عشرة في قطعان الرقبة
- : ويضرب هذا المثل للاكتفاء ولو بالقليل، ويقابله المثل القناعة شبعة.
- نخالتي ولا قمح جارتي
- عظمة اليوم خير من دجاجة غدوة

8- مجال الحكمة:

- البناي يبني، ومولى الدار يعرف وين يحط الباب
- إلى سروالوا حلفاء ما يقربش النار
- إذا غابو كبارنا، غاب دبارنا
- كول ووكل، وأعقل وإتوكل
- بات بلا عشاء وأصبح بلا دين

الملاحق

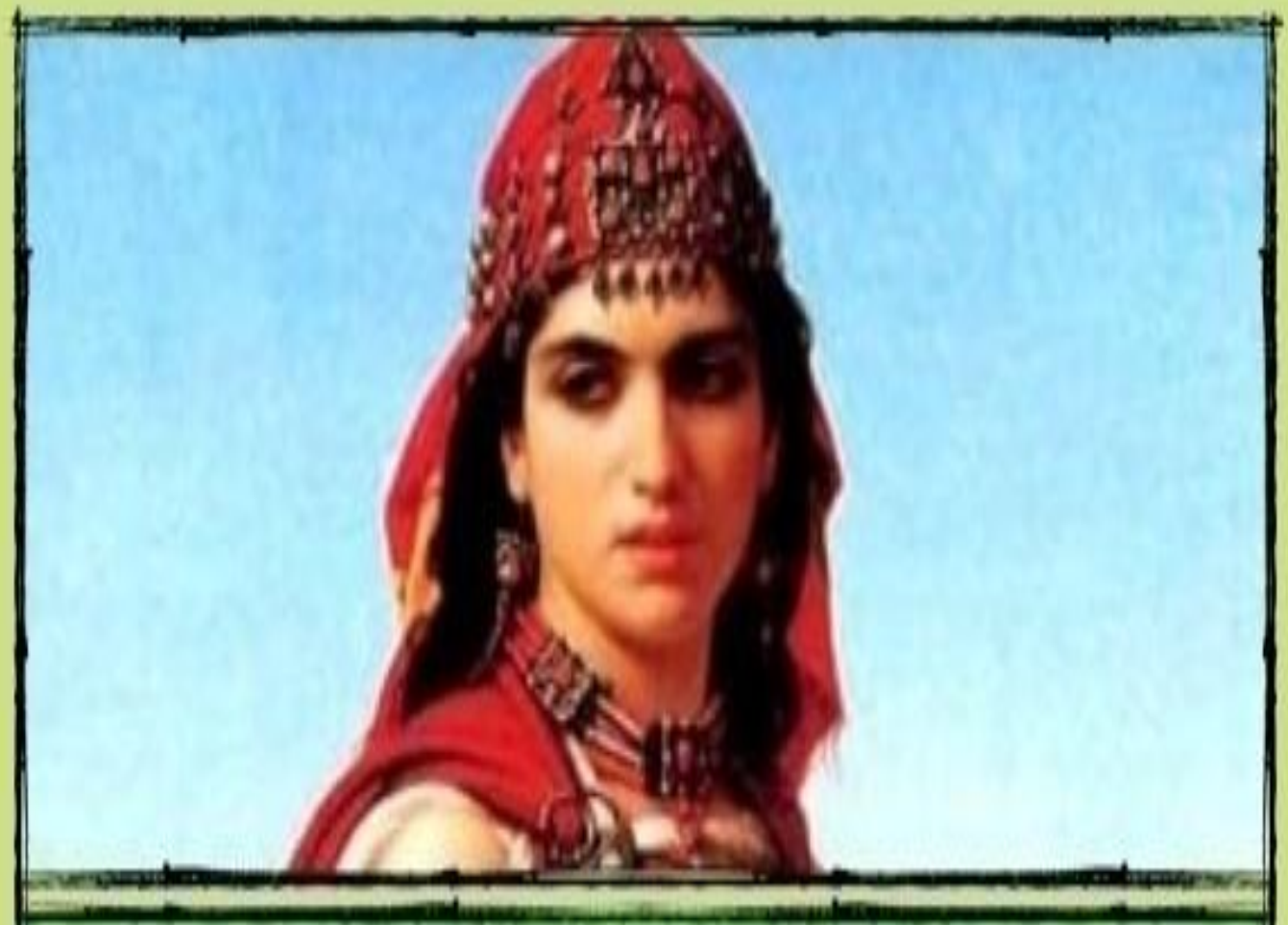

إلي ياخذ في النساء خنتورة

يعدي عمرو كل يوم عراس

وإلي ياخذ في النساء جادورة

يندب و إعاونه الناس

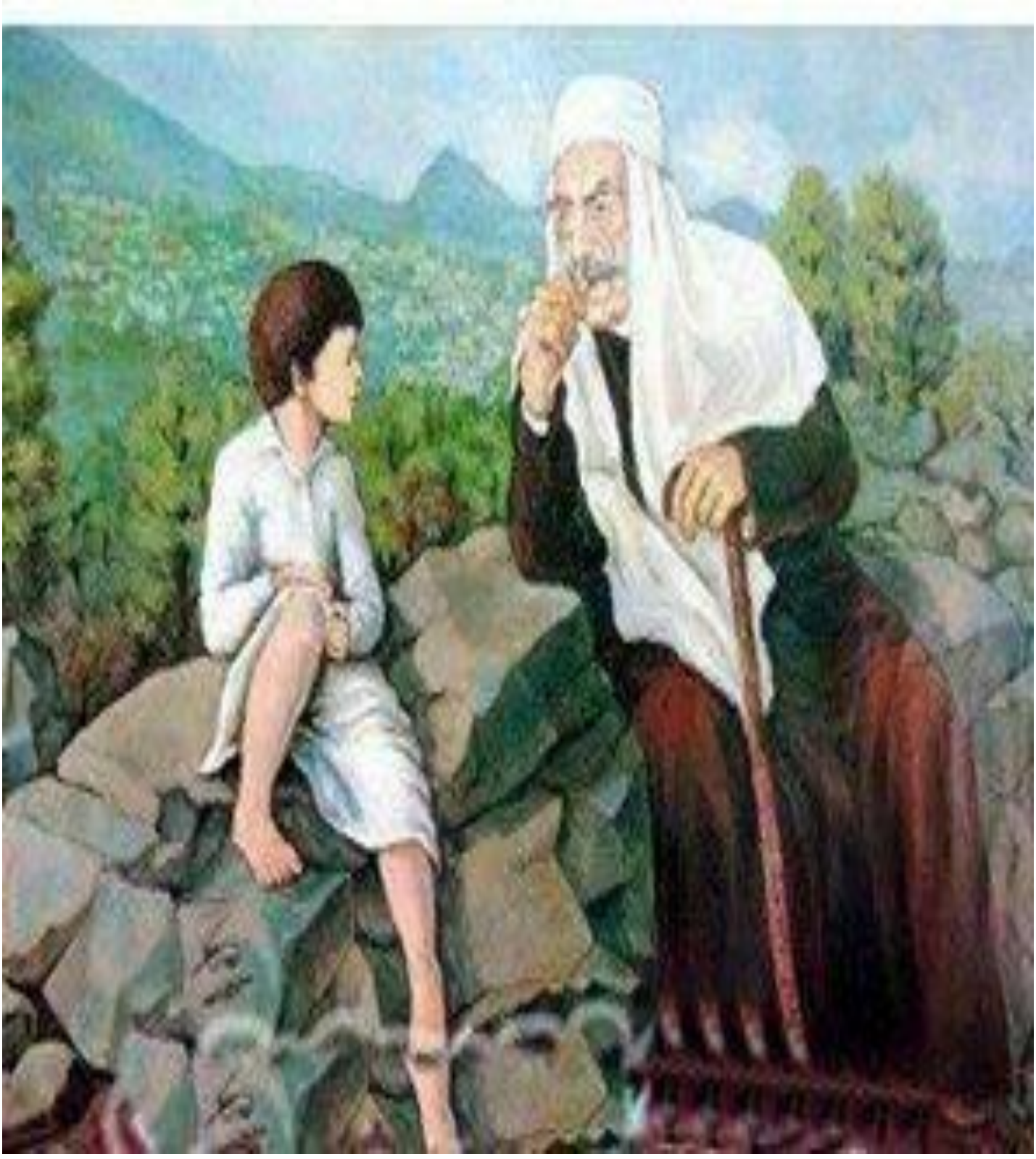

﴿يوفى مال الجدين تبقى صنعة اليدين﴾

قالوا زمان
اللّي بغا يتزوج
يشوف الدار اللى فيها المسبوعة
باش منّي يتزوج
الناس تبقى منو مخلوعة

ناس بكري قالوا
الدّنيا قَشْ في قَشْ
و الّي يِتْنفخْ يِتْقشْ
Fatakat.com

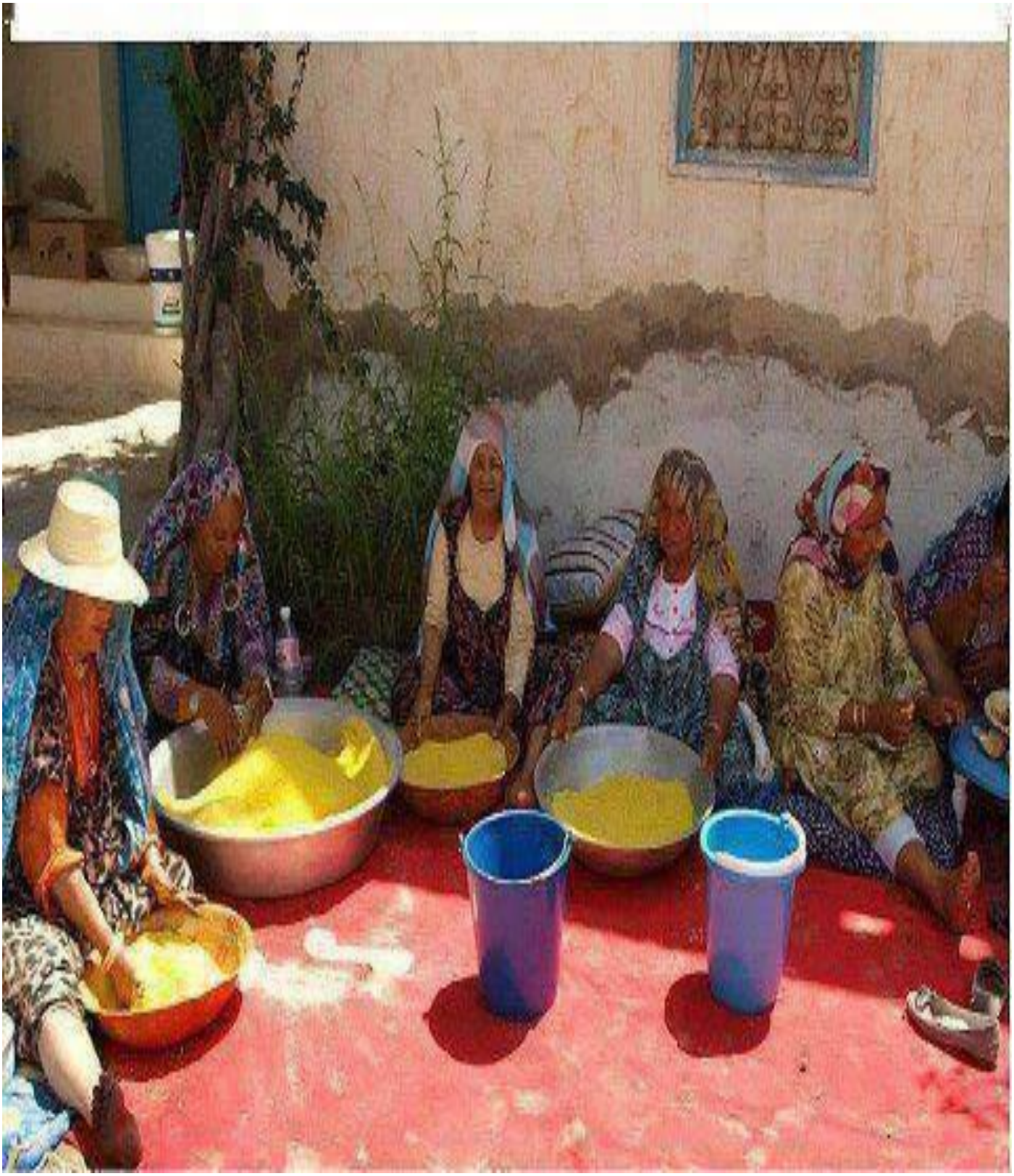

﴿المرا بلا حزام كي المهراس بلا رزام﴾

إلي إحبك إسقطلّك
و إلي يكرهك إلقطلّك

ناس بكري قالوا

فُمّي مغلوق

و قلبي صندوق

و ربّي من فوق

يخلّص الحقوق

﴿الميت ما يقوم والصاحب ما يدوم وقليل

الأصل ما عليه لوم﴾

قائمة

المصادر

المراجع

قائمة المصادر

1. القرآن الكريم

قائمة المراجع باللغة العربية

1. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ط) (د.ت)
2. أ.د. حسان الجيلاني، قصة العودة "مذكرات عائد من الرديف تونس إلى وادي سوف الجزائر في طائفة الاستقلال" الجزء الأول، دار هومة للنشر والتوزيع- الجزائر، 2011.
3. إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء و سوف، تعليق الجيلاني العوامر، الدار التونسية للنشر تونس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجرائر، 1977.
4. إبراهيم مياسي " من تاريخ سوف مدينة الألف قبة وقبة" في مجلة الثقافة، الجزائر، سنة 1996، العدد 113.
5. ابن القيم الجوزيه، الأمثال في القرآن الكريم، تج: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان،ط2 1983.
6. ابن سالم عبد القادر، الأدب الشعبي بمنطقة بشار، منشورات التبيين الجاحظية، سلسلة الدراسات، الجزائر 1999.
7. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتاب الحديث، بيروت، لبنان،ط1، (دت)ج1.
8. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2003، مادة: ورث.
9. ابن منظور، لسان العرب، (دط، بيروت، دار اللسان العربي، دت) مادة مثل 133/14.
10. ابن منظور، لسان العرب، الدار المصرية، القاهرة، مصر، (د ت) (د ط)،ج15، (باب الحكم).
11. ابن منظور،لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (دط)،(دت)، مج5، مادة (لغز).
12. أبو الفتوح عين التحليل المقارن للأمثال الشعبية في اللغتين العربية والروسية، جامعة الملك سعود الرياض 1995.
13. أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، سنة 1998، ج2، 1500-1830.
14. أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1998، ج6 1830-1954.
15. أبو حامد العزالي، الأخلاق في الإسلام دار إحياء التراث بيروت، لبنان (د ت) (د ط).
16. أبو طالب المفضل بن سلمي بن عاصم، الفاخر في الأمثال العربية، شرح عبد الرحمان بن النوري بن حسن، (ط1، تونس، مطبعة النهضة 1934) مقدمة الكتاب.

17. أبو عبدالله محمد بن احمد بن هشام اللخمي الأندلسي، المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان، تح: مأمون بن محي الدين الجنان (دط، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1995م)
18. أبي الحسن بن رشيق، القيرواني، الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، سنة 1981م، ج1
19. أبي طالب المفضل بن سلمي بن عاصم، الفاخر في الأمثال العربية، شرح عبد الرحمان بن النوري بن حسن، (ط1، تونس، مطبعة النهضة 1934) مقدمة الكتاب.
20. أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (دط، بيروت، دار الجيل، دت)
21. احمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999،ط1ن ج2.
22. أحمد بن الطاهر المنصوري، الدر المرصوف في تاريخ سوف،دار الهدى، ج1.
23. أحمد بن عمارة، العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية.
24. أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1 2006، ج1.
25. أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة وادي سوف، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1 2010، ج3.
26. أحمد زغب، مبادئ الأنثروبولوجيا (علم الانسان)، مطبعة سخري، ط1، سنة2012.
27. أحمد عثمان الأدب الإغريقي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1986، ط2.
28. أحمد محمد الشيخ، كتب الألغاز والأحاجي اللغوية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ليبيا،ط2، سنة 1988.
29. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله بندريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي من علماء القرن السادس الهجري): نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1466هـ/2006م، م1/ص277. صالح باجية: الإباضية بالجريد ص9.
30. أديب أبي ضاهر، عادات الشعوب وتقاليدها، دار الكاتب العربي، دار الشواف للنشر، ط1، 1993.
31. الإمام جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وانواعها، ضبط: محمد احمد جاد الموني، عبد محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم (دط، بيروت، دار الجيل، دت)
32. أيمن البلدي، في الشعرية والشاعرية،ج1، 2003.
33. بدير حلمي، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2002.
34. بسام العسلي، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر دار النفائس بيروت، ط1، 1982.
35. بن سالم بن الطيب بالهادف، سوف تاريخ و ثقافة، (دط)، (دت).

36. بن علي محمد الصالح، 500 مثل وحكمة شعبية من وادي سوف، (ط1، 1998م).
37. تاديوش ليفتسكي: دراسات عن الإباضية.
38. التلي بن الشيخ، دور الشعر الجزائر في الثورة من 1980 إلى 1945، مخطوط 1977.
39. ثريا التيجاني، دراسة اجتماعية لغويا للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري- وادي سوف إنموذجا- دار هومه، الجزائر.
40. جلاوجي عز الدين، الأمثال الشعبي الجزائرية بسطيف، مديرية الثقافة بسطيف.
41. جمال طاهر و داليا جمال طاهر، موسوعة الأمثال الشعبية، دراسة علمية.
42. الجيوش سلمى الخضراء، موسوعة الدب الفلسطيني المعاصر،ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1997.
43. الحبيب إبراهيم، العقلية التونسية من خلال الأمثال الشعبية، هيليا باك للطباعة والنشر، قصر الهلال ط1، أفريل 2010، تونس.
44. حداد يوسف، المجتمع والتراث في فلسطين، قرية البصة، ط1، دار الأسوار، عكا، مؤسسة الثقافة الفلسطينية، 1985.
45. الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق:د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 2003 ج4.
46. خورشيد، فاروق، السيرة الشعبية العربية، المكتبة الثقافية، مصر، 1988.
47. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت 2002، ج4.
48. د.أبو القاسم سعد الله،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،دار الغرب الإسلامي،ط2، بيروت1990،ج2.
49. الدكتور عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، (دط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
50. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة د.منير السعداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، مارس 2007.
51. رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، (د،ط)، (د، ت).
52. الراغب الأصفهاني،معجم مفردات ألفا القرآن الكريم،دار الكتاب العلمية، بيروت،لبنان2004 (دط).
53. رشوان، حسين عبد الحميد، الفلكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1993.
54. روبرت أ. جورج آلان دندس، نحو تعريف بنيوي للغزن ترجمة دعاء مصطفى كاملن مجلة الفنون الشعبية، العدد 77/76 اكتوبر-مارس 2008/2007.
55. الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر، 1888 (دط) مج8.
56. الزبيدي، السيد، محمد مرتضى، تاج العروس،م1، دار صادر، بيروت،ط1، 1885.

57. زودلف زلهيم، الأمثال العربية القديمة، تح: رمضان عبد التواب، (ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984م).
58. الساريسي، عمر عبد الرحمان، كلمات في المأثورات الشعبية، عمان، 1982.
59. الساعاتي حسن، حكمة لبنان، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.
60. سالم علوي، أصالة الشعر الشعبي، اعمال المهرجان الوطني الثاني للشعر الشعبي والأغنية البدوية، الأغواط، من 17 إلى 21 نوفمبر 1999.
61. السجل الذهبي لشهداء ولاية الوادي 1962/1954م، مديرية المجاهدين لولاية الوادي، سنة 2005م.
62. سرحان، نمر، إحياء التراث الشعبي، دار فيلاديلفيا، عمان، (د.ت).
63. سعدون محمد الساموك،هدى علي جواد الشمري مناهج اللغة العربية وطرق تحريسها،دار وائل للنشرعمان، الأردن، 2005، ط1.
64. سلام رفعت، بحثا عن التراث العربي- نظرة نقدية منهجية-، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1 1989.
65. سليمان بن الحاج دواد بن يوسف: ثورة أبي يزيد.
66. شعلان إبراهيم أحمد، الشعب المصري من أمثاله العامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972.
67. الشماخي: كتاب السير، دار المدار، تونس، ط1، 2009، ج3.
68. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق د.حسن نور الديندار الكتب العلمية، (طد)، (دت)، ج3.
69. الشيخ أبي بكر عبد القادر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه أبو فهد محمود شاكرن دار المدني بجدة، (دط).
70. صالح باجية: الإباضية بالجريد.
71. صالح بن حمادي، دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية، (دط، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، دت.
72. صحيح البخاري، كتاب الآداب، دار كتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ت)، مج4.
73. الضاوي موسى، قصص الأمثال الشعبية التونسية، الجنوب الشرقي التونسي، سلسلة ديوان البادية ج7، مطبعة تونس قرطاج، أفريل 2010.
74. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: د. احمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ج3.
75. الطاهر احمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، (ط2، حلب دت) مادة مثل.
76. طرابشي جورج، المثقفون العرب والتراث، والتحليل النفسي لعصاب جماعي، رياض الريس للكتب والنشر،ط1، 1991.

77. طلال حرب، اولية النص نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبين المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،ط1، سنة 1999م.
78. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية ط2، بيروت1980.
79. عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر طبعة2007.
80. عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986.
81. عبد الحميد يونس، الحكاية الشعبية، دار الكاتب العربي بالقاهرة، (دط)، (دت).
82. عبد الرحمان مجدوب، القول المأثور، تصنيف نور الدين عبد القادر، ط1، الجزائر.
83. عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663، تحقيق و تقديم: د.سعيد الفاضلي ود.سليمان القرشي، دار السويدي للنشر و التوزيع، ط1، أبو ظبي 2006، مجلد1.
84. عبود زهير كظم، قراءة في كتاب مدخل إلى الشعر الشعبي العراقي،ط1، السويد،2003.
85. علي الشابي، مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية، المجلة التاريخية المغربية، عدد يناير 1979.
86. علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن الثالث عشر(هـ)، التاسع عشر(م)،رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر،مرقونة 2001/2000.
87. علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج1/ ص515.
88. عمرو: هو عمر بن المزدلف وكان شارك جساسا في قتل كليب، فطعنه جساس وتركه وبه رمقن ثم ورد عليه عمر فأستغاث به كليب وقال: يا عمرو تداركني بشربة ماء، قال عمر تجاوزت الأحص وماءه وأجهز عليه.
89. الفيروزبادي، القاموس المحيط، الهيئة العامة للكتاب1978م، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة 1301هـ، ج2.
90. كمال الزغيدي، امثال شعبية من الذاكرة التونسية، البراق للنشر والتوزيع، مارس 2010.
91. الماوردي علي، الأمثال والحكم، ت/ فؤاد عبد المنعم، دار الوطن، 1999.
92. مايك كرانغ، الجغرافيا الثقافية، ترجمة د.سعيد منتاق، سلسلة عالم المعرفة من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، 2000، ط1.
93. المجذوب عبد الرحمان، القول المأثور.
94. مجلة التراث الشعبي العراقية، العدد 06، لبنان،1980.
95. محمد الصالح بن علي، الألغاز الشعبية بوادي سوف-أكثر من أربعمائة لغز-مدرية الثقافة لولاية الوادي، ط1 سنة 2010.
96. محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال و الحكم الشعبية.

97. محمد الصالح بن علي، الموسوعة السوفية للأمثال و الحكم الشعبية، ط1، 2012.
98. محمد الصالح بن علي، شعبية من وادي سوف، 1500 مثل وحكمة، مطبعة عمار قرفي، عنابة، الجزائر، ط1، 1998.
99. محمد الصالح بن علي، محمد نافع حمادي، الشاعر الشعبي الساسي حمادي و مختارته من أشعاره، من إصدارات دار الثقافة لولاية الوادي، ط1، 2006.
100. محمد الصالح بن علي، من روائع الشعر الشعبي علي عناد، من إصدارات دار الثقافة بالوادي، ط1 2008.
101. محمد الطيب بن نوري، الوضع الاقتصادي والاجتماعية في توزر خلال النصف الثاني من القرن 19 شهادة الكفاءة في البحث، إشراف البشير تليلي، جامعة تونس، 1997.
102. محمد العدواني، تاريخ العدواني، تحقيق الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1 بيروت 1996.
103. محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.
104. محمد المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر 1967.
105. محمد بن عبد الكريم الجزائري، لغة كل أمة روح ثقافتها، (دط، باتنة، المنطقة الصناعية، دار الشهاب للطباعة، دت).
106. محمد بن عمارة، العادات الاجتماعية في البيئة الصحراوية –وادي سوف أنموذجا- دراسة في علم الاجتماع البيئة، منشورات مكتبة إقرأ –قسنطينة-، ط1، 2010.
107. محمد حسن: المدينة و البادية بافريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس، 1999، ج1/ص31.
108. محمد سعيدي، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (دط)،(دت).
109. محي الدين خريف، الأمثال الشعبية التونسية، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2003
110. مراض عبد المالك، الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
111. مرتاض عبد المالك، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى.
112. مرتاض عبد المالك، عناصر التراث الشعبي في "اللاز" دراسة في المعتقدات والأمثال الشعبية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.
113. مسعود مزهودي: جبل نفوسة، ص249 وما بعدها.
114. مصطفى صادق الرافعين تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، سنة 2000،ج3.
115. معالم علم النفس، د. عبد الرحمان عيسوي، دار النهضة لطباعة والنشر بيروت، لبنان،دط، 1404هـ 1984م.
116. مفكرة نهاية القرن العشرين 1999-2000، إعدادمجموعة من المؤلفين، فكرة و إعداد المطبعة العصرية الوادي، ص9 و 10 فيفري 1999.

117. الموسوعة الشعبية للأمثال والحكم الشعبية، بن علي محمد الصالح.
118. نقلا عن مقال في كتاب:الشعر الشعبي بين الهوية المحلية ونداءات الحداثة، نبيلة سنجاق، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، د.ت.
119. ياسين بن رمضان، الموسوعة الجلية للأمثال الشعبية التونسية، دار السحر للنشر،2013.
120. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، 1977، مج 5.

قائمة المراجع باللغة الفرنسية

121. A.N.T.S: A.C: 279,DOS175Police Sahrienne et Situation
122. Andre voisin. le souf Mongaphie dune region saharienne. Paris. 1985. manuscrit.
123. 1Andre- Roger Voisin. Le souf monographie. El walid ed el-oued 2004.
124. D.Ahmed Nadjh. Le Souf des oasis. Edition la maison des livres. Alger 1971.
125. P. Robert. Gwinn, chairman, of directors. The New Encyclopedia Britannica. Charles E. Swanson, Presdent. Philip W. Goetz, Editor-in-Chief. Volume 19,15 th edition, 1768

قائمة الموردين

126. غندير الأخضر، متقاعد توطن في بلاد الجريد التونسي، حي الصحن الثاني عمره 63 سنة.

- العايب ساسية، ربة بيت، توطنت في الرديف بتونس، حي الحرية عمرها 70 سنة.
- زيتونة إبراهيم التجاني، توطن في بلاد الجريد التونسي، حي الصحن الثاني عمره 94 سنة.
- علي بوصبيع، مدير ثقافة سابق، مهتم بجمع التراث، حي الشهداء عمره 64 سنة.

الفهرس

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
البسملة	
الآية	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ- ب
الفصل التمهيدي: الإطار العام لمنطقتي البحث	
مدخل	2
I- منطقة وادي سوف	3
أولا: الإطار الجغرافي	3
ثانيا: الإطار التاريخي	10
ثالثا: الإطار الاجتماعي	14
رابعا: الإطار الاقتصادي	17
خامسا: الإطار الديني و الثقافي	21
II- منطقة بلاد الجريد	25
أولا: الموقع و الجغرافيا	25
ثانيا: سكان بلاد الجريد	26
ثالثا: الفتح الإسلامي لبلاد الجريد	26
رابعا: انتشار المذهب الإباضي بالجريد	27
خامسا: الحياة الثقافية و الاجتماعية عند إباضية الجريد	29
III- أوجه الشبه والاختلاف لمنطقتي البحث	31
أولا: أوجه الشبه	31
ثانيا: أوجه الاختلاف	33
خلاصة الفصل	34
الفصل النظري: الموروث والمثل الشعبي (تحديدات نظرية)	
تمهيد	36
I. الموروث الشعبي	37

أولا: تعريف الموروث الشعبي	37
ثانيا: أنواع الموروث الشعبي	39
II. المثل الشعبي تحديدات نظرية	52
1- تعريف المثل	52
2- أنواع المثل	57
3- مصادر المثل	58
4- خصائص ومميزات المثل الشعبي	59
5- موضوعات المثل الشعبي	61
6- وظيفة الأمثال الشعبية	63
7- الهدف من المثل	65
خلاصة الفصل	69
الفصل التطبيقي: موازنة بين الأمثال الشعبية السوفية وأمثال الجريد التونسي	
تمهيد	71
أولا: دراسة أمثال المنطقتين على مستوى الجوانب والمجالات	72
• الأمثال الشعبية في منطقة "وادي سوف"	72
I- الجانب الاجتماعي	72
II- الجانب الأخلاقي	76
III- الجانب التعليمي	81
IV- الجانب الديني	85
V- الجانب الاقتصادي	87
• الأمثال الشعبية في منطقة "الجريد التونسي"	94
VI- الجانب الاجتماعي	94
VII- الجانب الأخلاقي	97
VIII-الجانب التعليمي	102
IX- الجانب الديني	107
X- الجانب الاقتصادي	113
✓ أوجه الشبه والاختلاف بين أمثال منطقي وادي سوف والجريد التونسي: "موازنة الأمثال"	117
ثانيا: دراسة أمثال المنطقتين على مستوى الصياغة اللغوية	119

خلاصة الفصل	121
الخاتمة	123
المدونة	126
الملاحق	
قائمة المصادر والمراجع	
الفهرس	

تم بحمد الله